

الوحدة والتنوع



اللهجات العروبية القديمة

تقديم

أ. د. علي فهمي خشيم

- د. أحمـد شحـلان
- د. أشرف محمد فتحي
- سعيد بن عبدالله الدارودي
- عبدالعزيز سعيد الصويعي
- د. عكاشـة الدالـي
- لـؤي محمـود سعيـد
- أ. د. محمد بهجت قبيسي
- محمد المختار العرباوي
- د. نـائـل حـنـون



بحوث ندوة

« الوحدة والتنوع

فى اللهجات العروبية القديمة »

الكتاب : بحوث ندوة
الوحدة والتنوع
فى اللهجات العروبية القديمة

الكاتب : تقديم د. على فهمي خشيم
و آخرون

الناشر : مجمع اللغة العربية
طرابلس - ليبيا
مركز الحضارة العربية
القاهرة

الطبعة العربية الأولى : ٢٠٠٥

رقم الإيداع ٢٠٠٥/٨٤٦٧
الترقيم الدولى: I.S.B.N.977-291-665-7

الغلاف :
تصميم وجرافيك : ناهد عبد الفتاح

الجمع والصف الإلكترونى :
وحدة الكمبيوتر بالمركز
تنفيذ : عاطف فوزى
تصحيح : عبدالحليم فرحات

بحوث ندوة

الوحدة والتنوع في اللهجات العروبية القديمة

تقديم

د. علي فهمي خشيم

المشاركون

د. أحمد شحلان

سعيد بن عبدالله الدراوردي

د. عكاشة الدالي

أ.د. محمد بهجت قبيسي

د. أشرف محمد فتحي

عبدالعزيز سعيد الصويعي

لؤي محمود سعيد

محمد المختار العرباوي

د. نائل حنون



تقديم

الدكتور علي فهمي خشيم
أمين عام مجمع اللغة العربية
طرابلس - ليبيا

منذ الثلث الأول من القرن التاسع عشر، وهو قرن الاستعمار الأوروبي الحديث، اهتم غزاة وطننا العربي بمعرفة أسرار هذا الوطن في حاضره وماضيه.

وقد حرص نابليون بونابرت في حملته على مصر على اصطحاب نحو مائتي عالم فرنسي متخصص في مختلف المعارف والعلوم، وكانت بداية الكشف عن ماضي وادي النيل العثور على ما عرف بـ «حجر رشيد» الثلاثي اللغة وفك رموزه الهيروغليفية على يد شامبليون كما هو معروف، وبهذا فتحت أبواب الدراسات التي لا يحصرها عدٌّ عن تاريخ مصر الفرعوني وحضارتها وتراثها الكبير في شتى المناحي والاتجاهات، ومن أهمها معرفة دقائق اللغة المصرية القديمة لفظًا وصرفًا ونحواً مما أنتج كمًّا هائلا من المؤلفات والأبحاث المتنوعة.

وقد حدث الشيء نفسه في بقية أقطار وطننا الكبير؛ إذ توالى الكشف عن مجموعة لغاته القديمة في بلاد الرافدين (البابلية / الآشورية / الأكدية) وساحل الشام (ألواح «أوغاريت» الكنعانية) وفي بلاد اليمن (الكتابات المسندية) والمغرب العربي (النقائش الليبية القديمة) كما في مواقع أخرى من شبه الجزيرة العربية وبادية الشام والصحراء الليبية، واللُّقى المتناثرة في شبه جزيرة سيناء وشواطئ البحر الأبيض المتوسط المحيطة به، وأيضًا في شبه جزيرة إيبيريا .. إلخ.

كل ذلك كوَّن تراثًا مكتوبًا بشتى ضروب الكتابة ومتنوع أنواع الخطوط والأقلام جعل منه كنزاً عظيمًا أبانت جواهره عن تلك الحضارات الكبرى التي نمت على أرضنا منذ آلاف السنين وأمدت العالم بصورة واضحة عن تراثنا الضاربة جذوره في أعماق

التاريخ البشري منذ بدايته الأولى وعلى مدى قرون متطاولة من الزمان، ليس فقط في مجال معرفة الأحداث والحوادث التي مرت بأرضنا وعليها أو تواريخها أو الزعامات والقيادات التي تأثرت بها أو أثرت فيها، أو سير تلك الأحداث ونتائجها، بل أبرزت تلك الكتابات المنقوشة على جدران المعابد العتيقة أو الألواح الطينية المحفوظة أو قطع الحجارة العديدة كذلك صورًا شبه كاملة أحيانًا كثيرة عن أنماط الحياة والمعاملات اليومية والنظم السياسية والقانونية والمظاهر الفنية والظواهر الزراعية والصناعية ونماذج العيش والعادات والتقاليد والعبادات والمعتقدات الفكرية والطبقات الاجتماعية وأساليب القتال والعلاقات بين الشعوب أيام الحرب أو السلم، وغيرها كثير، بتفاصيل دقيقة للغاية.

كان هذا بفضل فك رموز الكتابات العتيقة ومعرفة أسرارها التي ظلت غامضة زمنًا مديدًا ولبثت على مر العصور سرًا مستغلقًا لا يُدرك كنهه ولا تُعلم غاياته، بل إن الظن غلب على الكثيرين - في الشرق والغرب - أن هذه الكتابات كانت مجرد رموز سحرية وطلاسم لا يعلم غيبها إلا من تركها للأجيال عصيَّة على الفهم لمرامٍ خاصة وأهداف مجهولة.

وإذا كان من الواجب إرجاع الفضل إلى أهله في فك تلك الرموز المتنوعة والإحاطة بمكنوناتها والغوص في أعماقها، فإنه من العدل القول إن الفضل يعود إلى علماء الغرب وباحثيه الذين بذلوا الجهود المضنية في الكشف عن تلك الآثار المدفونة ثم قراءة ما عثروا عليه من نقائش وألواح وصفائح من الحجارة وما سطر على جدران المعابد والقصور العاديَّة، وهو أمر مقدر حق قدره بالطبع.

نعم. إن الفضل يرجع إلى علماء الغرب، لكنه فضل مشوب بمسألتين اثنتين؛ الأولى أنهم لم ينطلقوا في محاولاتهم من فراغ كما أُذيع وشاع، إذ لا ريب الآن أن شامبليون - مثلا - استفاد فائدة كبرى من كتاب أحمد بن وحشية (شوق المستهام إلى معرفة رموز الأقلام) وغيره، كما يدلل الدكتور عكاشة الدالي في بحثه المنشور هنا، وقد كان هذا الكتاب الخطير محط اهتمام الكثيرين عند اكتشافه، وهو نشر قبل إعلان شامبليون فكه الرموز الهيروغليفية المصرية بسنوات عدة. وليس من المستبعد أن يقع هذا الكتاب، وربما غيره من المؤلفات العربية، في أيدي بحاث الغرب الذين جاءوا من كل صوب يتبعون الجيوش الأوروبية الغازية ويستحوذون على المكتبات العامة والخاصة

وينقلون محتوياتها إلى بلادهم، والمشهور أن متاحف لندن وباريس وبرلين والاسكوريال وبطرسبرغ وفينا وروما وغيرها من العواصم تحوي مئات آلاف الآثار والنقوش والكتابات المنهوبة من وطننا على مدى عقود زمنية من الاستعمار الغربي لهذا الوطن.

وهل يشك أحد في أن معرفة رموز الكتابة المسندية في اليمن كانت اعتماداً على ما كتبه الهمداني في مؤلفه الشهير (الإكليل) ومقارنته حروف المسند بالحروف العربية العدنانية المنحدرة من القلم النبطي وشرح قيمتها الصوتية؟

أما قراءة النقوش الليبية في الشمال الإفريقي فكانت من السهولة بمكان؛ إذ ظل القلم المكتوبة به تلك النقوش سارياً مستعملا عند التوارق يعرف باسم (التيفناق)، ولعل الأمر ينطبق على الكتابة المسمارية في بلاد الرافدية والأحرف الهجائية الكنعانية في الشام؛ إذ لا نعدم مصادر عربية تتحدث عنها، كما يتحدث صاحب (أخبار الزمان) وغيره عن تاريخ مصر القديمة وملوكها وآثارها بكثير من التفصيل، قد تشوبه بعض المبالغات أو حتى الخرافات أحياناً بسبب بعد الزمان وانقطاع الصلات.

ولعل ذا النون المصري ترك أثراً ما، وهو المهتم بالكتابات المرسومة على «البرابي» أي المعابد المصرية - لم نعلمه واستفاد منه من استفاد وأخفى الاستفادة. وهذه قضية قابلة للنقاش، ومع هذا ينبغي عدم إنكار ما قدمه الدارسون الأوروبيون من جهد مشكور ولا سلبهم فضل الكشف بعد البحث والتنقيب وفضل الدرس المنهجي المنظم على أسس علمية، كما ينبغي ألاَّ ننسى أن القرن التاسع عشر بالذات شهد قمة ازدهار العلم والحضارة الأوروبيين مع امتلاك القوة العسكرية والاقتصادية والسياسية المهيمنة على المشرق العربي، في حين شهد هذا المشرق حضيض الانحدار الحضاري والتخلف العلمي والثقافي، مما يسر لأهل الغرب الغلبة في كل شيء وسهل لهم السيطرة على مقاليد الأمور ومقادير الشعوب.

أما المسألة الثانية التي تشوب فضل الغربيين فهي دراستهم ما كشفوا من كتابات الأقدمين في هذا الوطن الواحد على أساس التفريق بين الأقلام واللغات وبحثهم فيها منفصلة بعضها عن بعض وإن لم يشمل هذا المنهج جميع الغربيين، فنحن نجد العلماء الفرنسيين والإنكليز على وجه التخصيص ينطلقون من منطلق تجزئة ما قام في وطننا الكبير من حضارات باعتبار كل حضارة قائمة بذاتها، ذات أسس خاصة وثقافة خاصة

ولغة خاصة. إنه المنهج الطولي العمودي الذي يركز على خصائص ومميزات إقليمية صرفة، مما أدى في ما تلا من الزمان إلى بث روح الإقليمية الانعزالية التي اتبعها - للأسف - عدد كبير من الباحثين العرب أنفسهم، وهم الذين تتلمذوا على أيدي أساتذة فرنسا وانكلترا وتأثروا بهم أي تأثر، وتجلى هذا في كتاباتهم ومؤلفاتهم كما تسرب إلى الكتب الدراسية والمراجع الجامعية في الأقطار العربية، وكانت النتائج بالغة الخطورة أدت إلى الفكرة الغالبة الخاطئة؛ أن العروبة مقتصرة على أهل شبه الجزيرة وأن الأقطار العربية الأخرى «تعرَّبت» أو «عُرِّبت» بعد ظهور الإسلام وفتوحاته في القرنين السابع والثامن الميلاديين.

من جهة أخرى نجد المدرسة الألمانية تتبع منهجاً آخر مؤداه وحدة هذه الكتلة البشرية في ماضيها البعيد والقريب وكون المظاهر الحضارية والثقافية فيها وثيقة الصلة بعضها ببعض. ومن هنا بذلت هذه المدرسة جهوداً كبيرة في المقارنة بين ما دُعي «اللغات السامية» في شبه الجزيرة جنوبها وشمالها وبلاد الرافدين والشام، وحتى بين ما سُمِّي «اللغات الحاميَّة» كالمصرية والليبية القديمتين. بل ذهبت هذه المدرسة إلى اعتبار المجموعتين اللغويتين مجموعة واحدة أطلقت عليها تسمية «اللغات الحامية / السامية».

وواضح أن اختلاف المنهجين يرجع إلى اختلاف الأهداف والغايات؛ فبينما كان الفرنسيون والإنكليز مستعمرين استعماراً مباشراً لأقطار الوطن العربي مقتسمين إياه في ما بينهم عاملين على غرس روح التفرقة بين أبنائه باثِّين الروح الإقليمية في أجيال هذه الأقطار، لم تكن للألمان مستعمرات يهمهم فصلها عن الجسد الواحد وتفرقتها بعضها عن بعض.

لعل قصة معجم أحمد كمال باشا التي يتحدث عنها الدكتور لؤي محمد سعيد تميط اللثام عن طبيعة موقف علماء الدولتين المستعمرتين (إنكلترا وفرنسا) من محاولة بيان الصلة بين العربية والمصرية القديمة بوضوح تام.

ولقد كان أحمد كمال الرائد العربي الذي انتبه إلى عمق العلاقة بين العربية والمصرية القديمة وكان عمله الكبير في تدوين المعجم المقارن بين اللغتين عرضة للإهمال والتهميش والنسيان ثلاثة أرباع قرن من الزمان حتى تيسر له أخيراً أن تنشر بعض أجزائه كما هي في الأصل، بخط اليد ودون تحقيق أو إضافة وباللغة الفرنسية التي سجله بها، والأمل كبير في أن يحظى هذا العمل الريادي بمزيد من الاهتمام، فتترجم

نصوصه وتحقق على أيدي متخصصين مدركين أبعاد العمل والقضية معًا باعتباره اللبنة الأولى في بناء صرح الدراسات اللغوية العروبية المقارنة والمؤكدة لوحدة أهم مكونات هذه الأمة.. اللغة المشتركة الواحدة.

في العقدين الأخيرين من القرن العشرين نشطت حركة المقارنة بين لغات الوطن القديمة في مشرق الوطن ومغربه، بعد أن أدرك الجيل الجديد من الباحثين العرب خطورة إهمال هذا المجال وتركه مرتعًا للأغراب أو لذوي النوايا السيئة، وظهر تيار عربي الهوية والاتجاه منبعث من إحساس قومي عميق وشعور بالخطر الذي يتهدد وحدة شعوب الوطن نتيجة ما غُرس من مفاهيم مغلوطة وتصورات خاطئة وما رُوج له من أفكار انعزالية عازلة، وإذا كان من المفروض أن العلم يُطلب لذاته، بصرف النظر عن المصالح والمنافع، فإن من المؤسف أن تنعدم الروح الموضوعية في كثير جدًا من بحوث الغربيين فيما يتعلق بماضي أمتنا وتاريخها، وبخاصة في مجال لغاتها على مدى العصور، وحين جرد بعض الدارسين العرب أنفسهم لخوض معركة تصحيح المفاهيم وتصويب الأخطاء كانت أعمالهم تقوم على الجهد الفردي والجهاد الشخصي في الغالب الأعم، وكان لا بد من أن تبادر هيئة ما، أو هيئات، لتبني هذه الجهود الطيبة لتوحيدها وتشجيعها على المضي في السبيل القويم ردًا للافتراء ودفعًا للتشويه وإحقاقًا للحق والحقيقة، وليس ثمت أولى من مجامع اللغة العربية، إلى جانب الجامعات والمعاهد العلمية، من القيام بهذه المهمة.

من هنا دعا مجمع اللغة العربية في ليبيا إلى عقد ندوة عن (اللغات العروبية.. الوحدة والتنوع) حضرها وأسهم فيها ثلة من العلماء العرب من مختلف أقطار الوطن جاءوا من المغرب وتونس وليبيا ومصر وسوريا والعراق وعُمان واليمن، يجد القارئ بعض بحوثهم في هذه الندوة التي انعقدت بمقر المجمع في طرابلس في الفترة (٢٥-٢٧ / ١ / ٢٠٠٤م).

وقد حققت هذه الندوة جملة أغراض، لعلها أهمها اللقاء بين المتخصصين في مجال البحث اللغوي المقارن للتعارف وتبادل الخبرة والمعلومات والاطلاع على مدى المنجزات في هذا الباب، ثم الحوار البناء الذي دار حول الموضوعات المطروحة، وكذلك مناقشة المصطلحات والتعبيرات المستعملة والاتفاق على توحيدها، وأيضًا اتباع منهج عربي غير ذي عوج عند البحث فيما يتصل بهذا الأمر وتحليل عناصره وتسليط الأضواء على جوانبه المتعددة.

اتفق المشاركون - مثلا - على استعمال مصطلح «اللهجات» بدلا من «اللغات» العروبية باعتبار مصطلح «اللغات» صار ذا دلالة خاصة تفيد انفصال لسان قوم عن ألسنة أخرى، والحق أن ما كان يدعى اللغات البابلية والكنعانية والمصرية والليبية والحبشية ونحوها ليست سوى لهجات من لغة أمٍّ واحدة هي (اللغة العروبية) الأولى انبثقت عنها مجموعة لهجات على امتداد الوطن والتاريخ، وطبيعي أن تشمل كل لهجة «لهيجات» كثيرة حسب ظروف الزمان والمكان - تماما كما هو الأمر في كل لغة إنسانية.

واتفق الحاضرون أيضًا على تسمية هذه المجموعة من اللهجات: العروبية - شاملة ما ذكر كما تشمل «العربية» نسبة إلى جزيرة العرب أو هي «العدنانية»، اللهجة التي عمت بعد الفتح الإسلامي وصارت مشتركة بين أقطار الوطن الكبير، كما اتفقوا على إلغاء مصطلح «اللغات الساميَّة» أو حتى «الساميَّة / الحاميَّة» باعتباره مصطلحًا غير علمي ولا أساس له من الصحة والصواب في مجال الدراسة اللغوية المقارنة، إلى جانب توصيات أخرى دعا إليها المجتمعون يجدها القارئ في موطنها كما يجد جملة البحوث المقدمة في الندوة.

وماذا بعد؟

إن الأمل يحدونا في أن تكون هذه الندوة خطوة أولى تتلوها خطوات بإذن الله في نهج عربي صحيح لدراسة ماضينا المشترك العريق وتوكيد عروبة هذا الوطن العظيم ووحدته منذ القدم ثقافة وحضارة ولسانًا، كما هو في حاضره وكما يجب أن يكون في مستقبله القريب والبعيد، ويشرف مجمع اللغة العربية في ليبيا أن احتضن هذه الندوة وهو يعمل لعقد غيرها من الندوات، ويشكر للسادة العلماء العرب الأفاضل الذين شاركوا فيها ما قدموا من علم وفضل ويبارك جهودهم المخلصة المثمرة ويتطلع من بقية علماء الأمة والمتخصصين في تاريخها ولغاتها ولهجاتها - ماضيًا وحاضرًا - إلى مزيد من العطاء. وهو يثق في أن ما يقدمه منشورًا اليوم من بحوث ودراسات ليس إلا بداية لأعمال أكبر وأشمل وأكثر عمقًا وتفصيلا ونفعًا.

أ. د. محمد بهجت قبيسي(*)

العربيـــــات
من الأكديّة وحتى العدنانيّة
و
علم الدلالة
مدلول الكلمة
اختلافها وفروعها

(*) أستاذ محاضر في جامعات حلب وتشرين والقاهرة سابقاً، منسّق الاتحاد العام للآثاريين العرب في سوريا.



أحيّيكم باللهجة العربية النبطية والصفائية فأقول:

ب ط ب و س ل م

[بطـوبـــا و ســـلام]

مقدمة لا بد منها:

أ- قلنا إن هناك لغة عربية أم (لا نعرفها) تفرّعت إلى لهجات، منها اللهجة العربية الأكادية بفرعيها البابلي والآشوري، واللهجة العربية الكنعانية، واللهجة العربية الآرامية. وجميع تلك اللهجات **تنتسب إلى العرب العاربة** وليس إلى العرب المستعربة [والتي منها قريش (وما حولها)]، وهي التي أخذت (أي قريش) اللهجة العربية العدنانية (المستعربة)، ألا وهي اللهجة العربية الفصحى. وهذه اللهجة ليست اللغة الأم لكنها لهجة من هذه اللهجات امتازت عن سواها بمحافظتها على جذر الكلمة الثنائي والثلاثي، وحوت عمّا سبقها الكثير والكثير من ملامح هذه اللهجات.

يقول (فردناند دوسوسير) رائد فقه اللغة السويسري: [إن أقدم لهجة (بأي لغة) هي هاتيك اللهجة التي حوَت وشملت على (قاسم مشترك أعظم) من الكلمات].

ونضيف على هذه المقولة [مع محافظة هذه اللهجة على جذر الكلمات الثنائي والثلاثي][1].

ب- لا بد لنا في دراسة اللهجات القديمة في المنطقة من الأكادية والمصرية والكنعانية والآرامية، أن ندرسها [بمدرسة فقهية لغوية واحدة]، ونود التنبيه أن فقه اللغة العالمي **للغات الحية** يعتمد على ثابتين اثنين هما:

١- **علم فقه الصوت (الفونيم):** وهو ما يخص علم الإبدال والقلب المكاني والإدغام.

٢- **علم (فقه) الدلالة:** وهو (علم اختلاف مدلول الكلمة من مكان إلى مكان،

ومن زمان إلى زمان) . مع محافظة هذه الكلمات بمدلولاتها المختلفة على معنى عام جامع في الكلمة الأم الأساس (وهذا موضوع البحث) .

وأما فقه اللغة للهجات العربية الميّتة[٢] كالأكادية والمصرية والآرامية فهو يعتمد على أربعة ثوابت :

١- علم فقه الصوت .

٢- علم الدلالة .

٣- **علم فقه الإملاء :** فمثلا عرفت الكتابات القديمة وبالأخص الأبجدية منها عدم كتابة الأحرف الصوتية المجموعة في كلمة [بارودي] ، وعندما نكتب [الألف والواو والياء] فإنها تعبر عن أصوات ساكنة وهي المجموعة في كلمة [أيوم] . كما عرفت الكتابات القديمة عدم كتابة الحرف المتكرَر ، فمثلا : [أمم ممالك] تُكتب [أ م ل ك] وتُلفظ [أمم ممالك] . فلو طبّقنا هذا على كلمات : [خليل ، لبيب ، عزيز] فإننا نكتب : [خل ، لب ، عز] لكن نلفظها : [خليل ، لبيب ، عزيز] على التوالي كالتالي : [خليل = خ ل ي ل]

لا تُكتب الياء لأنها حرف صوتي فتصبح [خ ل ل] ، وكذلك يُشطب الحرف المكرّر [اللام] فتصبح : [خ ل] ونلفظها [خليل] .

ولنأخذ مثلا آخر ، فكلمة [عزيز] بدون حرف صوتي تصبح [عزز] وإذا شُطبت هذه الزاي المتكرّرة تُكتب [عز] لكنني ألفظها [عزيز] ، ويجب أن ألفظها [عزيز] وليس [عز] . وبالعودة إلى القاموس المصري (معجم أحمد بدوي وهيرمان كيس[٣]) تحديداً ، ولننظر إلى كلمة [عزيز] والتي وردت في القرآن الكريم :

﴿ فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ ﴾[٤] .

فنجد في هذا المعجم أن هذه الكلمة الغريبة عن مصطلحات العربية الفصحى (اللهجة العربية العدنانية) نجدها في العربية المصرية ، وهذا الحدث تم في مصر ، فنجد أن [عز] تساوي [عزيز] ، ومعنى [عزيز] في هذا المعجم [مدير إقليم][٥] وليس فرعونًا . وهذا ما هو ظاهر في نص الآية .

٤- **علم فقه اللفظ :** حيث من شروط اللفظ السماع في الأذن أولا ، والإعادة باللسان ثانيًا . وأما الكتابة فهي واهية عن معطيات اللفظ السليم ، هناك قواعد

نستطيع أن نأخذ بها فالموضوع كبير وجميل[٦].

بعد هذا التقديم فإننا في هذا البحث سنأخذ بالتفصيل الثابت الثاني في فقه اللغة ألا وهو: [علم الدلالة ومدلول الكلمة واختلافها عبر الزمان والمكان وفروعها في اللهجات والكتابات العربيات القديمات].

سنمضي في هذا البحث لنلقي الضوء على ضوابط آلية تطوّر المدلول للمفردة (الكلمة) مقارنين ذلك بين اللهجات العربيات المختلفات راجين من الله السداد في الرأي والتوفيق، فهو من وراء القصد.

ولا بد لنا قبل البدء من الإشارة إلى أن فقه اللغة بحاجة إلى معرفة بالتاريخ وعلم التاريخ لنعرف السابق من اللاحق.

علم الدلالة:

بَحَثْنَا في علم الدلالة (مدلول الكلمة الأم وفروعها)، فوجدناه نوعين: الأول يحمل معنىً من معانيه يرتبط بالكلمة الأم بشكل واضح، وهذا النوع هو الأكثر، وهو ما نسميه **بالمدلول الموصول**. والثاني يبعد في لفظه أو معناه عن لفظ أو معنى الكلمة الأم (الأصل) لما يعتريه من عمليات إبدال في الأحرف أو قلب مكاني أو زيادة في السوابق واللواحق أو اختلاف المعنى كليًا، وهذا النوع أقل من ذاك وهو ما نسميه **بالمدلول المفصول**.

وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على **المنهج التجريبي**، هذا المنهج العلمي الذي يعتمد على تكرار المثال مرارًا كثيرةً على حالة واحدة لا يستحيل أبدًا. يقول به ابن حزم الأندلسي:

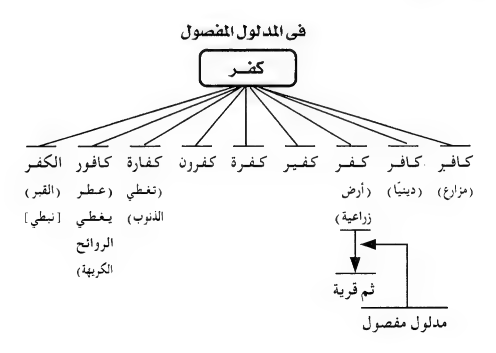
[والتجارب لا تكون إلا بتكرار الحال مرارًا كثيرة جدًا على صفة واحدة لا تستحيل أبدًا تكرارًا موثوقًا بدوامه تضطر النفوس إلى الإقرار به][٧].

كما يقول ابن البيطار العشاب المالقي في هذا المنهج:

[فما صح عندي بالمشاهدة والنظر، وثبت لي بالخبرة لا الخبر، ادّخرته كنزًا سريًا، وعددت نفسي عن الاستعانة بغيري فيه، سوى الله غنيًا (أي أنه بهذه الحالة لن يستعين بأحد سوى الله)، وما كان مخالفًا في القوى والبيئيّة والمشاهدة الحسية، في المنفعة والماهية، للصواب والتحقيق، وأن ناقله أو قائله عَدَلَ فيه عن سواء الطريق، نبذته

ظهريًا، وهجرته مليًا، وقلت لناقله أو قائله لقد جئت شيئًا فريًا](٨).

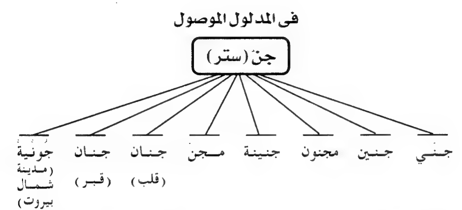
وللاختصار، وكي يشمل هذا البحث كافة اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية فسأبدأ بأمثلة تكون أساسًا في هذا البحث الذي أدّعي بأنه شيّق.



جاء في القرآن الكريم الآية الكريمة التالية: ﴿اعْلَمُوا أَنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ الْكُفَّارَ نَبَاتُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَامًا وَفِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانٌ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾(٩). هنا نبحث في تفسير القرآن الكريم فنجد [الكفّار] بمعنى [الزرّاع].

قد يتساءل سائل هل هناك صلة بين: كافر بمدلولها الديني، وكافر بمدلولها الزراعي، وكلمة كفر وكفير (أسماء المدن والقرى الممتدة في بلاد الشام ومصر وحتى ليبيا)، وكلمة كفارة، وكلمة كافور، وكلمة كفرون. نقول نعم هناك صلة فجذر هذه الكلمات هو جذر واحد بمعنى [كَفَرَ] حيث كفر في اللغة تعني [غطّى] ولها مدلول

ديني بمعنى غطى الحقيقة، حيث إن أتاني بوذي ودعوته إلى الإسلام مثلا ولم يؤمن بسبب حجتي الضعيفة ولم يقتنع فعلا فهو ليس بكافر، الكافر من اقتنع وغطى الحقيقة. [الكفر] كل أرض جرداء حُرثَتْ فبُذرَتْ فكُفرتْ ببذورها ثم كُفرَت ثانية بنباتها فهي كفر، وصاحبها هو [الكافر] (الكافر المزارع الذي يغطي هذه الأرض).
هنا نجد أن هذه الكلمات الثلاثة كافر وكافر وكَفْر مربوطة فعلا ومباشرةً بصورة متواصلة في المدلول الموصول في فعل [كفرَ بمعنى غطى]، ثم انفصل هذا المعنى عندما أتيت أنا وأنت وكافة المزارعين في المنطقة وبنوا أبنيتهم لعامل الأمان بجانب بعضهم فانتقل المعنى من [كَفْر] لتعني أرض زراعية إلى [كَفْر] لتعني القرية وهذا ما نسميه بالمدلول المفصول، ومن الجدير بالذكر هنا أن نجد هذا الاسم الممتد في بلاد الشام وسوريا ولبنان وفلسطين والأردن ومصر وكذلك ليبيا (منبع النهر العظيم هو الكفرة)[١٠]. قد يتساءل سائل (ونحن نتكلم عن وحدة هذه البلاد شعوباً) من الذي سمّى هذه الأسماء في هذه المساحة الجغرافية الواحدة حيث لديّ صور في عمان وصور في لبنان، ولديّ حضرموت في اليمن وحضرميت في شمال أفريقيا، وهكذا. نعم من سمّى هذه الأسماء هو فكرٌ واحد وأمة واحدة.
أما [كفير] فهي تصغير الكفر. وأما [كفرون] فهذه الواو والنون الشهيرة هي لاحقة كنعانية نجدها في الجغرافيا التاريخية من شمال أفريقيا لوجود الكنعانيين هناك وكذلك نجدها في ساحل بلاد الشام وسوريا مثل: قاسي= قاسيون. كفر= كفرون. عرم= عرمون، خالد= خلدون، عصر= عصرون، عبد= عبدون، وهي مستعملة إلى الآن على وجه واسع في جغرافية الكنعانيين وهي ساحل بلاد الشام والمغرب العربي[١١].
وأما [الكفارة] فهي التي تغطي الذنوب. و[الكافور] هو نوع من العطور يغطي الروائح الكريهة ونستعملها خاصة في تكفين الأموات.
أخيراً: إن جذر هذه الكلمات هو [كَفرَ] ونريد أن نؤكّد أن **صيغة الفعل الماضي للكلمة** معبّر للمعنى أكثر من صيغة ما سمّي بالمصدر، ففعل [ضَربَ] معبّر أكثر من المصدر [الضرب].



نأتي إلى كلمة أخرى في المدلول الموصول أو المتصل وهي كلمة جن، [جن] بمعنى ستـر . كـذلك السـؤال المطروح هل هناك صلة بين: جنّي، وجنين، ومـجنون، وجنينة، ومـجنّ (الترس)، وجنـان بمعنى قلب، وجنان بمعنى قبـر، وجـونيـة (المدينة اللبـنانيـة شمال بيروت)؟ نقول نعم هناك صلة حيث [جنّ] في لسان العرب بمعنى [ستر][١٢].

يقول ابن منظور: لقد سمي الجني جنيًا لأنه مستور عن الأعين، وسـمي الجنين جنينًا لأنه مستور في بطن أمه، وسـمي المجنون مجنونًا لأنه مسـتور على عقله، وسمي المجنّ مـجنًا لأنه يسـتر من ضـربات الأعـداء، وسمي القلب جنانًا لأنه مـسـتـور في الصـدر، وسمي القـبـر جنانًا لأنه يسـتر الجثة، وأمـا جُونْيَةْ فـهي المدينة المستورة على السـاحل اللبناني حيث تقع بخليج عميق نسبيًا من المنظور الأفقي وبجبـال محيطة بها عـالية من المنظور العمودي ولا تُرى جُونَيةْ من بعيد إلا بعد الوصول إليها . كل هذه المعاني نجد لها صلة مباشرة في المدلول الأول وهو [جن].

في المدلول المفصول

كلمة بيرو (BUREAU) الفرنسية

بيرو (قماش أخضر يوضع على الطاولة)

⇩

بيرو (الطاولة الموجودة في المكتب)

⇩

بيرو (المكتب)[١٣]

المدلول المفصول عندما ينفصل المعنى ويبعد نهائيًا، فكلمة بيرو بالفرنسية تعني في الأساس قماش أخضر، ثم أصبح هذا القماش يستعمل لتغطية الطاولة فأصبح اسم الطاولة بيرو، وهذه الطاولة توضع في غرفة (مكتب) فانتقل المدلول إلى اسم المكتب فأصبح يسمى بيرو. هنا لا نجد صلة ما بين كلمة مكتب وقماش وهنا تكمن الصعوبة. وفي المدلول المفصول يجب أن يكون لدى الباحث دراية ثقافيّة عالية في قراءة التاريخ والجغرافيا واللغات (غير العربيات) مع اللهجات العربيات والعلوم المساعدة الأخرى.

في المدلول المفصول

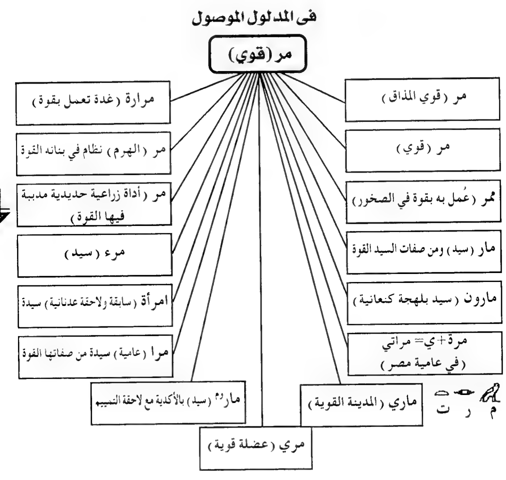
قَلَمَ(الأشجار)	**قَلٌ + لَم**
⇩	
قلم (الكتابة)	**أداة ناتجة عن التقليم**

في اللهجة العربية (العاربة) الأكادية لدينا كلمة جميلة وهي: [قلم وم] بالتمييم (قلموم) نأتي إلى تفسير [قلم] فنجدها تحمل معنيين الأول: تقليم الأشجار. والثاني: أداة للكتابة (القلم). نعم هذا في الأكادية.

في الواقع وقعنا في حيرة أكثر من خمس سنوات لنعرف ما هي الكلمة الأصل هل القلم أم التقليم، حيث يجب أن يكون هناك صلة ما بين القلم والتقليم، أسعفتنا في ذلك إحدى نظريات أصل اللغة، فمنهم من يقول أن الجذر الثنائي هو الأصل، ومنهم من يقول أن الجذر الثلاثي هو الأصل. ومن قال في الجذر الثنائي ادّعى أن الثلاثي ما هو إلا تركيب من كلمتين ثنائيتين اتّفقتا في الحرف الأخير للأولى والحرف الأول للثانية، مثلا: ضرب من [ضرّ و رب]، حمل من [حمَ و ملّ]، رحل من [راح و حلّ]، أخذنا هذه المدرسة وطبقناها على قلم فوجدناها من [قلّ و لمَ] وعملية التقليم هي عملية التقليل لفروع الأشجار ومن ثم لَمّها (أي جمعها) إذن الأساس في هذه الكلمة هو التقليم وليس القلم لأننا أخذنا ناتج هذا التقليم كأداة للكتابة. فـ[قَلَمَ] (كفعل ماضٍ) = [قَلّم] (بالتشديد) مثل [دمرَ] و [دمّرَ] فهي واردة في اللغة حيث (الشدّة) تفيد التأكيد. هذا مثال عن المدلول المفصول في

(علم الدلالة)، وكم هو صعب لكنّه شيّق حين إدراك نتائجه.

وبالمناسبة: قالوا إن كلمة قلم هي دخيلة على اللهجة العربية العدنانية من اليونانية، وإذا بنا نجدها في الأكادية. فهل الإغريقية [٧٠٠ ق.م] أقدم من الأكادية [٣٠٠٠ ق.م]؟



مثال آخر في المدلول الموصول. هل هناك صلة بين هذه الكلمات: مرّ، وممر، ومار (بمعنى السيد)، ومارون (بمعنى سيد)، ومرة (بالعامية وفي المصرية القديمة) لتعني سيدة جميلة، وماري (اسم المدينة)، ومري (اسم العضلة)، ومرا (العامية بمعنى امرأة)، وامرأة (العدنانية)، ومر (الأداة الزراعية وهي قطعة حديدية تشتهر بالقوة). وكلمة مر في المصرية لتعني هرم [ ](١٤)؟

جاء في القرآن الكريم [**ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى**][15] أي ذو قوة فاستوى، إذن المر هو القوة. وقد سمّي المرُّ مرّاً لقوة طعمه، وسمّي الممر ممرّاً للقوة التي عملت به في الصخور (فهو غالباً يختصّ بالطرق المحفورة في الصخر، والطريق الترابي يسمى الدرب)، مار هو السيد ومن صفات السيد القوة، ومارون تعني السيد أيضاً مع هذه اللاحقة (الواو والنون الكنعانية)، ومدينة ماري هي المدينة القوية [حيث أسماء المدن والقرى والأماكن القديمة (قبل دخول الإسكندر المقدوني للمنطقة ٣٣٣ ق.م) كان لها ثلاثة مداليل لا رابع لها: ٨٠٪ من الأسماء تحمل معنى طبيعيّاً (إما جيولوجيّاً أو مناخيّاً أو طبوغرافيّاً... إلى آخره) مثل: حلب وصوبا ودمشق وكفر...، و١٠٪ ذات معانٍ عسكرية مثل: حرستا وقرحتا وماري ودامور وتدمر ودُمّر....، و١٠٪ ذات معانٍ دينية مثل: بابل (باب ئيل، والاسم السومري بابيلا) ورام الله وسرج اللا (الله)...][16]. فالماري بمعنى القوي، مارتُم (بالتمويم الأكادي) تعني السيد حيث نقول بالأكادية: [مارتُم ولدت] أي ولدت طفلا(سيداً)، [مَرا] أيضاً بمعنى السيدة ومن صفات السيدة القوة وهي لا تزال في عاميتنا وهي موجودة في الكتابات الهيروغليفية المصرية القديمة حيث تُلفظ التاء الأخيرة تاءً مربوطة (بمعنى سيدة جميلة)[17] لكن للأسف حسب اللفظ الاستشراقي (الميم والراء والتاء) قرءوها [ميريت] وذهب المعنى ثم أتت العدنانية لتضيف سابقة ولاحقة لها فأصبحت [امرأة]، (مرء) أي الرجل ومن صفات الرجل القوة وفي الواقع هي لعبة متطورة في العدنانية حيث زيدت هذه الهمزة لتأخذ الحركة في الإعراب وهذا موضوع آخر، (مر) أداة زراعية حديدية بشكل مثلث مدببة نحو الأسفل تستعمل لاجتماع محصلة القوى في رأس [المَر] للأراضي الترابية القاسية. و(المر) في المصريات هو الهرم ومن صفات الهرم القوة في قاعدته. ومركز قواه هو في القاعدة لاتّساع مضلّع الاستناد به فهو نموذج بناء قوي جعله محميّاً من الزلازل زهاء الأربعة آلاف عام أو يزيد. ولا ننسى أن في دولة الإمارات العربية المتحدة اليوم بلد تسمّى ماري.

في المدلول المفصول

كلمة فينيقيُّو في السريانية لتعني متحضر.

وجدنا أن الكنعانيين سموا أنفسهم في النقوش بني كنعان فمن أين أتت كلمة فينيقي؟

١- بني كنعان	ب ن ك ن ع ن	بالعربية الكنعانية
٢ بني كنع	ب ن ي ك ن ع	
٣- بني كَ	ب ن ك	
٤- فني خو	و خ ن ف	بالعربية المصرية
٥- بني كو		
٦- فني ك + و س	(فني كوس) باليونانية ولاحقتها	
٧- فينيكوس	ØINIKOE	باليونانية(*)
٨- فينيقي	(مستعربة)	
٩- فونيكوس	PHONICUS	باللاتينية
١٠- بونيقي	PHOENIC	
١١-بوني	PONI=PHONI	

نأتي إلى كلمة سريانية هي [فينيقيُو]، فينيقيُّو بالسريانية تعني متحضر فهل كلمة فينيقيّو بالأساس تعني متحضر؟ هنا تكمن الصعوبة، وهنا نجد في هذا المدلول لكلمة فينيقي كيف أتت.

إن كافة النقوش القديمة للكنعانيين سمت الكنعانيين [بني كنعان] ولم يسموا أنفسهم فينيقيين. نأتي إلى نقوش أخرى فنجد أن الاسم انتقل من [بني كنعان] إلى

(*) نظن أن اليونانية أخذت كلمة [فينيكوس] من العربية المصرية [فني خو].

[بني كنع] وهذا ترخيم، ثم وجدناها [بني كَ]، ثم وجدناها في المصرية [فني خو]. ثم أضافت اليونانية الأوس [OS] فأصبحت [فينيكوس]، ثم عرّبناها فأصبحت [فينيقي]. انتقلت بعدها إلى إيطاليا بلاد اللاتين فجعلوا عليها ترخيم [فينيكوس] كتبت هكذا بالـ [PH] فأصبحت بونيق - بونيقي، ثم ترخيم آخر فأصبحت [بوني].

إذن لديّ لفظ مفصول بين [بني كنعان] و [فينيقي]، ثم لدي انفصال آخر في فينيقي لتعني [متحضّر]، كيف ذلك ؟

إذن إن أساس كلمة فينيقي هي بني كنعان وليس كنعان، وهنا لنا وقفة. نقول: لقد كُتب التاريخ القديم حسب الفكر التوراتي والفكر الإغريقي، للأسف، فقد قسموا لنا ساحل بلاد الشام من صور فجنوب اعتبروه كنعانيّا، ومن صور إلى الشمال اعتبروه فينيقيّا. وكلاهما يخلو من الحقيقة العلمية والتاريخية واللغوية لماذا ؟ لأن صور هي أم الممالك الكنعانية وهذا نقش من جزيرة سردينيا غرب إيطاليا، يعزّز ذلك. يقول النقش ما يلي:

نقش عربي كنعاني وُجدَ في جزيرة سردينيا (التابعة لإيطاليا اليوم)[١٨]
ويرجع تاريخه إلى القرن الثامن قبل الميلاد

ب ت ر س س	بيت راس (س)
ن ج ر س هـ ا	سنجير رأسها
ب س ر د ن س	بـ سردينا (س)
ل م هـ ا س ل	سلامها سلام
م ص ر ا م	(م) صور أم
ل ك ت ن ر ن	مملكة نورا (ن)
س ب و ن ج ر	ننسب ونجير
ل ف م ي	لفمي

اللفظ : بيت راس، سنجير رأسها بسردينا، سلامها سلام **صور أم مملكة نورا**. ننسب ونجير لفمي.

التفسير: (العاصمة) بيت راس، سنجير رأسها بـ (جزيرة) سردينيا. سلامها سلام (مدينة) صور، (حيث صور) هي أم مملكة نورا، ننسب (ننسبها) ونجيرها، لفمي.

هذا النقش تاريخه القرن الثامن قبل الميلاد في جزيرة سردينيا يقول النقش (سنتكلّم آنيّا بالكنعانية): [بيت راس (ومنها جاءت الترجمة اللاتينية - كابيتولاس- لتعني بيت راس كما أقول الباب العالي) سنجير رأسها بسردينا، سلامها سلام صور. صور أم مملكة نورا (إلى الآن عاصمة سردينيا هي نورا) صور أم مملكة نورا، ننسب (من النسب) ونجير لفمي]. هنا نجد صور بأنها العاصمة، كيف أقسّم هذه العاصمة إلى نصف كنعاني ونصف فينيقي؟. ولا يغيب عن البال أن هذا النقش يؤرخ في القرن الثامن قبل الميلاد (أي أثناء أو قبل إنشاء روما).

عوداً لموضوعنا، إن اسم فينيقي هو مستعرب سريانيّا وعدنانيّا عن الإغريقية، لكنها كلمة سادت منذ عصر فرض الأغرقة بعد سنة ١٦٨ ق.م في احتفالات (دفنا / إنطاكية)[١٩].

ولما كان الفينيقيون قد اشتهروا بحضارتهم، فكل متحضّر سمّي فينيقيّا تيمناً بهم كما أسمّي العربي اللبناني الأنيق في هذه الأيام (باريزي) كناية عن أناقته بلباسه. تماماً كما أقول في عاميات دمشق اليوم:

مُبَغْدَدْ: نسبة لبغداد (شهم فخور بنفسه).

مُدَمْشَقْ: نسبة لدمشق (متحضّر) وتُلفظ حسب عاميات دمشق (مدَمْشأْ).

مُدَمْيَطْ: نسبة لدمياط (حلو الكلام / متكلّم / يعرف كيف يتكلّم).

باريزي: نسبة لباريز (أنيق).

فلان مُبَغْدَدْ، وفلان مدَمْشَقْ، وفلان مُدَمْيَطْ. ماذا نعني بذلك: فلان مبغدد فيه شهامة وفيه فخر بنفسه، فلان مدمشق نعني فيها فلان متحضّر ملبساً ومأكلاً وكلاماً، فلان مدميط نسبه لأهل دمياط نعني فيها حلو الكلام ومتكلم يعرف كيف يتكلم كلامه كثير (فلان مدميط)، هذا مدلول وليس بأصل كما هو كذلك عندما أقول [باريزي] لأعني أنيق.

وكلمة BATH في الإنكليزية التي تعني حمَام هي في الأساس اسم لمدينة في بريطانيا اشتهرت بحماماتها فسمّي الحمام BATH نسبةً لهذه المدينة. وكذلك فينيقيُّو في الأصل لا تعني متحضّر لكنها مدلول عن شعب متحضّر.

إذن كلمة فينيقيُّو في العربية السريانية مدلول مفصول، وهذا النوع يصعب الوصول إلى معناه الأساسي إلا بمعرفة التاريخ والكتابات القديمة.

كذلك أيضاً كلمة تدمر في **السريانية تدمورتو، تدمورتو تعني الأعجوبة**. إن تدمر في تاريخها معروفة في الألف الثاني قبل الميلاد وكانت قرية بسيطة إذن لم تكن أعجوبة آنذاك. بينما تطوّر تدمر عمرانيًا في القرن الثاني والثالث الميلادي أيام **سبطيم سفير الإمبراطور الكنعاني (١٩٣ - ٢١١ م)** الذي حكم روما (والذي كان يتكلّم اللهجة العربية الكنعانية في بيته في روما) والذي بنى الشارع المستقيم بتدمر فأصبحت أعجوبة ونسبوها إلى الجن، فإذن هو مدلول منفصل. في هذا العمران العجيب سمينا كل شيء نسبة إلى تدمر فأخذت كلمة تدمورتو مدلولا جديدا بمعنى الأعجوبة، فقد سمّي كل ما هو باهر الجمال أعجوبة. أما ما يقال بأن اسم تدمر في معناه يعني أعجوبة، فكيف لنا أن نسمّي شيئًا أعجوبة قبل بنائه؟

وأما معنى تدمر في مدرسة تفسير الأسماء هل هي عسكرية أم طبيعية أم دينية؟ فهي من الأسماء العسكرية التي تحمل معنى التدمير جاء إلى ذلك المتنبي، ولدينا تدمر ودمر ودامور ودميرة الأسماء كثيرة التي تحمل المعنى العسكري، عدا دميرة التي تأخذ معنىً طبيعيًا حيث تُدَمّر الأرض الزراعية بالفيضان.

وتحت مدلول الكلمة يأتي:

١- **التشبيه:** كأرض السواد أو أرض الكمة (المصرية) وتدمورتو وفينيقيُّو والكافر.

٢- **المجاز:** هو اللفظ المستعمل في غير ما وضع له مثل: (يجعلون أصابعهم في آذانهم) لأن الأنملة هي التي تدخل في الأذن وهي جزء من الإصبع.

٣- **المجاز المرسل:** كأن أسمّي قريشًا بالعرب وهم ليسوا كل العرب، وأن أسمّي القاهرة بمصر وهي ليست كل مصر، وأن أسمّي دمشق بالشام وهي ليست كل الشام، وأن أسمّي اللهجة العربية العدنانية باللغة العربية فهي ليست اللغة الأم (التي لا نعرفها) وهي ليست كل اللهجات العربيات بل هي لهجة من هذه اللهجات.

٤- **الاستعارة:** قال تعالى: ﴿الر كتابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾[٢٠] أي من الضلال إلى الهدى، فقد استعملت الظلمات والنور في غير موضعها الحيقي، وأيضاً يسمّى الكتاب [الطومار] لأنه يطمر فيه الكلمات.

٥- **الصفة كمدلول:** مثل [ابن بار] حيث أخذت الآرامية الصفة [بار] لتعني [ابن] وتركت الموصوف. وكذلك العدنانية حيث لدينا برّة بني المصطلق وهي زوجة الرسول وكقول الخنساء:

طويل النجاد رفيع العماد كثير الرماد إذا ما شتا

تريد في طويل النجاد: طويل القامة، رفيع العماد: سيد، كثير الرماد: كريم حيث ناره كثيرة الإيقاد للإطعام.

جاء في النقش الكنعاني الذي وُجد في البرازيل والذي يعود تاريخه لنهاية القرن الثاني قبل الميلاد، بعد دمار قرطاجة سنة ١٤٦ ق.م[٢١]:

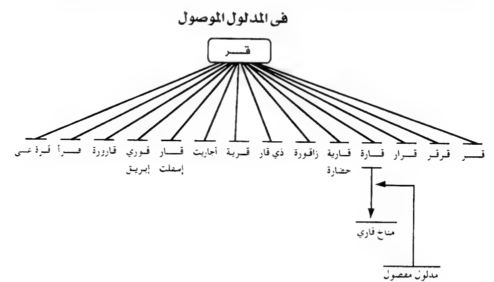
ك ن ع ن	ب ن	ح ن ا	هـ
كنعان	بني	حنا	ها
ح م ل	ح ق ر هـ	ف ر ن م	م
حمل	حق قاريه	فرنم	مِ
هـ ك	ج ص ل	ح ر	أ ش
هيك	حصل	حر	أيش

اللــفــظ : ها حْنا بني كنعان م فرنيم حق قارية حَمَلْ، إيش حر حصل هيك.

التفسير: ها نحن بني كنعان من (م) (مدينة) فرنيم. حق قارية حمل **(القارية للحضارة والبادية للبداوة)**، أليس (إيش) حرام أن يحصل بنا هكذا (هيك).

نتساءل هل هنالك صلة ما بين الكلمات التالية: قر، قرقر، قرار، قارَة، قارية (بمعنى الحضارة في النقوش الكنعانية) حيث القارية تعني الحضارة وفي قاموس لسان العرب نجد: البادية للبداوة والقارية للحضارة، زاقورة، قرية، أجاريت (أقاريت). قار (إسفلت). قوري (نستعملها على ضفاف الفرات قوري أي الإبريق)، وقارورة.

في المدلول الموصول



نقول نعم، هناك صلة: قرَ بمعنى استقر وأتت في الأكادية [قر] لتعني القلعة وهي بمعنى الاستقرار، وقرقر وهي صيغة الجمع بالتكرار وهي القلاع (قرقر). وقارة هي مكان استقرار لأنه لا يمكن الاستقرار في البحر، ثم ننتقل هنا من هذا المدلول الموصول لمدلول آخر هو المدلول المفصول حيث نقول المناخ القاري والمعروف عن المناخ القاري بأنه حار في النهار بارد في الليل، وفي الشتاء بارد قارص أما في الصيف فهو حارٌ قاس. هذا تعريف المناخ القاري عند الجغرافيين لكن لم تأت في المعنى الأساسي لكلمة [قر] إنما أُخذتْ من كلمة قارة فهو مدلول مفصول لتعني المناخ القاري، [والقرار مدلول معنوي متطوّر عن المعنى المادي، فالمدلول المادي يأتي في المرتبة الأولى لغة. والمدلول

المعنوي يأتي لاحقًا عن المدلول المادي]. فالمتطهّرون لغةً هم من يغتسلون بالماء. والمتطهّرون معنويًا هم أصفياء الروح والعقل، والقرار فيه معنى الاستقرار على رأيٍ من صفاته الديمومة والاستقرار.

قارية تعني حضارة، وهي مدلول مفصول، فبعد الاستقرار الدائم الذي يسود مع السلام تأتي الحضارة. قيل: وجاءني كل قارّ وبادٍ، أي جاءني كل متحضّر وبدوي.

[زاقورة] للحصول على جذرها لا بد لنا من إزالة السوابق واللواحق إن وجدت. حيث عرفت العربيات سوابق كثيرة من أشهرها: (زا - زو - زي) و(سا - سو - سي) و(دا - دو - دي) و(شا - شو - شي) وبقيت (شا) في الأكادية لتقوم مقام (ذا - ذو - ذي) وأخذت (شو) مدلول هو و(شي) مدلول هي. نأتي إلى [زاقورة] فالـ[زا] هي سابقة تعني (ذا أو دَ) ويعتبرها فقهاء اللغة أداة تعريف كما في السريانية اليوم (كثوبو د يلدو = كتاب الولد)، [قورة] جذرها [قر] وهي تعني قلعة أو مقر. فيكون معنى [زا قورة] بمعنى القلعة أو المقر وهذا ما ينطبق على الزاقورة. قد يتساءل سائل بأن زاقورة هي سومرية وليست أكادية، والسومرية ليست من العربيات: من المعروف، وهذا جدًا هام، إن كثيراً من الكلمات العربيات وجدت في السومرية (غير العربية) مثل: أكاروم بمعنى فلاح، كلمة حرثوم بمعنى محراث، كلمة ريعوم بمعنى راعٍ، كلمة نجاروم بمعنى نجار، كلمة قصاروم بمعنى قصار أو نساج. ويقول (هورست كلينكل) إن أكثر الظن بأن هذه الكلمات أُخذت من حضارة العبيد (٤٩٠٠ - ٤٠٠٠ ق.م) وبمعنى آخر. إن كانت اللغة هي مسبار وكشاف الشعوب فإننا نستطيع القول إن العبيديين كانوا عربًا (عاربة) في لغتهم، أي أن العرب معروفون أثريًا منذ الألف الخامسة قبل الميلاد. أي أنها إن كانت في اللغة السومرية كلمات من العربيات فلا مانع أن تكون كلمة [زاقورة] من العربيات.

[أُجاريت] جذرها جر = قر = جر، [أُ] سابقة للتنبيه وعرفت باللهجة العربية الأجاريتية بالضم والفتح، ومن هنا جاءت [الـ] التعريف حيث المدرسة البصرية تقول في [الـ] التعريف العدنانية بأن الألف للتنبيه واللام للتعريف حيث أبدأ في كلامي أقول: [الكتاب]، وعندما أضعها في جملة أقول: [قرأتُ لْكتاب]، ولكن فعليًا: نحن نكتب الألف كمصطلح إملائي لكن تبقى اللام للتعريف. وأما الياء والتاء [يت] لاحقة أجاريتية عمورية شهيرة أيضًا حيث أقول: عمشة = عمشيت، عفرة = عفريت. عمرة

= عمريت. إذن أجاريت تعني المدينة. ولدينا الآن في الساحة الجغرافية في منطقة حلب لدي هذه الألفاظ الثلاثة أقول: قرية و-رية وجرية. [القار] الإسفلت وقد سمي قارا لأنه يستقر بالأرض، ومن الجدير بالذكر بأن أول مدينة استعملت القار في العالم هي بابل وإلى الآن نستطيع مشاهدة القار في آثار وطرقات بابل.

مدلول كلمة عرب

في العدنانية:

عربة إسماعيل = بئر زمزم.
بئر عروب = بئرٌ كثيرٌ ماؤه
وادي عربة = وادي الماء.
امرأة عروب = متودّدة إلى زوجها كالماء الصافي.
العربات في دجلة = الطواحين التي تعمل على الماء.
العربات في دجلة = الزوارق التي تطفو على الماء.
ثم عربة على عجلات (مدلول مفصول).

في الآرامية:

ذا رب بيت عربا = هذا مدير دائرة الماء (في آرامية عربايا في العراق).
العرّاب في الكنيسة = الذي يعمّد الطفل بالماء.
التعريب = الفصل بالماء للقمح والبرغل والرز.

في الأجاريتية:

راكب عربة = راكب غيمة (صفة للإله حدد الذي يحدّد الأنواء، إله المطر والرعد والبرق).

في الأكدية:

عربتو = جو غائم

إن كلمة عرب ليس كما جاء في الفكر التوراتي بأنها تعني البداوة والصحراء لكنها تحمل في طيّاتها معنى الماء فلدينا: عربة إسماعيل: أي بئر زمزم، وادي عربة: وادي الماء، العربات في دجلة هي الطواحين التي تعمل بالماء، العربات في دجلة هي الزوارق

التي تمشي على الماء، ومن هنا أتى المدلول المفصول (العربة أو العربية لتعني السيارة) انتقل من النهر إلى موضوع البر هذا في العدنانية.

لنأت إلى الآرامية: العرّاب في الكنيسة هو ذاك الإنسان المسئول عن تعميد الطفل بالماء، التعريب في لبنان يقول عرّبت بمعنى فصلت في الماء ما نسميه في سوريا التصويل أو خلافه. وهناك وظيفة في مملكة عربايا الآرامية التي عاصمتها الحضر (شمال بغداد) وهذه الوظيفة هي [ذا رب بيت عربا] أي المدير المسئول عن بيت الماء لتوزيعه..

نأتي إلى الأجاريتية: من صفات الإله حدد إله البرق والرعد والأمطار بالأجاريتية اسمه [راكب عربة] أي راكب الغيمة حاملة الماء. وفي الأكادية: [عربتو] تعني الجو الغائم حامل الماء[٢٢].

فى المدلول الموصول

حــر

حــر — حــرارة — حــرَة — حرّات — حــرير

مدلول مفصول:

حــــرتـا = معسكر

حــــيــرة = معسكر (لفظا ومعنى)

حــــارة

والآن نأتي إلى كلمة [حر]، دعونا نصلها ما بين، حر، حرارة، حرّة، حرّات. حرير، حرتا، حيرة، حارة. نقول: الحر هو الحر، والحرّة الصخور البركانية التي عرفها الإنسان ولا نزال نعرفها وهي تحمل الحرارة بواسطة ما نسميه البراكين وجمعها حرّات. وحيث كان العصاة عندما يفرّون من وجه (السلطة) يأتون إلى هذه الحرات لأنها موانع طبيعية

ضد المشاة والفرسان، وإذا بالجيش أصبح يأخذها كمعسكرات للإقامة، فانتقل المدلول بها إلى المعسكر، ثم أتت حرتا بمعنى معسكر في الآرامية، والحيرة هنا إبدال لفظي بالمعنى، ثم تأتي الحارة ومن صفات الحارة أن يكون لها باب يغلق في الليل فهي كالمعسكر، وأما الحرير نعلم أن الحرير لباس شتوي وليس لباساً صيفيّاً من مميزاته الرقة لكن يعطينا الحرارة ومن الجدير بالذكر أن تحليل خيط الحرير هو نفسه خيط الصوف تماماً في إمكانيته الفيزيائية.

٦- **التضاد كمدلول:** كأن أقول للأعمى بصير.

التضاد كمدلول

في العدنانية: الأعمى = البصير.

في الآرامية: عشق = بغض.

وشب = وثب= جلس

يعين = يعذَب | ساب = أرجع(٢٣)

[illegible] | [illegible]

ي ع ن و | ي س ب هـ

في الأكدية: خلقوم (خلق رم) = بالٍ

ففي التضاد: لك الحق في اعتباره مدلولا موصولا أو مدلولا مفصولا فهو بين ذلك وذاك. لكن نود أن نضعه بالمدلول المفصول.

نأتي إلى بحث هام في المدلول حيث هناك معنى التضاد. لقد عرفت اللغة التضاد في المعنى فأقول في العدنانية البصير بمعنى الأعمى (تضاد)، في الآرامية عشق بمعنى بغض (تضاد)، وشب أو وثب تعني جلس تحمل معنى (التضاد)، في الأكدية، لدي كلمة خلقوم بمعنى بالٍ حيث الخلق في الأساس الوجود. والبلاء هو عدم الوجود فهو (تضاد)، وإلى جانب الأكادية نجد هذا المعنى في العدنانية يقول الشاعر:

وكل جديدٍ صائرٌ لخلوق، أي سيُبْلى.

وكقول الشاعر:

قد يدرك الشرف الفتى ورداؤه خَلَقٌ وجيب قميصه مرفوع

ومن شروط التضاد أن يأتي المعنى مخالفاً بالاتجاه بـ ١٨٠ درجة وفي أكثر الأحيان

وخاصة العربية الآرامية كانت تستعمل المعاني الجميلة أي أن كلمة (عشق) كلمة جميلة أما كلمة (بغض) فهي كلمة غير جميلة لذلك كانت كلمة عشق تعني بغض في الآرامية، أيضاً نجد وثب تعني جلس حيث الوثوب فيها الحركة والنشاط وفيها الجمال بالعكس من الكسل، والآية الكريمة عندما أتى جبريل إلى سيدتنا مريم قالت: (إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيّا) إذا طبقنا مدرسة التضاد عليها (إن كنت تقيّا) بمعنى (إن كنت شقيّا) وخاصةً بأنها لهجة عربية آرامية تخص السيدة مريم فهل يستقيم المعنى؟ الله أعلم[٢٤].

في المدلول المفصول

طعن (بالمسبار)

⇩

طاعون (حِمْلٌ) في آرامية تدمر

⇩

طعونو (في السريانية)

⇩

ظعينة = هودج

⇩

ظعينة = امرأة بالهودج (عروس)

⇩

ظعينة = الجمل نفسه

في المدلول المفصول: طعن، وطاعون، وطعونو بالسريانية، وظعينة بمدلولاتها. نجد في الكتابات التدمرية وخاصة في التعرفة الجمركية التدمرية ما يلي: [نجبي مكسا (نجبي المكس) من طاعون جملا (من حمل الجمل)] طاعون هنا بمعنى الحمل أو الكيس الذي يطعن بأداة السبر لفحص نوعية البضاعة والحمل أخذ معنى الطعن فانتقل المدلول من عملية الطعن إلى المطعون فأصبح الحمل يسمّى طاعون. ولديَ طعونو في السريانية، أتينا إلى العدنانية فإذا بالظعينة هي المرأة المحمولة في الهودج. ثم انتقل الاسم من الظعينة (المرأة) إلى الهودج نفسه فأصبح ظعينة، ثم انتقل المدلول إلى الجمل نفسه فأصبح ظعينة.

في المدلول المفصول

بردي (ورق البردي)

⇩

بريد (البريد)، في العاميات برِيد (باب البريد بدمشق)

⇩

بريد (في العدنانية)

نأتي إلى كلمة كنا في حيرة فيها كلمة [بريد] من أين أتت؟ وجدنا كلمة بريد موجودة في أجاريت بمعنى بريد أيضًا، ووجدنا هذا الاسم في الكنعانية أيضًا اسمه [فلكون = اسم البردي][٢٥] فيتوارد لنا: لقد كانت الصلة ما بين كنعان ومصر وأجاريت شهيرة جدًا لذا نقول بأن كلمة البريد من ورق البردي، وهو من باب الظن، ففي دمشق وفي عامياتنا إلى الآن لدينا باب البريد (بتسكين الباء) وهو بمعنى باب البرِيد في العامية، فهل البريد من ورق البردي؟ الله أعلم. ونقول إنّا نظنَ (لا نرجّح ولا نقرّر).

في المدلول المفصول

كن (بيت)

⇩

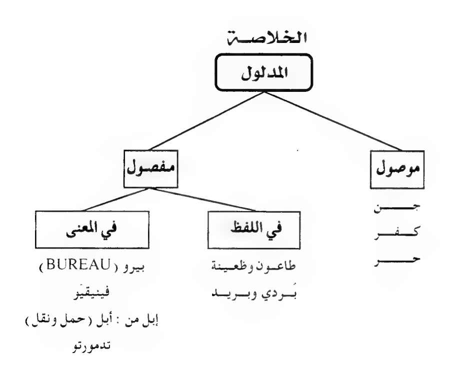
كانون (بيت النار)

⇩

كانون (اسم شهر يستعمل به بيت النار الكانون)

وجعلنا من الجبال أكنانًا (أي بيوتًا).

نأتي على كلمة الكن والكانون، الكن البيت. جاء في القرآن الكريم: ﴿ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِمَّا خَلَقَ ظِلالاً وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تُسْلِمُونَ ﴾[٢٦] أي وجعلنا من الجبال بيوتًا، أضفنا الواو والنون فأصبحت كانون هذه لاحقة كنعانية بمعنى بيت النار ثم أخذت مدلولا للشهر الذي يوقد فيه بيت النار (الكانون) فأصبح اسم الشهر كانون.



نجد مدلول الكلمة ينقسم إلى قسمين قسم موصول وقسم مفصول. الموصول مثل كلمة (جن وجني) حيث هناك صلة دائمة بالمعنى الأساسي. وهناك المدلول المفصول حيث ينقسم قسمين: الأول مفصول في اللفظ مثل طاعون وظعينة. والثاني: مفصول في المعنى ككلمة بيرو وفينيقيَو وإبل. حيث [أبَلَ] تعني [حَملَ و نَقَلَ] بالأكادية ومنها الإبل التي ليس لها فعل في العدنانية.

أخيراً لا بد لنا من ذكر التالي:

١- علم الدلالة علم قديم عند العرب أخذ به الخليل بن أحمد الفراهيدي وابن جني وابن خلدون. وقلّة قليلة فيمن عداهم إلا أنه أخذ سنَةً من النوم عند الباقين[٢٧].

٢- علم الدلالة في الغرب الأوروبي أصبح له مكانته منذ القرن التاسع عشر وكثرت أبوابه وتفاصيله، إلا أن مادته ضحلة (ودُرس تحت اسم الإيتومولوجيا أي معرفة تاريخ اللغة).

٣- لم يتوسّع العرب المحدثون بعلم الدلالة كالأوروبيين رغم أن مادته كبيرة وواسعة فيها شجونٌ ومتعة.

٤- لا يغيب عن البال أن إدوارد لين وهو البريطاني الذي اعتنق الإسلام ولبس الجبة والعمّة ودخل الأزهر وتعلم العربية وأخذ بترجمة معجم لسان العرب على مستوى (ADAPTATION) وهذا المعجم الإنكليزي - العربي هو أساس في قراءة النقوش التي سميت سامية ولم يشيروا إليها.

٥- لقد اعتنى بعض علمائنا العرب المحدثين بعلم الدلالة ومنهم:

- علي عبد الواحد وافي في كتابه: فقه اللغة وعلم اللغة.
- صبحي الصالح في كتابه: دراسات في فقه اللغة.
- محمد الإنطاكي في كتابه: دراسات في فقه اللغة.
- أحمد مختار عمر في كتابه: علم الدلالة.
- محمد عنبر في كتابه: الحرف العربي وفيزيائية الفكر والمادة.
- تمام حسان في كتابه: الأصول.

وغيرهم.....

يقول فندرس في كتابه اللغة: [إن دراسة التطور الدلالي للمفردات (مدلول الكلمة) جزء من مهمة علم الإيتومولوجيا (تاريخ اللغة) وهو فرعٌ من أهم فروع فقه اللغة (أي فهم اللغة) وتنحصر مهمته في أخذ ألفاظ القاموس كلمةً كلمة وتزويد كل واحدة منها بما يشبه أن يكون [بطاقة شخصية] يذكر فيها من أين جاءت ومتى وكيف صيغت والتقلبات التي مرت بها من جهة المعنى أم من جهة الاستعمال.

لقد حقق الغرب الأوروبي شيئاً من هذا فهذا معجم Dictionary of Word Origins (معجم أصول الكلمات) قد صدر لديهم، ونحن نأمل في هذا العمل أن يتطور ولا ينقصنا سوى التعاون بيننا نحن العرب فيكفي لهجاتنا العربيات أنها تنتمي إلى الأصول أصل الجذر الثنائي والجذر الثلاثي وهذا ما لا نجده في أكثر لغات العالم.

وختاماً أقول: كم أتمنّى على علماء اللغة والمختصّين بقراءة النقوش القديمة ولا سيما الأكاديات والمصريات والكتابات الكنعانية والآرامية والسبئية، الاهتمام بهذا الباب من البحث، بحث علم الدلالة واختلاف مدلول الكلمة إلى جانب ما ذهبنا إليه في مقدّمة البحث وخاصة فقه الإملاء وكذلك فقه اللفظ في الكتابات القديمة للهجات العربيات من الأكادية وحتى السبئية. وستكون النتائج باهرة.

وبكلمة أخرى: إن علينا دراسة كافة اللهجات القديمة بمدرسة لغويّة واحدة ولو اختلف نمط الخط.

وأخيراً أحيّي كلا منكم باللهجة العربية الأكادية فأقول:

أخي أَتَ جُمْلاَنَكَ مَلكَ عليَ

أي أخي أنت جميلك ملك علي حياتي ، أخي أَتَّ جُمْلاَنَكَ مَلَكَ عليَ، والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته. و [بطوبا و سلام].

الحواشي

١- للمزيد حول هذا الموضوع راجع كتابنا : ملامح في فقه اللهجات العربيات (من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية) . [هل العدنانية أقدم اللهجات] ، دار شمأل . دمشق . ط٢ ، ١٩٩٩ ، ص ١٣٢ .

٢- يستعمل علامتنا الأستاذ العميد محمد علي مادون مصطلح [الكلمات المتحجرة] بدل [الكلمات الميّتة] وهو أمر مقبول .

٣- المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة ، جامعة عين شمس ، كلية الآداب ، القاهرة ، ١٩٥٨ ، ص ٤٤ .

٤- القرآن الكريم ، سورة يوسف ، الآية ٨٨ .

٥- ورد في المعجم المذكور ص ٤٤ :

مدير إقليم = عز = [hieroglyph] = ᶜd̲ .

٦- راجع كتابنا (ملامح في فقه اللهجات العربيات) ، إشكالية اللفظ في النقوش والكتابات القديمة ، ص ٢٩١ .

٧- محمد السوسي ، العلوم العربية بالأندلس ونقلها إلى أوروبا ودورها في تطور العلوم . محاضرة في الندوة الدولية للثقافة العربية الإسبانية عبر التاريخ ، محاضر من تونس . دمشق . ١٩٩٠ . ص٢ .

٨- المرجع السابق .

٩- القرآن الكريم ، سورة الحديد ، الآية ٢٠ .

١٠- نظن أن هذه الأسماء [كفر] انتشرت زمن حكم العرب العموريين الهيك سوس في مصر (١٧٣٠ - ١٥٧٥ ق.م) . حيث كان من أهم ملامح ما ظهر في مصر في هذه الفترة :

١- إدخالهم للحصان . ٢- إدخالهم للعربة . ٣- إدخالهم لصناعة الحديد .

٤- تطويرهم لصناعة البرونز . ٥- تطويرهم للزراعة .

وكلمة [كفر] موجودة في أكثر اللهجات العربيات العمورية والكنعانية والآرامية .

١١- أقدم لاحقة نجدها في العربيات هي الألف والنون [آن] ، ونخص بالذكر الأكادية . فقد عرفنا إله التدجين والإقامة [دجان : دجن + ان = دجان] حيث [آن] رب الأرباب . ثم انتقل اسم الإله إلى الساحل الكنعاني فوجدناه [دجَون] ، وهكذا فقدت [آن] مدلولها الديني كلاحقة لغوية وانتشرت في الكنعانية في العديد من الكلمات : [عرم = عرمون] ، [كفر = كفرون] . [قاسي = قاسيون] . وكذلك أخذتها العدنانية بمعنى التصغير من باب التضادّ في اللغة حيث أقول للكريم جدًا [كريْم] ، (وهذا هو تطوّر اللاحقة الإيتومولوجي (التاريخي) .

١٢- ابن منظور ، لسان العرب ، مادة [جنن] .

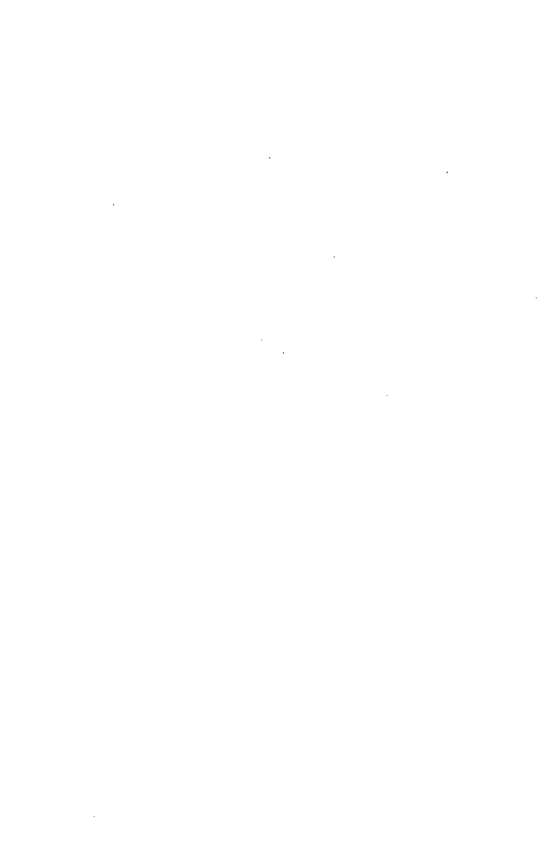
١٣- وافي علي عبد الواحد، علم اللغة. دار نهضة مصر، ط٩، القاهرة، ١٩٤٥، ص ٣١٥ .
١٤- أحمد بدوي - هيرمان كيس، ص ١٠٠ .
١٥- القرآن الكريم، سورة النجم، الآية ٦ .
١٦- لمزيد من المعلومات: راجع كتابنا: [ملامح في فقه اللهجات العربيات من الأكادية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية]، ص ٣٠٥ - ٣١١ .
١٧- كلمة [كليوباترة] وُجدت في الهيروغليفية [قليوبادرات] لكن تواتر لفظها أتى بالتاء المربوطة.
١٨- Donner H. _ Rollig W., Kanaanaieche und Aramaisch Inschriften _ Otto. Parrassowitz Wiesbaden, 1969.
١٩- العابد مفيد، تاريخ الإغريق، جامعة دمشق، ١٩٨٨ .
٢٠- القرآن الكريم، سورة إبراهيم، الآية ١ .
٢١- فاضل عبد الحق، مجلة اللسان العربي، العدد ٣، ربيع الثاني ١٣٨٥، آب ١٩٦٥. الرباط.
٢٢- قبيسي محمد بهجت، ملامح في فقه اللهجات العربيات، ص ٨٤ - ٨٥. عن معروف الدواليبي وإحسان عباس وابن فارس والفيروز آبادي.
٢٣- ولفنسون إسرائيل، تاريخ اللغات السامية، دار القلم، بيروت، ص ٩٧. ورد في نقش ميشع السطر ٥ + ٨:
[يعينو]: 𐤏𐤍𐤅 يعيــن يعذب 𐤉𐤎𐤁𐤄 [يسيبها]: ساب أرجع

ي ع ن و ي س ب هـ

٢٤- في القرآن الكريم الكثير من اللهجات العربيات. ففاتحة الكتاب نجد: [الْحَمْدُ لله ربِّ العالمين] فالعالمين هو جمع عربي آرامي حيث جمع عالم في العدنانية هو عوالم بينما الجمع بالآرامية يكون بالياء والنون دوما مثل: جسر جمعها جسرين بمعنى جسور، جمل جمعها جملين.
٢٥- [فلوكا] = الزورق (المركب) الذي يسري بمدلولات الفلك والنجوم. والبريد يُحمل ويُنقل بالفلوكا، فأصبح اسمه [فلكون].
٢٦- القرآن الكريم، سورة النحل، الآية ٨١ .
٢٧- تعليقاً على قولنا [إن هذا العلم قد أخذ سنةً من النوم بعد الفراهيدي وابن جني وابن خلدون]. لا شكّ أن هناك أسماء من علماء لغة آخرين أمثال: ابن قتيبة والفارابي والراغب الأصفهاني، كانوا قد بحثوا في علم الدلالة. إلا أنه من المفيد أن نشير بأن الأمثلة التي طرحها أكثر هؤلاء العلماء بقيت تُكرر نفسها إلى حدٍّ ما.

د. نائل حنون

قراءة عربية
لشريعة حمورابي الأكّدية



قد لا تكون هناك بقعة على وجه الأرض دفعت ثمن التفوق الصناعي والتقني مثلما دفع الوطن العربي، وكان هذا الثمن تجزيء الوطن واختلاف القوم.. أوصال تقطع ونزف يتدفق هنا وهناك، حتى وصل إلى طعنة في الكبد وغارات وغزو واحتلال، وكما ردد غاليليو غاليلي ذات يوم، وسط قهره أمام بطش الطغيان والجهالة، عن عافية الحقيقة برغم كل ما لاح من تراجع، نقول اليوم بأنه على الرغم من كل ذلك يبقى الوطن العربي مهداً للحضارات الرائدة في تاريخ البشرية، ويبقى موطناً للتحولات والاختراعات الأولى الكبرى في التاريخ، وعلى رأسها الكتابة، بواديه الخالدين: الرافدين والنيل وقد احتضنا في القلب بينهما مَرْبَع الهجائية الأولى، وليس سوى هذا الوطن الكريم، وإن أثخنته الجراح، مهبطًا للرسالات العظمى السماوية.

والكتابة الأولى حفظت لنا مدونات الجدود، وهذه المدونات كنز من التجربة مكنون، وهي ضمانة عمق ترسخ موقعنا في وجه أعاصير عالم اليوم وتحديات عالم الغد، إن الكتابة التي اخترعت في الوطن العربي قبل نحو خمسة آلاف عام هي أم الاختراعات في تاريخ البشرية. فقبل هذا الاختراع العظيم كان الإنسان في مسيرته الحضارية، يعوزه الهدف وتنقصه الوسيلة، وحين توصل إلى تحديد الهدف تمكن من ابتكار الوسيلة، وكان الهدف منع موت التجربة مع صاحبها ومع جيلها وفي مهدها، وإنما تحقيق نقلها للآخرين عبر المكان والزمان، ومن جيل إلى تالٍ له، بهذا ضمن استمرار التطور بإيقاع متصاعد وبإضافة خبرة إلى خبرة، وتجربة إلى تجربة، فلا يبدأ جيل من الصفر أو مما هو أعلى من «الصفر» بقليل، وإنما يبدأ كل جيل من حيث انتهى إليه الجيل السابق، وحين وضح الهدف تحرك العربي القديم لاختراع الوسيلة، فكانت الكتابة.

إن ما تحقق من اختراع الكتابة هو حفظ المعلومات وتثبيتها على لوح الكتابة لتنتقل، بنقله، من شخص إلى شخص، ومن مكان إلى مكان، ومن جيل إلى جيل، ومن عصر إلى عصر، وهكذا حين يغادر مسرح الحياة شخص أو جيل فإن ما تعلمه لا يختفي معه بل يحفظه اللوح المكتوب ليكون تحت تصرف من يستفيد منه ويضيف إليه، وفي بلاد

الرافدين، موطن اختراع الكتابة المسمارية، واصل السكان القدماء التدوين، فصاغوا وألفوا ووثقوا على آلاف من ألواح الطين شتى صنوف المعرفة لمدة تزيد على ثلاثة آلاف عام، وهذه واحدة من أطول وأغنى التجارب الحضارية في تاريخ العالم، وهي تجربة في ممارسة الحكم والإدارة، في الإبداع والتأليف، في تنظيم شئون الحياة وتقنين القوانين وفي التوثيق والاتصالات، وحين انتقلت الحضارة إلى مرحلة جديدة انطمر هذا التراث الضخم تحت التراب في آلاف المواقع الآثارية في العراق وسوريا ومصر وأطراف دولتي تركيا وإيران، وطواه النسيان حتى اكتشف بعد حوالي ثمانية عشر قرنًا من الجهل به، وفي هذه المرة انتقل مسرح الأحداث إلى الغرب، فإلى هناك أخذت أولى الألواح المكتشفة، وهناك حلت الرموز، ومن هنا صدرت الترجمات والدراسات عن ذلك التراث، وتواصلت البحوث إلى يومنا هذا حتى بلغ ما صدر عن النصوص المسمارية القديمة المئات من الكتب وآلاف الدراسات والمقالات باللغات الأوروبية، وبالآسيوية أيضًا في العقود الثلاثة الأخيرة.

ولكن أين نحن من هذا؟ لقد كنا بعيدين عن التعامل مع تراثنا، وفي هذا ظلم لنا وظلم للتراث نفسه، فنحن أصحاب تلك التجربة الحضارية، ومدوناتها هي تراثنا القومي، ويمكن لهذا التراث أن يفهم بأقصى درجة يصلها الإنسان المعاصر فيما إذا كان شيء منه لم يزل يعتمل في فكر من يتعامل مع وفي وجدانه، وهذا هو ما يمكن أن يكون عليه دورنا في دراسة نصوص الأجداد وحضاراتهم الأولى، ولكن قرونًا من الإخماد على يد الحاكم والمستعمر الأجنبي تضافرت مع إرادة متشعبة غامضة تسعى بشراسة لتضمن بقاءنا بعيدين عن استجلاء تراثنا، ولقد كان لأستاذنا الفاضل الدكتور علي فهمي خشيم أن تصدى قبلنا لهذا الموضوع وأفاد فيه، ويقودنا التفكير لنتصور إنسانًا أكمل العقد الخامس من عمره يكتنز فكره بأصول المعرفة والتجربة، وتعتمل في وجدانه خبرات وأفكار ثرة، وهو كان قد أعطى الكثير مما امتلك، وعلم الآخرين ما لم يكونوا يعلمونه، وحين شب هؤلاء أصبح همّا لهم أن يبعدوا هذا الإنسان عن عقوده الثلاثة الأولى، وتساءلت يومًا لماذا؟ فوجدت الجواب واضحًا: لتمحى خبرة تلك العقود من ذاكرته، ويقفز أمام ناظري سؤال آخر: ما الذى يحققونه من ذلك؟ فيأتي الجواب: إبقاء هذا الإنسان بلا وعي وبخبراته الأولى وبلا رصيد من خبرة سوى خبرة العقدين الأخيرين من عمره فقط، وبهذا يفقد أهم مصادر قوته الحقيقية ويغمط فضله، وهذا هو

ما حصل لمهد الحضارات الإنسانية ولأصحاب أصولها الأولى.

إن تأخرنا في مضمار التعامل مع النصوص المسمارية لا يجب أن يجعلنا متلقين فقط لما يقرأ منها في الغرب.. ولا ينبغي أن نبقى حائرين أمام ما حملته آلاف الألواح الطينية المدونة بالكتابات المسمارية، ولكن كيف يمكن تطوير دراستها ونحن لم نقم بتعريب أصول هذه الدراسة أساسًا؟ وكيف نفسرها ونحن لا نملك المعاجم اللازمة لذلك؟ ومن الحيف أن يحدث هذا في بلادنا العربية حيث لم تزل جذوة الحضارة ذاتها موجودة والتواصل اللغوي مستمرًا، لقد نجح الغرب في إصدار معاجم للكتابة المسمارية وللغة الأكدية، والبدء في إعداد معجم للغة السومرية، وما كان هذا بالأمر الهين، ولكن ينبغي أن تصدر معاجم أفضل في العربية لتطور دراسة تلك النصوص القديمة. ولكي تكون هذه المعاجم أوضح وأكمل يجب ألا تكون ترجمة للمعاجم الغربية أو مجرد مسارد لها، وإنما المطلوب معاجم يختط لها منهج رصين يحقق نتاجًا علميًا وافيًا.

من هنا حددنا منهجًا جديدًا للمشروع العلمي الذي حمل عنوان «المعجم المسماري: معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية» الذي خطط له بأن يكون في أربعة أجزاء، صدر الأول منها عن «بيت الحكمة» في بغداد عام ٢٠٠١م، يتلخص المنهج الذي وضع للمعجم المسماري في محاولة إعداد وسيلة علمية لتمكين القارئ العربي، مختصًا كان أم غير مختص، من التعامل مع اللغتين السومرية والأكدية ونصوصهما المدونة. وبعبارة أخرى إن هذا المعجم أعد ليكون نافذة نطل منها على النتاج الضخم لتلك الحضارة العربية القديمة الرائدة والأصيلة، وليهيئ الفرصة لنا، ونحن وارثو ذلك التراث الحضاري الذين تأخروا في الاطلاع عليه وآن الأوان لهم للتواصل معه وفهمه واستيعاب مغزاه للحاضر وللمستقبل، ولكي نلم بمدى عمق ذلك التراث نتجه إلى لغة الأرقام لنعرف بأن ما لم يزل تحت ترابنا العربي، في المواقع الآثارية، من ألواح ورقوم مدونة بالكتابة المسمارية قد يتجاوز مئات الآلاف، أما ما استخرج من هذه الألواح والرقوم لغاية يومنا هذا فيتراوح ما بين ٢٥٠٠٠٠ - ٣٠٠٠٠٠ لوح ورقوم منتشرة الآن في مختلف أنحاء العالم سواء في المتاحف أو المجموعات الخاصة، لم يترجم من هذه الرقوم سوى أقل من نصف هذا العدد، وما ترجم منها قبل ثلاثين عامًا وأكثر بحاجة اليوم إلى إعادة ترجمة بسبب التطور الذي طرأ على علم الآشوريات (وهو العلم الخاص بقراءة النصوص المسمارية وترجمتها) وبهذا فإنه يكون لدينا ما يزيد على المائتي لوح ورقوم

تحتاج إلى القراءة والترجمة، وفي العراق كان عدد الرقوم الموجودة في المتحف العراقي، ولم يقرأ منها سوى النزر اليسير، لغاية الهجوم الأمريكي - البريطاني واستباحة المتحف العراقي والمكتبات ودور العلم وأرواح الأساتذة والعلماء وسائر الأبرياء، أكثر من سبعين ألف رقيم.

حين أذكر الألواح والرقوم فأنا لا أتحدث عن نقوش وجمل متناثرة قطعًا، وإنما عن نصوص زاخرة بشتى صنوف المعرفة، ولكي أقدم فكرة عن بعض مضامين هذه النصوص أعرض خلاصة بسيطة جدًا عن النصوص الأدبية فقط، تاركًا النصوص الأخرى، من قضائية وإدارية واقتصادية وعلمية وطبية ورياضية وفلكية وتاريخية وملكية ورسائل وعقود... إلخ، إلى فرصة أخرى، إن المسح الشامل لكل ما اكتشف، حتى يومنا هذا، من نصوص أدبية مدونة بالسومرية وبالأكدية يأتي بنا إلى أرقام يجب علينا التوقف عندها لنعرف مواطئ أقدامنا ونحدد ما يتوجب علينا في التعامل مع نصوصنا القديمة، تتوزع النصوص الأدبية السومرية على تسعة أبواب أدبية، هي: الروايات والأساطير والملاحم (٢٧ نصًا)، الترانيم والابتهالات (٢٨ نصًا)، المراثي (٨ نصوص مع مجموعتين)، الرسائل الأدبية (مجموعتان)، المناظرات والحوارات والإرشادات (١٧ نصًا)، القصص التعليمية والتاريخية وأدب الحكمة (٨ نصوص مع ثلاث مجموعات)، أدب السحر والتعاويذ (٤ نصوص مع مجموعة واحدة)، الهجاء والنقد (نص واحد) ومجموعات من النصوص الأدبية المتفرقة (١٣ نصًا)، أما النصوص الأدبية الأكدية فتتوزع على عشرة أبواب، هي: الروايات والأساطير والملاحم والسير (٥٢ نصًا)، التراتيل (٢٢ نصًا)، التسابيح والابتهالات (١٣ نصًا) المراثي (٦ نصوص)، الرسائل الأدبية (١٤ نصًا)، المناظرات والحوارات (٧ نصوص)، أدب الحكمة (١٦ نصًا)، أدب السحر (٣٥ نصًا)، أدب الهزل والهجاء (٧ نصوص)، ونصوص متفرقة أخرى (٩ نصوص)، ونلاحظ هنا تطابق الأبواب الأدبية السومرية والأكدية تقريبًا.

هنا يجد المرء نفسه أمام مسألتين مهمتين لهما دلالتاهما: الأولى أن العلماء الذين تصدوا لدراسة تلك النصوص الأدبية السومرية هم: إدزارد (Dietz otto Edzard)، فلكنشتاين (A.Falkenstein)، قلكه (C.wilcke)، كريبرنك (M.krebernik)، كريشر (J.Krecher)، كريمر (S.N.Kramer)، جوردن (E.I.Gordon)، لامبرت

(M.Lambert) ، هالو (W.W.Hallo) ، هايمبل (W.Heimpel) ، وياكوبسن (Th.Jacobsen) ، والعلماء الذين درسوا الأدب الأكدي وترجموا نصوصه هم : جنسن (P.Jensen) ، دورمه (E.Dhorme) ، كَرسمان (H.Gressman) ، فلكنشتاين (A.Falkenstein) ، ڤون زودن (W.Von Soden) ، لابات (R.Labat) ، وسو (M.J.Seux) ، نحن ندين لهؤلاء العلماء بالفضل ويتوجب علينا الثناء على جهودهم ، ولكن أين الأسماء العربية ؟ وأين العرب في ذلك ؟

والمسألة الثانية تتجسد من خلال عرضنا لأعداد هذه النصوص الأدبية القابلة للزيادة طبعاً باستمرار الاكتشافات الآثارية وبمواصلة قراءة نصوص جديدة ، فمجموع النصوص الأدبية السومرية التي ذكرناها يصل إلى (١٠٦) نصوص مع ثماني مجموعات أدبية ، أما النصوص الأدبية الأكدية فيصل مجموعها إلى (١٨١) نصّاً مع ثلاث مجموعات أدبية ، من هذا المجموع كله بلغ مجموع ما ترجم إلى اللغة العربية ثمانية عشر نصّاً أدبيّاً ، ولم تكن هذه الترجمة من النصوص الأصلية وإنما من الترجمات الأوروبية الحديثة ، وهناك أحد عشر نصّاً أدبيّاً أعدت خلاصات عنها باللغة العربية بالاستناد على الترجمات الأوروبية الحديثة أيضاً ، أي أنه ، وللأسف الشديد ، لم يقرأ ويترجم نص أدبي واحد ، وبضمن ذلك ملحمة جلجامش ، من الأصول السومرية والأكدية إلى العربية مباشرة ! وإذا أتينا على ذكر نصوص المواضيع الأخرى لوجدنا الدور العربي أكثر تواضعاً مما كان عليه في دراسة النصوص الأدبية وقراءتها فيما إذا استثنينا مجموعات محددة من النصوص القصيرة مثل الرسائل أو العقود التي درس معظمها في رسائل وأطاريح جامعية .

ومن بين النصوص المهمة جدّاً التي لم تقرأ باللغة العربية عن النص الأصلي مباشرة وإنما وَصلتنا عن طريق الترجمات الأوروبية «شريعة حمورابي» ، فهناك خمس ترجمات عربية لشريعة حمورابي نقلت جميعاً من اللغات الأوروبية الحديثة ونشرت في مصر وسوريا والعراق ما بين الأعوام ١٩٢٣م - ١٩٧٩م ، إننا حين نؤكد على أن أيّاً من تلك الترجمات العربية الخمس لم تكن مباشرة من النص البابلي المسماري ، لا نحاول إطلاقاً التقليل من أهميتها ، وإنما لنثبت حقيقة لا يعرفها الكثيرون ، حتى في أوساط المختصين ، هذا من جهة ، ومن جهة أخرى فإنه ينبغي بنا أن نبين ضرورة إنجاز ترجمة جديدة ، وهو العمل الذي تأخر كثيراً . . وفي الواقع إن تلك الترجمات التي أشرنا إليها ، سدت فراغاً

في المكتبة العربية لمدة طويلة، إذ لم يكن من المعقول أن يكون القارئ العربي محرومًا من الاطلاع على هذا النص المهم جدًا في تاريخ الحضارة الإنسانية، وهو متيسر للقارئ الأوروبي والأمريكي، أو لمن يقرأ اللغات الأوروبية فقط، وأيضًا لم يعد مقبولا أن نبقى، أطول مما بقينا، على غير معرفة بالمعنى الدقيق لنص شريعة حمورابي، ذلك المعنى الذي لا يمكن تقديمه إلا من خلال اللغة العربية لصلتها الوثيقة بالأكدية - البابلية، ولانتمائها إلى عائلة لغوية واحدة، وهذه الصلة ضاعت حينما مرت الترجمة بلغة ثالثة غريبة عن كلتا اللغتين، ولا يقتصر الأمر على الصلة اللغوية فقط وإنما يمتد إلى ضياع المصطلح القانوني الذي كان بالإمكان إظهار التعبير الدقيق عنه بالترجمة العربية المباشرة، وزيادة على ذلك غابت عنا، من خلال الترجمات السابقة، معان وتعابير قد لا تنقل باللغات الأوروبية بمثل ما يمكن أن تنقل به في اللغة العربية.

فضلا على ما تقدم هناك أسباب تجعل من تقديم قراءة جديدة عربية - عدنانية لشريعة حمورابي من النص البابلي ضرورة ملحة في الوقت الحاضر، ومن هذه الأسباب أن شريعة حمورابي تمثل إرثًا وطنيًا وقوميًا، وهي جزء مهم من العطاء الذي قدمته أمتنا للحضارة الإنسانية، على صعيد الفكر والقانون وبناء الدولة وتنظيم العلاقات الاجتماعية واحترام حقوق الإنسان، في وقت كانت أمم الأرض الأخرى فيه لم تزل تتلمس طريقها في ظلام البدائية، ولذلك فإنه لواجب وطني أن نتعامل مع هذا الإرث مباشرة ونستعيد دورنا في تقديمه من جديد لأبناء أمتنا، ونوصل من خلاله رسالتنا للبشرية، كذلك فإن مثل هذه الترجمة توضح مدى أصالة اللغة العربية وامتداد جذورها في عمق التاريخ، وذلك من خلال الكلمات والتعابير المشتركة بينها وبين اللغة الأكدية - البابلية التي دونت فيها شريعة حمورابي قبل ثلاثة آلاف وسبعمائة عام تقريبًا، وما كان لهذا العمق أن يظهر فيما لو كانت ترجمة الشريعة قد تمت من خلال لغات أوروبية حديثة فقط، فعلى سبيل المثال أن الكلمة التي تطلق على القاضي في نص الشريعة هي «ديّان»، وحين تترجم إلى الإنكليزية تكون (judge)، فإذا كنا نقرأ ترجمة عربية من الترجمة الإنكليزية للشريعة فإننا سنجد كلمة «قاضي» وهي ترجمة كلمة (judge) دون أن نعلم بأن الكلمة المستعملة في النص الأصلي هي الكلمة العربية «ديان»، وبهذا لا يفوتنا اللفظ والمعنى الصحيحان فقط وإنما تفوتنا فرصة تأصيل الكلمة ومعرفة التطور الدلالي لمعناها، وهذا مثال واحد بسيط جدًا من أمثلة

عديدة تزدخر بها شريعة حمورابي.

تأتي الترجمة التي أعددناها لشريعة حمورابي في كتاب من ثلاثة أجزاء، طبع الجزء الأول منها من قبل «بيت الحكمة» في بغداد، وقد أنجزت عملية طبع هذا الجزء في شهر آذار من عام ٢٠٠٣م، وقبل أن يبدأ توزيع الكتاب حدث الهجوم الأمريكي - البريطاني على العراق وتعرض مبنى «بيت الحكمة» ومحتوياته، ومن بينها جميع نسخ كتاب «شريعة حمورابي: ترجمة النص المسماري مع الشروحات اللغوية»، الجزء الأول: «القواعد اللغوية - مقدمة الشريعة - المواد القانونية (١-١٠٠)»، واستطعت أن أجمع بعض النسخ من أرصفة الشوارع القريبة من بيت الحكمة بعد أيام من حدوث الغزو (الشكل رقم ١ الرواية التي نشرتها الصحف عن تدمير بيت الحكمة ونهبه وفقدان نسخ الجزء الأول من الكتاب).

يتضمن الجزء الأول من الكتاب ثلاثة فصول تمهيدية، يحمل الأول منها عنوان «مقدمة عن مسلة حمورابي وشريعته»، والفصل الثاني «نظام تعريب الدراسات المسمارية»، أما الفصل الثالث فعنوانه «قواعد اللغة الأكدية - البابلية القديمة»، ويتناول الفصل الثاني نظامًا متكاملا لتعريب قراءة المسمارية (الشكل رقم ٢)، وتعريب الكلمات السومرية (الشكل رقم ٣)، وتعريب كتاب الكلمات الأكدية بواسطة وضع طريقة لكتاب الحركات وحروف العلة (الشكل رقم ٤)، واختيار أمثلة من الكلمات الأكدية لتطبيق هذه الطريقة (الشكل رقم ٥)، أما الفصل الثالث فيتضمن جداول لتصريف الأفعال الأكدية بحسب الصيغ ابتداءً من الصيغة البسيطة للفعل الثلاثي الصحيح (الشكل رقم ٦) ثم الأفعال المتعلقة ومنها الفعل المعتل الآخر (الشكل رقم ٧) واللفيف (الشكل رقم ٨)، ويتضمن الجزء الأول أيضًا قائمة بالعلامات المسمارية المستعملة في شريعة حمورابي بالخط البابلي القديم، الذي دونت به الشريعة أصلا، وبالخط القياسي، وهو الخط الذي تطور في الألف الأول قبل الميلاد ويمثل آخر مرحلة تطورت إليها الكتابة المسمارية بحسب أبجديتها العربية (الشكل رقم ١٠)، أما النص المسماري فقد أوردناه بالخط البابلي القديم، وهو خط المسلة، وبالخط القياسي لكل سطر من أسطر الشريعة، ثم ترد القراءة المقطعية بالحروف اللاتينية والقراءة اللفظية بالحروف اللاتينية أيضًا، وعلى الصفة المقابلة ترد القراءتان المقطعية واللفظية بالحروف العربية ثم الترجمة الحرفية وأخيرًا الشروحات اللغوية،

ويشمل ذلك مقدمة الشريعة (الشكلان ١١ و١٢) والمواد القانونية المائة الأولى من الشريعة (الشكلان ١٣ و١٤).

وخصص الجزء الثاني من الكتاب لبقية المواد القانونية من الشريعة (من المادة ١٠١ إلى المادة ٢٨٢) وبالطريقة نفسها التي عرضت بها المواد القانونية في الجزء الأول (الشكلان ١٥ و١٦)، وبالطريقة نفسها أيضاً تعرض خاتمة الشريعة في الجزء الثالث من الكتاب (الشكلان ١٧ و١٨)، وفضلا على ذلك يتضمن الجزء الثالث قراءة عربية شاملة وبتصرف للشريعة لا يبتعد عن المعنى الحرفي وعن روح النص، وتشمل هذه القراءة المقدمة (الشكل رقم ١٩) والمواد القانونية (الشكل رقم ٢٠) والخاتمة (الشكل رقم ٢١) وفي آخر الجزء الثالث ترد ثلاثة ملاحق خصص الأول منها لجداول الموازين والمكاييل (الشكل رقم ٢٢) ومقاييس المساحة والطول (الشكل رقم ٢٣) المستعملة في الشريعة، ويتضمن الملحق الثاني قائمة بالكلمات التي وردت شروحها اللغوية في الكتاب، بأجزائه الثلاثة، وقد وضع إزاء كل كلمة موردها والعمود والسطر اللذان وردت فيهما ومعناها (الشكل رقم ٢٤)، والملحق الثالث مخصص لمسرد بأسماء الأعلام والمدن والآلهة والمعابد المذكورة في الشريعة (الشكل رقم ٢٥) وقد أوردنا في هذا الملحق الرأي الجديد الذي توصلنا إليه حول عدم وجود قوم باسم السومريين في العراق القديم، وإنما هي لغة فقط وضعها الأكديون في خضم جهودهم للتوصل إلى اختراع الكتابة، وقد عرض هذا الرأي تحت مصطلحي «سود الرءوس» و«سومر وأكد» (الأشكال٢٦ و٢٧ و٢٨).

الدكتور نائل حنون يجمع أحد كتبه من الرصيف بعد نهب بيت الحكمة(*)

بغداد / القبس

قام الدكتور نائل حنون عند زيارته الأخيرة لبغداد مؤخراً بشراء آخر كتاب صدر له عن بيت الحكمة من باعة الرصيف حيث وجد كتابه الذى لم يتسلم أية نسخة منه بعد نهب بيت الحكمة وسرقته فى ظل أجواء الفوضى والاحتلال التى سادت بغداد إثر سقوط النظام السابق ودخول القوات الأمريكية إلى العراق، ويحمل كتابه (شريعة حمورابي) الرقم (٧) في سلسلة كتبه وهو الجزء الأول وسيليه الجزآن الثاني والثالث.

الشكل رقم ١

(*) جريدة القبس، العدد ٣، الثلاثاء ١٧ / ٦ / ٢٠٠٣، الصفحة السادسة.

لفظ المقطع بالحروف العربية	لفظ المقطع بالحروف اللاتينية
ئـِ	i
ئا	a
ئا٣	à
ئو٤	u_4
ا	i
ا٣	i
ا١٤	i_{14}
اپ	ap
اتي	ite
أر٥	ar_5
أوش ١٠	$uš_{10}$
ايئـ	é
بات٢	bát
بورو	buru
ت٢	tí
تاک	tag
تش٢	tíš
خاس	ḫas
در٤	dir_4
دلب	dilib
رب	rib
رپ	rib
زز	ziz
سوم	sum
شار٣	šàr
شخ	šiḫ
شيل١٤	$šel_{14}$

الشكل رقم ٢

وندرج فيما يأتي كلمات سومرية مختارة، منقولة بالحرفين العربي واللاتيني، أمثلة على طريقة تعريبنا لها:

الكلمة السومرية بالحروف العربية	الكلمة السومرية بالحروف اللاتينية
أ-رو	a-ru
اكِ - سكَ - سكَ	igi-sig $_7$-sig$_7$
انـم	inim
او ٣	ù
اودو	udu
اورو	uru
اوكّن	ukkin
اوكَ ٢	úg
اوكَو	ugu
ايش٤ - تار ٢	eš$_4$ -tár
اينكَور	engur
با	ba
با - ان - زا	ba-an-za
با - دم٢	ba-dim
بون ٢	bún
باد ٣	pàd
ت - لوكَود ٢ - دا	ti-lúgud-da
دنكَر	dingir
زابار	zabar
سِزكور ٢	sízkur

الشكل رقم ٣

وفيما يأتي الجدول الذي يوضح طريقة كتابة الحركات وحروف العلة بالعربية:

الحرف اللاتيني	الحرف العربي		
	في أول الكلمة	في وسط الكلمة	في آخر الكلمة
u	أُ	ضمة	ضمة
ū	او	و	و
û	أُو	وُ	وُ
a	ا	فتحة	فتحة
ā	أ	ألف	ألف طويلة في الأسماء ومقصورة في الأفعال
â	آ	آ	آ
i	ا	كسرة	كسرة
ī	ايـ	يـ	ي
î	ايِـ	يِـ	يِ
e	أَ	يْـ	يْ
ē	ايَـ	يَـ	يَ
ê	اييـ	ييـ	يي

الشكل رقم ٤

كتابة الكلمة الأكدية بالحروف العربية	كتابة الكلمة الأكدية بالحروف اللاتينية
اِئلتيشُ	i'ltīšu
اتآرم	itârma
اتَبَّل	itabbal
اتَّنشّ	ittanašši
اتييشُ	itêšu
ارِئَّب	iri''ab
ارتْيديْئَشُّ	irtede'aššu
اشَلِئَمَّ	išalli'amma
أُشيِّزب	ušēzib
اصَّبَت	iṣṣabat
اطَّرَد	iṭṭarad
اقبوُ	Iqbû
اكتَشَسُّ	iktašassu
أُكتين	ukkīn
أُكتينشُ	uktīnšu
الّك	illak
أُلُم	ālum
اَليشُ	elīšu
اِليْقّيْ	Ileqqe
اَنييم	enêm
اوْاة	awāt
اوْآتيشُنُ	awâtīšunu
اوتِبْبَيبشُّمَ	ūtebbebaššuma
أُصِئَمَّ	uṣi'amma
اوْيِلٌ	awīlum
ايَبّيْشمَ	îppešma

الشكل رقم ٥

جدول رقم (١) تصريف الفعل
الثلاثي الصحيح في الصيغ الأساسية

التصريف	الصيغة البسيطة *G*	الصيغة المضعفة *D*	الصيغة السببية *Š*	صيغة المطاوعة *N*
المصدر	پَراسُ parāsu	پُرُّسُ purrusu	شُپُرُسُ šuprusu	نَپُرُسُ naprusu
المضارع	اِپَرَّس iparras	أُپَرَّس uparras	أُشَپرَس ušapras	اِپَّرَّس ipparras
الماضي	اِپرُس iprus	أُپَرِّس uparris	أُشَپرِس ušapris	اِپَّرِس . ipparis
الماضي التام	اِپتَرَس iptaras	أُپتَرِّس uptarris	أُشتَپرِس uštapris	اِتَّپرَس ittapras
الأمر	پُرُس purus	پُرِّس purris	شُپرِس šupris	نَپرِس napris
الرجاء والحث	لِپرُس liprus	ليپَرِّس līparris	ليشَپرِس līšapris	لِپَّرِس lipparis
اسم الفاعل	پارِسٌ parisum	مُپَرِّسٌ muparrisum	مُشَپرِسٌ mušaprisum	مُپَّرِسُ mupparsu
صفة الحال	پَرسُ parsu	پُرُّسُ purrusu	شُپرُسُ šuprusu	نَپرُسُ naprusu
الصفة المشبهة	پَرِس paris	پُرُّس purrus	شُپرُس šuprus	نَپرُس naprus

الشكل رقم ٦

جدول رقم (١٦) تصريف الفعل المعتل الآخر

الفعل المعتل الآخر بنُو banû (ب ن و، ويطابق الفعل العربي بنى، وأصل الواو في نهاية الفعل الأكّدي ياءٌ) :

التصريف	الصيغة البسيطة *G*	الصيغة المضعفة *D*	الصيغة السببية *Š*	صيغة المطاوعة *N*
المصدر	بَنُو banû	بَنَّو bannû	شُبنُو šubnû	نَبنُو nabnû
المضارع	ابَنِّ ibanni	أُبَنَّ ubanna	أُشَبَن ušabna	ابَّنِّ ibbanni
الماضي	ابنِ ibni	أُبَنِّ ubanni	أُشَبِن ušabni	ابَّنِ ibbani
الماضي التام	ابتَنِ ibtani	أُبتَنِّ ubtanni	أُشتَبِن uštabni	اتَّبنِ ittabni
الأمر	بِنِ bini	بُنِّ bunni	شُبنِ šubni	نَبنِ nabni
اسم الفاعل	بانوم bānūm	مُبَنُّوم mubannum	مُشَبنوم mušabnum	مُبَّنوم mubbanum
الصفة المشبهة	بَنِ bani	بُنُّ bunnu	شُبنُ šubnu	نَبنِ nabni

الشكل رقم ٧

الأفعال المزدوجة الاعتلال (اللفيف)

بما أن هذه الأفعال، التي تقوم على حرف صحيح واحد، لا تخضع لقاعدة ثابتة فسنورد هنا ستة أمثلة لتوضيح طريقة تصريفها، وهذه الأفعال هي:

أولاً: الفعل اَلوُ (elû) بمعنى علا أو صعد، ويكون تصريفه على النحو الآتي:

الصيغة	المضارع	الماضي	الماضي التام
البسيطة *G*	الِّ illi	ايل īli	ايتيْل ïteli
السببية *Š*	اُشيْلي ušele	اُشيّل ušeli	اُشتيّل ušteli
البسيطة الثانية *Gt*	ايتيْلِّ ītelli	ايتيْل īteli	ايتيْتل ītetli

ثانيًا: الفعل وصوُ (waṣû) بمعنى خرج، وتصريفه:

الصيغة	المضارع	الماضي	الماضي التام
البسيطة *G*	اُصِّ uṣṣi	اوص ūṣi	اتَّص ittaṣi
السببية *Š*	اُشيْصِّ ušeṣṣi	اُشيّص ušēṣi	اُشتيّص uštēṣi

ثالثًا: الفعل ادوُ (idû) بمعنى عرف. يوجد تصريف واحد فقط لهذا الفعل بلفظ الماضي ولكن بمعنى الصفة المشبهة. وتصريفه يكون على النحو الآتي:

شخص الفاعل	المفرد	الجمع
المتكلم	ايديْ īde	نيديْ nīde
المخاطب المذكر	تيديْ tīde	تيديْنا tīde'ā
الغائب المذكر	ايديْ īde	ايدوُ īdû
الغائبة المؤنثة	تيديْ tīde	ايدآ īdā

واسم الفاعل من هذا الفعل هو: مودوُ (mūdû).

الشكل رقم ٨

قائمة العلامات المسمارية بحسب تسلسل شكلها المسماري:

تسلسل	اللفظ بالحروف اللاتينية	اللفظ بالحروف العربية	البابلي القديم	الخط القياسي
١	aš, rum, dil, til, ina, in$_6$	اش، روم، دل، تِل، انَ، ان٦		
٢	ḫal	خال		
٥	ba	با		
٦	sú,ṣú, zu	سو٢، صو٢، زو		
٧	su,kus,kuš,kuz	سو، كوس، كوش، كوز		
١٠	ád, át, áṭ, gír	اد٢، ات٢، اط٢، گر٢		
١٣	an	ان		
١٥	ka	كا		
٣٨	rí, ré	رِ٢، ري٢		
٥٥	la	لا		
٥٨	tu,ṭú	تو، طو٢		
٥٩	li,le	لِ، لي		
٦١	mu,ia$_5$	مو، يا٥		
٦٢	qa	قا		
٦٨	ru	رو		
٦٩	be	بي		
٧٠	na	نا		
٧٣	ti	تِ		
٧٥	nu	نو		
٧٨	ḫu	خو		
٨٠	ig,ik,iq,eg,ek,eq	اگ، اك، اق، ايگ		

الشكل رقم ٩

قائمة ألفاظ العلامات المسمارية بحسب أبجديتها :

لفظ العلامة	تسلسلها	لفظ العلامة	تسلسلها	لفظ العلامة	تسلسلها
ا	١٤٢	از[٢]	٣٣٩	ام	١٧٠
ا[٣]	٢٣١	اس	٢٦٩	ان	١٤٨
ا	٥٧٩	اس	١٣١	ان	١٣
اِب	٥٣٥	اس[٢]	٣٣٩	انِ[٦]	١
اب	١٢٨	اِش	٢١٢	انَ	١
اب[٢]	٤٢٠	اش	١	اِو	٣٨٣
اِپ	٥٣٥	اش[٢]	٣٣٩	او[٢]	٣١٨
اب	١٢٨	اِص	٢٩٦	او[٣]	٤٥٥
اپ[٢]	٤٢٠	اص	١٣١	او[٤]	٣٨١
ات	٣٣٤	اص[٢]	٣٣٩أ	اَو	٣٨٣
ات	١٤٥	اِط	٣٣٤	آو	٣٨٣
ات[٢]	١٠	اط	١٤٥	اوت	٣٨١
اخ	٣٩٨	اط[٢]	١٠	اوب	٣٠٦
اِخ	٣٩٨	اِق	٨٠	اوپ	٣٠٦
اُخ	٣٩٨	اق	٩٧	اور	٥٧٥
اد	٣٣٤	اِك	٨٠	اوز	٣٧٢
اد	١٤٥	اك	٩٧	اوز[٢]	٢١١
اد[٢]	١٠	اِگ	٨٠	اود	٣٨١
ار	٢٣٢	اگ	٩٧	اوس	٣٧٢
ار	٤٥١	اِل	٢٠٥	اوس[٢]	٣١١
ار[٢]	٣٠٦	الْ	٥٦٤	اوش	٢١١
از	٢٩٦	ال	٢٩٨	اوص	٣٧٢
از	١٣١	اِم	٣٩٩	اوص[٢]	٢١١

الشكل رقم ١٠

المادة: مقدمة الشريعة　　العمود: الأول　　الأسطر: ١-١٥

النص بالخط القياسي المتأخر	النص بالخط البابلي القديم

القراءة المقطعية بالحروف اللاتينية:

1:ì-nu AN ṣi-ru-um
2:LUGAL ^{d}a-nun-na-ki
3:^{d}EN.LÍL
4:be-el ša-me-e
5:ú er- ṣe-tim
6:ša-i-im
7:ši- ma- at KALAM
8:a-na ^{d}AMAR.UTU
9:DUMU re-eš-ti-im
10:ša ^{d}EN.KI
11:^{d}EN.LÍL-ut
12:KIŠ ni-ši
13:i-ši-mu-šum
14:in i-gi_4-gi_4
15:ú-šar-bí-ù-šu

القراءة اللفظية بالحروف اللاتينية:

1:inu ANUM ṣīrum
2:šar Anunaki
3:Enlil
4:bēl šamê
5:u erṣetim
6: šā'im
7: šīmāt mātim
8:ana Marduk
9:mārim rēštim
10:ša Ea
11:Enlilut
12:Kiššat nišī
13:isimusum
14:in Igigi
15:ušarbi'ūšu

الشكل رقم ١١

المادة: مقدمة الشريعة العمود: الأول الأسطر: ١-١٥

القراءة المقطعية بالحروف العربية:

١: ا–نو آن ص–رو–اوم
٢: لوگال د–نون–نا–ك
٣: داين.لل٢
٤: بي–ايل شا – مي–أي
٥: و٣ اير–صي–تم
٦: شا–ا–ام
٧: ش–ما–ات كالام
٨: ا–نا دامار.اوتو
٩: دومو ري –ايش – ت–ام
١٠: شا داين. ك
١١: داين. لل٢ – اوت
١٢: كش ن ش٣
١٣: ا–ش–مو–شوم
١٤: ان اگ٤–گ٤
١٥: او٢–شار–ب٢–او٣–شو

القراءة اللفظية بالحروف العربية:

١: ان آنُم صيرٌ
٢: شَر انونّانكي
٣: أَلِل
٤: بيّل شميي
٥: و ارصيّت
٦: شائم
٧: شيمات مات
٨: انَ مردوخ
٩: مارِ ريّشتييم
١٠: ش أيا
١١: اللُّةْ
١٢: كَشةْ نشي
١٣: اشَموشَم
١٤: ان اجيجي
١٥: أُشَربئوش

الترجمة العربية:

(١-٧) حين آنو العظيم، ملك الآلهة الأنونانكي، (و) الإله انليل، سيد السماء والأرض، مقرر مصائر البلاد (٨-١٠) إلى الإله مردوخ، الابن الأول للإله أيا، (١١-١٣) انليلية كل الناس قرروا له. (١٤-١٥) في وسط الايجيجي كبروه.

الشروحات اللغوية:

آنو: رئيس مجمع الآلهة، وهو الوحيد من بينهم الذي لم يكن اسمه يكتب مسبوقًا بعلامة دالة.

* شائم: اسم فاعل بالصيغة البسيطة الأولى بمعنى مقرر: من المصدر المعتل الوسط ش ام (šâmu) بمعنى قرر أو حدد. مضاف وكلمة شيمات مضاف إليه. وهذه الكلمة تعني مصائر من المصدر نفسه، وهي مضاف ومات (بلاد) مضاف إليه.

اللُّة: اسم مشتق من اسم الإله أنليل مثل اشتقاق كلمة ألوهية من إله. والكلمة هنا مضاف.

الشكل رقم ١٢

اشـموشُم : فـعل مـاضٍ بالصـيـغـة البـسـيطة الأولى مـن المصـدر ش ام والفـاعل الشـخص الغائب المذكر الجمع . والمقطع شم في آخر الكلمة ضمير متصل للشخص الغائب المفرد المذكر للمفعول له .

* أُشر بئوشُ : فعل ماض بالصيـغة السببية الأولى من المصـدر رب ا (rabu) بمعنى كبر ونما . ومعه واو الجماعة و الضمير المتصل .

تابع الشكل رقم ١٢

المادة : السابعة والثلاثون   العمود : الثاني عشر   الأسطر : ١٠-٢١

النص بالخط القياسي المتأخر	النص بالخط البابلي القديم

القراءة المقطعية بالحروف اللاتينية :

10: šum-ma a-wi-lum
11: A.ŠÀ GIŠ.KIRI6 ù É
12: šaUKU.UŠ ŠU.ḪA
13: ù na-ši GUN
14: iš - ta - am
15: ṭup-pa-šu
16: iḫ-ḫe-ep-pí
17: ù i-na KÙ.BABBAR-šu
18: i-te-el-li
19: A.ŠÀ GIŠ.KIRI6 ù É
20: a-na be - lí-šu
21:i-ta-ar

القراءة اللفظية بالحروف اللاتينية:

10: šumma awīlum
11: eqlam kirâm u bītam
12: ša rēdîm bā'irim
13: u naši biltim
14: ištâm
15: ṭuppašu
16: iḫḫeppe
17: u ina kaspīšu
18: ītelli
19: eqlum kirûm u bītum
20: ana bēlīšu
21: itâr

الشكل رقم ١٣

القراءة المقطعية بالحروف العربية :

١٠ : شُمَّ اويلٌ
١١ : ا.شا[٣] گش. كر[٦] او[٣] اي[٢]
١٢ : شا اوكو. اوش شو. خا
١٣ : او[٣] نا- ش گون
١٤ : اش - تا - ام
١٥ : طوپ - پا - شو
١٦ : اِخ - خي - يپ - پ[٢]
١٧ : او[٣] ا-نا كو[٣]. بابّار - شو
١٨ : ا - تي - يل - ل
١٩ : ا.شا[٣] گش. كر او[٣] اي[٢]
٢٠ : ا - نا بي - ل[٢] - شو
٢١ : اِ - تا - ار

القراءة اللفظية بالحروف العربية:

١٠ : شُمَّ اوْيلٌ
١١ : اَقلِ كرآم وبيت
١٢ : شَ ريّديِيم بائرِ
١٣ : و ناشِ بلتٍ
١٤ : اشتآم
١٥ : طُپَّشُ
١٦ : اخَيپّيْ
١٧ : و انَ كَسپيشُ
١٨ : ايتيْلّ
١٩ : أَقلَّ كروُمِ وبيتٌ
٢٠ : انَ بيَليش
٢١ : اتآر

الترجمة العربية:

١٠ : إذا سيدٌ
١١ : حقلا، بستانًا وبيتًا
١٢ : خاصة بجندي نظامي، جندي احتياط
١٣ : وملتزم
١٤ : اشترى
١٥ : رقيمه
١٦ : يخفى
١٧-١٨ : ويخسر ماله
١٩ : الحقل، البستان والبيت
٢٠-٢١ : يعود إلى صاحبه

الشكل رقم ١٤

الشروحات اللغوية:

طُپِّشُ: اسم مفرد مذكر بمعنى رقيم طيني مكتوب أو وثيقة مدونة أو رسالة، وقد أضيف إليه الضمير المتصل للغائب المفرد المذكر «ش». والمقصود به هنا الرقيم الذي دون عليه عقد الشراء.

* اِخَيْپَيْ: فعل مضارع بصيغة المطاوعة من المصدر خ پ ي (خيپُو) الذي يترجم بمعنى «كسر، حطم» ولكننا نفضل ترجمته بمعنى «خفى» لسببين أولهما لمطابقة الفعلين الأكدي والعربي لبعضهما مع تغيير الباء إلى فاء، وثانيهما وجود فعلين أكديين لكسر الرقيم الطيني أو إتلافه أما المقصود من الفعل هنا فهو الإلغاء. أصل الخاء المشددة نون وخاء أدغما ببعضهما فضعفت الخاء، والإخفاء هنا بمعنى إبطال المفعول.

تابع الشكل رقم ١٤

المادة: ١٠٢ العمود: الرابع والعشرون الأسطر: ١٥-٢٣

النص بالخط القياسي المتأخر	النص بالخط البابلي القديم

القراءة المقطعية بالحروف اللاتينية :

15: šum - ma DAM. GÀR
16: a-na ŠÁMAN.LÁ
17: KÙ. BABBAR a-na ta-ad-mi-iq-tim
18: it-ta-di-in-ma
19: a-šar il-li- ku
20: bi-ti-iq-tam
21: i-ta-mar
22: qá-qá-ad KÙ. BABBAR
23: a-na DAM.GÀR ú-ta-ar

القراءة اللفظية بالحروف اللاتينية:

15: šumma tamkārum
16: ana samallîm
17: kaspam ana tadmiqtim
18: ittadinma
19: ašar illiku
20: bitiqtam
21: ītamar
22: qaqqad kaspim
23: ana tāmkarim utâr

الشكل رقم ١٥

القراءة المقطعية بالحروف العربية :

١٥ : شوم – ما دام. گار[٣]
١٦ : ا – نا شامان[٢]. لا[٢]
١٧ : كو[٣]. بابّار ا نا تا – اد – م – اِق – تم
١٨ : ات – تا – د – ان – ما
١٩ : ا – شار ال – لِ – كو
٢٠ : ب – ت – اق – تام
٢١ : ا – تا – مار
٢٢ : قا[٢] – قا[٢] – اد كو[٣]. بابّار
٢٣ : ا – نا – دام. گار[٣] او[٢]–تا–ار

القراءة اللفظية بالحروف العربية:

١٥ : شُمَّ تَمكارٌ
١٦ : انَ شَمَلّيم
١٧ : كَسبٍ انَ تَدمِقةٍ
١٨ : اتَّدنمِ
١٩ : اشَرَ الَّكُ
٢٠ : بتقةً
٢١ : ايتَمَر
٢٢ : قَقَّد كَسبٍ
٢٣ : انَ تَمكارٍ أُتَّار

الترجمة العربية:

١٥ : إذا تاجرٌ
١٦ و١٨ : أعطى إلى كاسبٍ و
١٧ : مالا للتنمية
١٩ : حيث ذهب
٢٠ : خسارةً
٢١ : خبر
٢٢ : رأس المال
٢٣ : يعيد إلى التاجر

الشروحات اللغوية:

تَدمقةٍ: اسم مؤنث مفرد مجرور لوروده بعد حرف الجر. انَ: مشتق من المصدر دم ق (دماقُ) بمعنى «حسن، طاب» ومع المال يكون المعنى «نما» ومنها ترجمنا الاسم «تنمية».
* قَقَّد كَسبٍ: مضاف ومضاف إليه قَقَّد تعني رأس وكَسبٍ تعني مال. وكلمة قَقَّد لا زالت تستعمل في العامية العراقية بصيغة گوگة بمعنى جمجمة أو رأس، وكلمة كسب العربية تعني المال. وهكذا يكون لهذا المصطلح ما يضاهيه اليوم لفظًا ومعنى وتركيبًا في العربية.

الشكل رقم ١٦

المادة : خاتمة الشريعة　　العمود : السابع والأربعون　　الأسطر : ١-٩

النص بالخط القياسي المتأخر	النص بالخط البابلي القديم

القراءة المقطعية بالحروف اللاتينية :

1: di - na - a - at

2: mi-šа-ri-im

3: ša ḫa-am-mu-ra-bi

4: šar-ru-um le - ú-um

5: ú-ki-in-nu-ma

6: ma-tam ú-sa-am di-nam

7: ù ri - dam dam - qá - am

8: ú- ša - aṣ - bi - tu

9: ḫa-am-mu-ra-bi

القراءة اللفظية بالحروف اللاتينية :

1: dīnāt

2: mīšarim

3: ša Ḫammurabi

4: šarrum lē'ûm

5: ukinnuma

6: mātam ūsam dīnam

7: u rīdam damqam

8: ušaṣbitu

9: Ḫammurabi

الشكل رقم ١٧

المادة: خاتمة الشريعة العمود: السابع والأربعون الأسطر :١-٩

القراءة المقطعية بالحروف العربية :

١ : دِ - نا - ا - ات
٢ : مِ - شا - رِ - اِم
٣ : شا خا - ام - مو - را - بِ
٤ : شار - رو - وم لي - او² - وم
٥ : او² - كِ - اِن - نو - ما
٦ : ما - تام او² - سا - ام ك(*)-نام
٧ : او³ رِ - دام دام - قا² - ام
٨ : او² - شا - اص - بِ - تو
٩ : خا - ام - مو - را - بِ

القراءة اللفظية بالحروف العربية:

١ : دينات
٢ : ميشَر
٣ : شَ خَمُّرَب
٤ : شَرِّ ليَئوم
٥ : أكنُّم
٦ : ماتً اوسً كينً
٧ : و ر. رً دمقً
٨ : أشَصبتُ
٩ : خَمُّرَبِ

الترجمة العربية:

١ : أحكام
٢ : العدالة
٣ : التي حمورابي
٤ : الملك المقتدر
٥ : وضع و
٦-٨ : جعل البلاد تمسك العرف المكين والريادة الجيدة
٩ : حمورابي

الشروحات اللغوية:

* دينات : اسم مؤنث جمع بمعنى أحكام مشتق من المصدر دان (دآنُ) بمعنى حكم أو قضى والمطابق للفعل العربي دان. الاسم هنا مضاف وميشَر بمعنى العدالة، مضاف إليه.

* أُشَصبتُ : فعل ماضٍ بالصيغة السببية من المصدر ص ب ت (صَباتُ) المضاهي للفعل العربي ضبط ويعني مسك أيضاً، الضمة على آخر الفعل هنا لصلة الموصول.

الشكل رقم ١٨

(*) وردت العلامة (دِ) في النص المسماري ولكن سياق النص يتطلب العلامة (كِ) لتكون الكلمة كينً.

المقدمة

العمود الأول:

١-٧ : حينما آنو السامي، ملك الأنوناكي
والإله أنليل، سيد السماوات والأرض، مقرر مصائر البلاد
٨-١٠ : إلى الإله مردوخ، الابن الأول للإله أيا
١١-١٣ : أنليلية جميع الناس قرروا له
١٤-١٥ : في وسط آلهة الأيجيجي عظموه
١٦-١٧ : أعلنوا بابل اسمها العظيم
١٨-١٩ : كبروه في جهات الكون
٢٠-٢٦ : في وسطها كونوا له الملوكية الخالدة التي هي كما السماوات
والأرض أسسها راسخة
٢٧-٣١ : في يومها، حمورابي، الأمير التقي، الخاشع للآلهة، أنا
٣٢-٣٤ : لإظهار العدالة في البلاد
٣٥-٣٦ : لمحو الشرير والخبيث
٣٧-٣٩ : من أجل ألا يضطهد القوي الضعيف
٤٠-٤٤ : للطلوع كالشمس على سود الرءوس وتنوير البلاد
٤٥-٤٩ : أعلن آنو وأنليل اسمي لتطييب كيان الناس
٥٠-٥٣ : حمورابي، الراعي، نبوءة أنليل، أنا
٥٤-٥٦ : مكدس الخير والرزق
٥٧-٥٩ : متمم كل شيء لنفر، مركز السماوات والأرض

الشكل رقم ١٩

المواد القانونية

المادة ١ : (العمود الخامس: ٢٦-٣٢)

إذا اتهم سيد سيداً، وأقام عليه دعوى قتل، ولم يدنه، متهمه ينعدم.

المادة ٢ : (العمود الخامس: ٣٣-٥٦)

إذا أقام سيد دعوى سحر على سيدٍ، ولم يدنه، الذي عليه دعوى السحر مقامة يذهب إلى النهر، النهر يغمر (المتهم) بالفعل، فإذا النهر غلبه متهمه يستولي على بيته، إذا ذلك السيد برأه النهر حقًا وسلم بالفعل، ينعدم الذي أقام عليه دعوى السحر. الذي غمر النهر (جسمه) يستولي على بيت متهمه.

المادة ٣ : (العمود الخامس: ٥٧-٦٧)

إذا أدلى سيد، في قضية، بشهادة زور، ولم يثبت الكلمة التي نطق؛ إذا تلك القضية قضية حياة، ذلك السيد ينعدم.

المادة ٤ : (العمود الخامس: ٦٨ / العمود السادس: ١-٥)

إذا كان قد أدلى بشهادة حبوبٍ أو مالٍ، يتحمل عقوبة تلك القضية.

المادة ٥ : (العمود السادس: ٦-٣٠)

إذا قضى قاضٍ قضية، قرر قراراً، أصدر وثيقة مختومة، بعدئذ غيّر حكمه، ذلك القاضي يدينونه بتغيير الحكم (الذي) قضى (به) ويدفع لغاية ١٢ ضعفًا الادعاء الذي نجم عن تلك القضية، وفي المجمع يخلعونه من كرسي قضائيته، ولن يعود، ولن يجلس مع القضاة في (أي) قضية.

المادة ٦ : (العمود السادش: ٣١-٤٠)

إذا سرق سيد ثروة الإله أو القيصر، هذا السيد ينعدم، والذي تسلم السرقة من قبضته ينعدم.

الشكل رقم ٢٠

الخاتمة

العمود السابع والأربعون:

١-٢ : أحكام العدالة

٣-٤ : التي حمورابي، الملك المقتدر

٥-٨ : وضع، وجعل البلاد تمسك العرف المكين والريادة الجيدة.

٩-١٠ : حمورابي، الملك المتفضل، أنا

١١-١٢ : تجاه سود الرءوس، الذين أهداني الإله أنليل (إياهم)

١٣-١٤ : (و) أعطاني الإله مردوخ رعايتهم

١٥-١٦ : لم أهمل، (و) لم أنفض يدي (من رعايتهم)

١٧-١٨ : نشدت لهم مواضع السلم

١٩-٢٠ : فتحت (أمامهم) العوارض الصعبة

٢١ : نوراً نشرت لهم.

٢٢-٢٥ : بالسلاح القوي الذي وهبني (إياه) الإلهان زبابا وعشتار،

٢٦-٢٧ : بالحكمة التي قررها لي الإله إيا

٢٨-٢٩ : بالمقدرة التي أعطاني (إياها) الإله مردوخ

٣٠-٣١ : نسخت الأعادي في العلى وفي الدنى

٣٢ : أخمدت الصراعات

٣٣-٣٤ : طيبت جسد البلاد

٣٥-٣٧ : وطنت أهل الحواضر (في) المرابع الخضر

٣٨-٣٩ : لم أسلط عليهم مزعجاً

٤٠-٤١ : الآلهة العظام اصطفوني

٤٢-٤٣ : فأنا بالذات الراعي المسلِّم

٤٤-٤٥ : الذي عصاه معدلة

الشكل رقم ٢١

جداول الموازين والمكاييل والمقاييس

فيما يأتي جداول تبين الموازين والمكاييل والمقاييس العراقية القديمة وذكرت في شريعة حمورابي . ومن الملاحظ أن النص القديم يوردها بالمقاطع الرمزية السومرية وليس بالمقاطع اللفظية الأكّدية :

أولا الموازين :

الاسم السومري	المرادف الأكدي	المرادف العربي	ما يعادله قديمًا	ما يعادله حديثًا	الملاحظات
گون٢ GÚN	بِلةٌ biltum	بلة	٦٠ مَنوُ	حوالي ٣٠ كيلو غرام	
ما . نا MA.NA	مَنوُمْ manûm	مَن	٦٠ شِقلٌ	حوالي ٥٠٠ غرام	يعادل عند الحثيين ٤٠ شقلا
گِن٢ GÍN	شِقلٌ šiqlum	شيقل	١٨٠ أُطَّيْةٌ	حوالي ٨,٣٣ غرام	
شي ŠE	أُطّيْةٌ uṭṭetum	حبة (حنطة)		حوالي ٠,٠٤٦ غرام	

ثانيًا المكاييل :

الاسم السومري	المرادف الأكدي	المرادف العربي	ما يعادله قديمًا	ما يعادله حديثًا	الملاحظات
گور GUR	كُرٌّ kurrum	كور	٥ پانٌ	حوالي ٣٠٠ لتر	
بارِگا BARIGA	پانٌ pānum	پان	٦ سوتٌ	حوالي ٦٠ لترًا	
بان٢ BÁN	سوتٌ sūtum	سوت	١٠ قوُم	حوالي ١٠ لترات	في العصر البابلي الحديث يعادل ٦ قوُم
سِلا٣ SÍLA	قوُم qûm	سيلا	٦٠ شِقلا	حوالي لتر واحد	

الشكل رقم ٢٢

ثالثًا مقاييس المساحة :

الاسم السومري	المرادف الأكدي	المرادف العربي	ما يعادله قديمًا	ما يعادله حديثًا	الملاحظات
بور٣ BÚR	بُرٌ burum	بور	١٨ اِكوٌ	حوالى ٦٤,٨٠٠م٢ (٦,٥ هكتار)	
اِكو IKU	اِكوٌ ikûm	اكو	١٠٠ مُشَرٌ	حوالي ٣٦٠٠م٢ (٠,٣٦ هكتار)	
سار SAR	مُشَرٌ mušarum	مشارة		حوالي ٣٦م٢ (٠,٠٠٣٦ هكتار)	

رابعاً : مقاييس الطول :

الاسم السومري	المرادف الأكدي	المرادف العربي	ما يعادله قديمًا	ما يعادله حديثًا	الملاحظات
نندا NINDA	نندانٌ mindānum	نندانٌ	٢ قَنوم	حوالي ٦ أمتار	في العصر البابلي الحديث يعادل ١٤ امَّة
گِ GI	قَنوُم qanûm	قصبة	٦ امَّة	حوالي ٣ أمتار	في العصر البابلي الحديث يعادل ٧ امَّةٌ
كوش٣ KÚS	امَّةٌ ammatum	ذراع	٣٠ أُبانٌ	حوالي ٥٠سم	في العصر البابلي الحديث يعادل ٢٤ أُبانٌ
شو . سِ ŠU.SI	أُبانٌ ubānum	إصبع	٦ أُطّيَةٌ	حوالي ١,٦٦سم	
شي ŠE	أُطّيَةٌ uttetum	حبة (حنطة)		حوالي ٠,٢٨سم	

تابع الشكل رقم ٢٢

الملحق الثاني

قائمة الكلمات التي وردت شروحاتها اللغوية في الكتاب

تضم هذه القائمة الكلمات التي وردت شروحاتها اللغوية في الكتاب بأجزائه الثلاثة، والقائمة تبين الكلمة وموردها في شريعة حمورابي، سواء كان هذا المورد في إحدى المواد القانونية أو في مقدمة الشريعة أو في خاتمتها، فضلا على ذلك تبين القائمة العمود والسطر اللذين وردت بهما الكلمة وكذلك معناها باللغة العربية.

إن الكلمات التي ترد في هذه القائمة تكون بالصيغة الكاملة التي وردت عليها في الشريعة، أي مع ما أدخل فيها أو ألحق بها من زوائد أو لواحق أو حركات إعراب، وقد أعطي المعنى العام لها، وبإمكان القارئ الكريم العودة إلى الشروحات اللغوية، بمواضعها المحددة في متن الكتاب، للاطلاع على الشرح الكامل للكلمة، ولا بد من التنويه هنا إلى أننا شملنا بمعنى الكلمة ما لحق بها من ضمائر متصلة، ولكننا تركنا اللواحق من الأدوات مثل أداة التوكيد أم أو الأداة الرابطة مَ التي أشير إليها في الشروحات اللغوية، وأخيراً نشير إلى أن القائمة تذكر المورد الأول للكلمة في الشريعة فقط مهما كان عدد المرات التي وردت بها بعد ذلك المورد إلا إذا اختلف المعنى.

الكلمة	موردها	العمود	السطر	المعنى
آ أنَكَر	الخاتمة	٤٨	٧٢	لا أنكرَ
أُبارشُمَ	المادة ١٢٦	٢٨	١٩	تفضحه
أُبارمَ	المادة ٢٣	٩	٣٦	يحدد
ابُ الي	الخاتمة	٤٩	٤٦	أبو الآلهة
ابَّلُشُم	المادة ١٥٩	٣٣	٤٥	حُمل إليه
أُبتَلُصمَ	المادة ١٥٩	٣٣	٣٩	تطلع
أُبتَلُط	المادة ٢١٥	٤١	٥٩	أشفى

الشكل رقم ٢٣

الملحق الثالث

مسرد أسماء الأعلام والمدن والآلهة والمعابد المذكورة في شريعة حمورابي

أدب: مدينة قديمة يعرف موقعها اليوم باسم تلول بسماية (في محافظة القادسية)، ابتدئ التنقيب الأثري فيها منذ عام ١٩٠٣ من قبل بعثة من جامعة شيكاغو، وآخر موسم تنقيب أجري فيها من قبل آثاري عراقي في عام ١٩٩٩م، تنسب إليها أثبات الملوك السومرية سلالة حاكمة يعرف اسم ملك واحد منها، وهو لوگال - آنيموند الذي تنسب إليه النصوص المسمارية المتأخرة مآثر عمرانية وسلطة واسعة شملت بلاد عيلام.

أدد: إله العواصف والأمطار في العراق وقد عرف في النصوص السومرية باسم اشكر، انتشرت عبادته في أرجاء واسعة من الشرق الأدنى القديم وخاصة في بلاد الشام، اعتبر ابنًا للإله آنو وأحيانًا للإله أنليل وسميت الإلهة شالا زوجة له، كان مركز عبادته الرئيس في مدينة كركارا، واشترك مع الإله آنو في معبد واحد مزدوج شيد بزقورتين في مدينة آشور (قلعة الشرقاط حاليًا)، أطلق اسمه على إحدى بوابات مدينة بابل التسعة في العصر البابلي، وهي بوابة «أدد يحمي أرواح الجند».

أريدو: تعتبر مدينة أريدو أقدم المدن في جنوب العراق حتى الآن، يبعُد موقعها الذي يضم سبعة تلال، مسافة ٣٤ كم إلى الجنوب الغربي من موقع مدينة أور القديمة في محافظة ذي قار الحالية، ويعرف موقع هذه المدينة اليوم باسم أبو شهرين، وقد أجريت فيه تنقيبات علمية مهمة جدًا في أربعينيات القرن العشرين على يد الآثاريين العراقيين فؤاد سفر ومحمد علي مصطفى وشاركهما الآثاري البريطاني سيتون لويد.

اعتبرت هذه المدينة قديمًا مركزًا لعبادة إله الحكمة أيا (أنكي)، واعتبرتها أثبات الملوك السومرية المدينة الأولى التي هبطت فيها الملوكية من السماء قبل الطوفان حيث حكم أقدم ملك في تاريخ البشرية - وفقًا لأثبات الملوك السومرية - وهو الولِم. أثبتت

الشكل رقم ٢٤

التنقيبات الآثارية بأن مدينة أريدو ازدهرت لمدة تزيد على خمسة عشر قرناً، ووصل مجموع الطبقات المكتشفة في موقعها إلى ثماني عشرة طبقة إلى الجنوب - الغربي من بغداد، وقد أمكن التعرف على موقع المدينة لأول مرة في عام ١٨٨٥م وذلك من قبل ت. سي. پنچس T.C.Pinches قبل جي. ب. بوشر J.B.Bewsher ودبليو. ب. سلبي W.B.Selby في عام (١٩٦٠م)، وأجرى هرمز رسام بعض التنقيبات في موقع المدينة في حوالي عام ١٨٨٠م، أما بعد أن تم تحديد هوية الموقع فإن أهم التنقيبات الآثارية أجريت فيه من قبل ڤنسنت شايل Vincent Scheil (١٨٩٤م) وبعثة آثارية بلچيكية (١٩٧٢-١٩٧٣م) وأخيراً بعثة آثارية من جامعة بغداد منذ ١٩٧٨م وكان يتولى رئاستها المرحوم الدكتور وليد الجادر.

تبلغ مساحة موقع مدينة سپار حوالي ١٠٠ هكتار، يوجد في الموقع تلان محاطان ببقايا سور قديم من اللبن، يضم التل الجنوبي - الغربي بقايا الحي الديني، أما التل الشمالي - الشرقي فيضم بقايا الزقورة ومعابد المدينة، ومن الواضح أن سور المدينة كان محاطاً بحاجز لحماية المدينة من مخاطر الفيضان، ذلك إن كانت تقع على المجرى القديم لنهر الفرات مباشرة، من الجدير بالذكر أن التنقيبات العراقية كشفت عن بعض أجزاء المدينة، ومنها الحي الديني حيث اكتشفت مكتبة تعود إلى العصر البابلي الحديث تضم نصوصاً أدبية في الغالب، وهذه النصوص مدونة على ألواح طينية وجدت في مواضعها التي رتبت فيها أصلا، وتأتي هذه المكتشفات لتضاف إلى آلاف الألواح التي اكتشفت في أثناء تنقيبات هرمز رسام السابقة ونقلت إلى المتحف البريطاني.

سود الرءوس: ترجمة المصطلح الأكّدي «صَلمات قَقَّد» (Ṣalmāt qaqqadim) الذي يتألف من كلمتين تكونان جملة مضاف ومضاف إليه، لذلك فإن الترجمة التي نقدمها هنا «سود الرءوس» تناسب المصطلح الأكدي أكثر من الترجمة الشائعة «ذوي الرءوس السوداء» ويرادف هذا المصطلح باللغة السومرية المصطلح «ساگ - گگ» (sag. gig)، إن هذا المصطلح يدل بشكل عام على مفهوم كلمة «الشعب» في العربية، فالعراقيون القدماء لم يتسعملوا مصطلحاً يدل على السومريين أو الأكديين كل على حدة أو يفصح عن هوية قومية متميزة لكل منهما، وهناك مصطلح آخر باللغة الأكدية ذو دلالة أضيق في المعنى، وهو «نيش» (nišī) الذي يعني الناس، الأهل أو القوم.

تابع الشكل رقم ٢٤

إن وجود مصطلح «سود الرءوس» وتجنب العراقيين القدماء لاستعمال مصطلح «سومري» أو «سومريون» فضلا على وجود اعتبارات لغوية وثقافية ودينية أخرى، يجعل الباحث يميل إلى الاستنتاج بأن السومرية كانت لغة فقط وليس مصطلحًا عراقيًا يدل على وجود انتماء قومي منفصل عن الأكديين.

سومر وأكد: إن سومر وأكد مصطلح جغرافي يدل على وسط بلاد الرافدين وجنوبها بشكل عام، ودلالة هذا المصطلح كانت تشمل منطقتين متكاملتين متداخلتين ولا يمكن أن تحدد أى منهما بشكل مستقل أو منفصل عن الأخرى، وهذا المصطلح أكدي الأصل إذ يرد في النصوص القديمة بصيغة «مات شومير ومات أكاد» (أي بلاد سومر وبلاد أكد) ومرادفه السومري «ك - اين - گي ك - اور» (ki-en-gi ki - uri)، لقد وردت في كتابات اي - اناتم، امير لگش في عصر فجر السلالات، الإشارة إلى «ملوكية سومر»، واستعمل لوگال - زاگيسي في نصوصه السومرية، في أواخر عصر فجر السلالات لقب «ملك الإقليم» (Lugal - kalam - ma) و«ملك سومر» (lugal - ki - en - gi) وكانت تلك الألقاب ذات دلالة جغرافية على ما هو تحت سلطة الحاكم من أرض، ولم تكن ذات دلالة قومية أو سياسية لإقليم بحدود معلومة، أما مصطلح أكد فقد ظهر بعد أن أطلق سرجون الأكدي اسم «أكادة» على عاصمته الجديدة التي أسسها بعد استيلائه على الحكم، ثم صارت النسبة إليها تطلق على الأكديين، أي إنها تسمية نسبة إلى مدينة أكثر من كونها تسمية قومية.

وقبيل قيام سلالة أور الثالثة (في عام ٢١١٢ ق.م) ظهر لقب سياسي جديد هو «ملك بلاد سومر وبلاد أكد»، إذ استعمله ملك الوركاء اوتو - خيگال لأول مرة للدلالة على اتساع رقعة الحكم على ما يبدو، وبعد اوتو - خيگال استمر ملوك سلالة أور الثالثة في استعمال اللقب نفسه إلى جانب لقبهم الخاص «ملك مدينة اور» وهنا ينبغي ذكر جملة حقائق تكون مفيدة في تقريب مصطلح «سومر وأكد» إلى الذهن المعاصر، وهذه الحقائق هي:

أولا: لم تكن توجد، في أي عصر من عصور تاريخ العراق القديم، حدود طبيعية أو سياسية واضحة بين ما يمكن أن يسمى «بلاد سومر» و«بلاد أكد»، وقد اصطلح المختصون على اعتبار المنطقة الممتدة بين بغداد وجنوب مدينة الحلة حاليًا «بلاد أكد»،

تابع الشكل رقم ٢٤

وإلى الجنوب من ذلك بلاد سومر، لكن هذا الأمر لا يعدو الافتراض الذي يفتقر إلى الدليل الواضح.

ثانيًا: وفقًا لأثبات الملوك السومرية حلت الملوكية في مدينة كيش (على بعد حوالي ٢٠ كم إلى الشرق من بابل) الواقعة في المنطقة التي يصطلح الباحثون على تسميتها «بلاد أكد» وهذا يدل دلالة قاطعة على أن كتبة أثبات الملوك السومرية لم يميزوا بين منطقة سومرية ومنطقة أكدية. ولو كان هذا التمايز موجوداً بالفعل بين المنطقتين وبين القومين لما أفصح نص سومري عن هبوط الملوكية في منطقة أكدية.

ثالثًا: إن السلالة الأولى التي قامت في مدينة كيش بعد الطوفان ضمت وفقاً لأثبات الملوك السومرية، ثلاثة وعشرين ملكًا، وكانت أسماء أكثر من نصف هؤلاء الملوك أكدية الأصل أو الاشتقاق، وهذا ما لا يمكن توقعه لو كان هناك تمايز قومي أو إقليمي في بلاد الرافدين القديمة.

رابعًا: كانت الكيانات السياسية الأولى التي قامت في منطقة سومر وأكد، منذ فجر التاريخ، ترتكز على مدن مختلفة تحقق قوة تجعل منها دويلة - مدينة مستقلة - ولم تكن هناك اعتبارات قومية أو جغرافية وراء قيام تلك الكيانات.

خامسًا: على الرغم من أنه كانت توجد لغة سومرية إلى جانب اللغة الأكدية غيرأنه لم يكن هناك ما يميز سومريين ناطقين بالسومرية عن أكديين غير ناطقين بها، كذلك لم يكن هناك ما يمكن من القول بوجود حضارة سومرية منفردة أما التعبير الذى يمكن أن نصف به الحالة السومرية الأكدية بشكل دقيق فهو أنها حالة حضارة ثنائية اللغة وتوحد قومي.

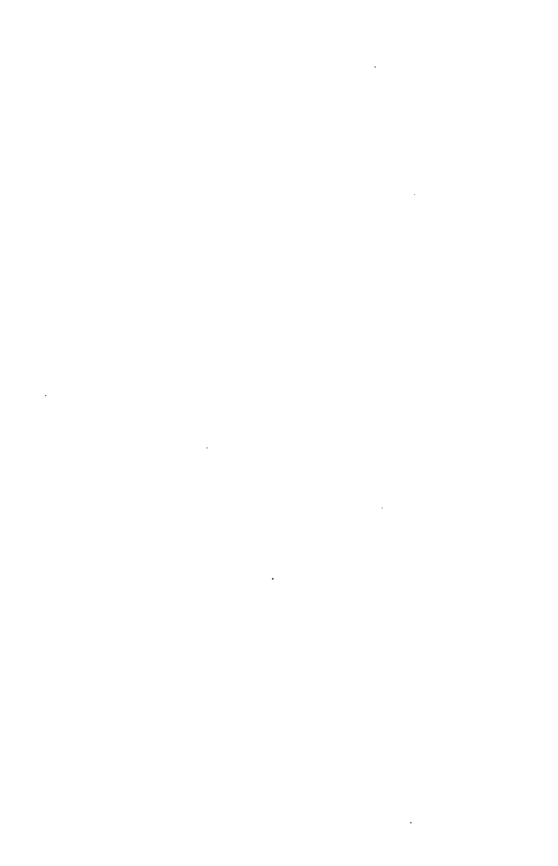
سادسًا: لم يحدث تحول لغوي في العراق القديم من السومرية إلى الأكدية وإنما وجدت ثنائية اللغة، وعرفت النصوص العراقية القديمة في عصورها جميعًا تكاملا لغويًا ووجوداً ثابتًا للسومرية في النصوص الأكدية إلى آخر نص مسماري دون في آخر استعمال للخط المسماري.

تابع الشكل رقم ٢٤

د. عكاشة الدالي

اكتشاف العلماء العرب في العصور الوسطى لمغاليق الكتابـات المصرية القديمة(*)

(*) ملخص بحث.



مقدمة

تعرض هذه الورقة لاهتمام العلماء المسلمين - العرب في العصور الوسطى بالكتابات المصرية القديمة وتلقي الضوء على محاولاتهم لكشف أسرارها.. وتعتمد هذه الدراسة أساسًا على المصادر العربية المخطوطة للبحث أيضًا عن أسباب الاهتمام العربي بالخط الهيروغليفي تحديداً وتقصي مدى هذا الاهتمام.

ومن المؤسف أنه لا توجد حتى الآن دراسات منشورة في حق الآثار المصرية تشير من قريب أو بعيد إلى إسهامات العلماء العرب في مجال الكشف عن أسرار الخطوط المصرية القديمة بالرغم من أن هذه الإسهامات العربية كانت معروفة بالفعل للعديد من العلماء الأوروبيين في حقل الدراسات الاستشراقية فعلى سبيل المثال نشر المستشرق النمساوي جوزيف همرفون «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» والذي يعود إلى آخر القرن التاسع الميلادي (Hammer 1806) كما نشر بلوشيه سنة ١٩٠٩ وما بعدها سلسلة من المقالات حول الغنوصية الإسلامية (مذهب العارفين بالله) والتي بين فيها نجاح بعض العلماء العرب في التوصل لمعرفة بعض الحروف الهيروغليفية (Blochet 1909).

استمرار الاهتمام بالخطوط المصرية القديمة:

هناك دراسات مستفيضة تبين اهتمام الكتاب اليونان والرومان بخطوط مصر القديمة (e.g. Budge 1929, Iversen 1993, Parkinson 1999, Pope1999, Sole' & Valbelle1999) تدل في مجملها على اعتقاد أولئك الكتاب بأن العلامات الهيروغليفية كانت رموزاً يمثل كل منها مفهوماً محدداً وقد ساد هذا الاعتقاد حتى بدايات المحاولات الأوروبية الحديثة لحل أسرار العلامات الهيروغليفية.

ومن المهم إدراك خطأ المقولة الشائعة بموت الاهتمام بتاريخ مصر القديمة مع دخول المسيحية والإسلام إلى مصر وهي المقولة التي اكتسبت صفة المسلمات نتيجة كثرة ترديدها عند جل العلماء في الغرب والشرق على السواء (انظر على سبيل المثال -Val

belle 1994: 38 Haarmann 2001: 191) وهو الأمر الذي عرضته مفصلا في دراسة قيد النشر (El daly 2004 in press).

وليس أدل على ولع أهل مصر بدراسة الهيروغليفية حتى بعد ثبات أركان المسيحية في مصر من تلك الإشارة اللطيفة التي وردت في نصوص نجع حمادي القبطية الغنوصية حيث ينصح هرمس تلميذه بأن يكتب ما يتعلمه من الحكمة على «لوح من الفيروز بالحروف الهيروغليفية» (Discourse on the eighth and ninth VI, 6 in Robinson 1996: 326) ويبدو أن هذا الاهتمام أصبح مدعاة للقلق لدى آباء الكنيسة إذ نجد الراهب القبطي المشهور شنودة (منتصف القرن الخامس الميلادي) يصدر تحذيراً شديد اللهجة ضد دراسة الكتابة الهيروغليفية (Young 1981, Thissen 1994: 256) وهذا الاهتمام بين عامة الأقباط بكتابات جدودهم يأتي بالرغم من موقف الكنيسة المصرية آنذاك الذي كان ينظر بعين الريبة إلى حضارة مصر القديمة باعتبارها حضارة وثنية، وعلى أية حال أدى اهتمام القبط بحفظ بعض ما بقي من تراث أجدادهم سواء في أصوله المصرية أو مترجماً إلى القبطية أو اليونانية إلى شيوع فكرة أن الرهبان الأقباط هم أمناء على حكمة ومعرفة الكهنة الأقدمين، بل يذكر ابن الدواداري في القرن الرابع عشر أن من المصادر المتداولة عن مصر القديمة أحد الكتب القبطية يسميه «الكتاب القبطي» أشار إلى استخدام الرحالة المسعودي له في القرن العاشر الميلادي (ابن الدواداري، كنز الدرر ٣: ٣٦، ٢١٤-٢١٥ وانظر Haarmann).

وليس هناك أكثر دلالة على احتفاظ مصر القبطية بتراثها المصري الأقدم من انتشار العناصر الفرعونية في التعاويذ السحرية القبطية بل ووجود أسماء الآلهة المصرية القديمة بها جنباً إلى جنب أسماء المسيح والقديسين المسيحيين (انظر مثلا DuQuesne 1991, Meyer & Smith 1994: 22-5-260) والواقع أن أغلب هذه الكتابات السحرية قد وجدت طريقها أيضاً إلى المصادر العربية حيث انتشرت برموزها المصرية القديمة في السحر العربي (Bilabel et al, 1934, Haarmann 1980: 65, Fodor 1992).

فإذا عدنا إلى آباء الكنيسة نجد أن قلقهم من تدهور معرفة رعيتهم للكتابة القبطية منذ القرن الحادي عشر قد أدى إلى ظهور كتب تعرف بالسلم عبارة عن شرح لقواعد اللغة القبطية باستخدام اللغة العربية فتركوا لنا تراثاً ثريّا من الدراسات القبطية باللغة العربية أصبحت هي المصدر الرئيسي فيما بعد للدراسات الأوروبية فنرى كرخر في

منتصف القرن السابع عشر الميلادي يستخدم مجموعة من المخطوطات العربية كان قد أتى بها إلى أوروبا الرحالة الإيطالي ديلا فيل وتمكن كرخر Kircher عن طريقها من كتابة أول كتاب في أوروبا عن قواعد اللغة القبطية بادئًا بهذا العمل الخطوات التي كللت بنجاح شمبليون في الوصول إلى سر الكتابة المصرية (Pope 1999:39).

والواقع أن كرخر Kircher في كل ما كتبه عن اللغة المصرية مثل كتابه الشهير "Oedipus (1652-1654) Aegyptiacus" كان دائم الإشارة ليس إلى مصادره العربية فحسب بل كان يضع النصوص العربية كاملة مع ترجمتها اللاتينية، وفي هذا الكتاب استخدم أكثر من أربعين مصدراً عربيّا مثل ابن وحشية وابن الرجال وأبي البركات وجلال الدين (السيوطي).

أما في العصر الإسلامي فقد انتشر الاهتمام بالكتابة الهيروغليفية بين العديد من العلماء وخاصة علماء الكيمياء وبين المتصوفة لأسباب تتعلق بشيوع الاعتقاد بأن الكتابات المصرية القديمة تحمل أسرار علوم الكيمياء وتحويل المعادن الخسيسة إلى ذهب هذا من ناحية أهل الكيمياء أما المتصوفة فقد وجدوا في هذه الأشكال الهيروغليفية ما يثير نهمهم إلى استجلاء غوامضها ولجابر ابن حيان وابن عربي رسائل بالغة الأهمية تدور حول المعاني المرتبطة بأشكال الحروف وليس أكثر إثارة للاهتمام في هذا الخصوص من الأشكال الهيروغليفية وألوانها الزاهرة.

يضاف إلى ما سبق الاهتمام الطبيعي عند العلماء العرب بالكتابات القديمة منذ القرن الأول الهجري (Sezgin 1967 1:934).

والواقع أن العلماء العرب كانوا على دراية بالكتابات المختلفة للغة المصرية القديمة فها هو ابن فاتك (القرن العاشر / الحادي عشر الميلادي) يشير إلى معرفة بيثاجورس العميقة باللغة المصرية القديمة بخط العامة (الديموطيقي) وخط الخاصة وخط الكهنة (الهيراطيقي) ثم خط الملوك (الهيروغليفي) وربما يكون المصدر الذي استقى منه ابن فاتك مثل هذه المعلومة هو كليمنت الإسكندري المتوفى سنة ٢٢٠ ميلادية (Cory 1840 : 169).

ومن المصادر الأخرى التي ربما كانت عونًا للعلماء العرب الآثار التي يوجد عليها نص بأكثر من لغة / كتابة واحدة مثل حجر رشيد ولا شك أنه كان بوسع العديد من العلماء العرب قراءة القبطية واليونانية ونظراً لعدم حماسة المصريين تحت الحكم

اليوناني / الروماني لتعلم اليونانية، اللغة الرسمية للدولة فقد انتشرت عادة إخراج النصوص المصرية الهيروغليفية بكتابة أصواتها بالحروف اليونانية (Crum 1942) وهناك العديد من الآثار المصرية ثلاثية اللغة / الكتابة والتي تشمل الهيروغليفية والديموطيقية واليونانية (Clarysse 1978, Pezin 1978, Depauw 1997:42) بالإضافة إلى إمكانية اعتماد العلماء العرب على معرفة بعض أهل مصر من القبط باليونانية والقبطية وربما اللاتينية أيضاً (Clarysse 1983: 56) مثل ديوسكورس من أواخر القرن السادس الميلادي الذي ترك لنا قوائم كلمات باليونانية والقبطية وهو ما يسر دون شك دراسة النصوص متعددة اللغات (Clarysse 1983: 57) وهناك تمثال للملك الفارسي المعروف دارا الأول عثر عليه في سوسة بإيران على قاعدة مصرية الطراز وعليه كتابة باللغات الأكدية والعيلامية والفارسية القديمة والمصرية الهيروغليفية (Kervran 1972, Yoyotte 1972, Mysliwiec 2000: 146:155).

وليس أدل على شدة ولع العلماء العرب بالكتابات المصرية القديمة من تعدد أسماء الخطوط المصرية لديهم مثل: القلم البرباوي، قلم الطير، القلم الكاهني، القلم المسند، القلم الحميري، القلم القبطي، القلم المصري، قلم هرمس، قلم السيمياء، قلم النيرنجات، قلم الطلسمات، قلم القلفطريات، القلم اللقمي.

وأدرك العرب الصلة الحميمة بين المصرية القديمة والقبطية فسموا الأولى «القبطية الأولى» كما أدركوا أن القبطية هي خليط من المصرية واليونانية (الإدريسي، أنوار ١٠٠ وبعدها؛ القلقشندي، صبح الأعشى ٣: ٢٠).

الكتاب العرب الذين ساهموا في حل رموز الخطوط المصرية القديمة

أول عالم عربي قيل إنه كتب في هذا الموضوع هو العالم الكيميائي الشهير جابر ابن حيان الذي عاش في النصف الأخير من القرن السابع الميلادي والنصف الأول من القرن الذي يليه ويبدو أن كتابه «كشف الرموز» الذي لم أتمكن من العثور عليه كان دراسة مفصلة لعدد من اللغات القديمة حسب ما يتبين من إشارات من جاءوا بعده من العلماء إلى أهميته (على سبيل المثال ابن وحشية، شوق ٤٧-٨) ومعروف عن جابر ولعه باللغات قديمها وحديثها بل استخدامه للكثير من الكلمات في لغاتها الأصلية كما نرى في كتابه المعنون «الحاصل» (Ryding 1997:236).

ثم يأتي بعد ذلك العالم المصري أيوب بن مسلمة الذي صحب الخليفة العباسي المأمون خلال زيارته لمصر سنة ٨٣١م وقيل إنه قرأ له النقوش المصرية القديمة على جدران الآثار بما له من «معرفة حل أشكال (Sic) أشكال حروف الأقلام البرباوية» وقد لاحظ الإدريسي (ت، ١٢٥١م) أنه لو كانت تلك النقوش باليونانية أو السريانية لما حرص المأمون على صحبة أيوب بن مسلمة لكثرة من يعرفون مثل تلك اللغات بين مرافقيه (الإدريسي، أنوار ٦١).

وهناك مخطوط ينسب إلى أيوب بن مسلمة بعنوان «أقلام المتقدمين» عبارة عن دراسة لعدد من الخطوط القديمة منها المصرية إلا أن حالة المخطوط السيئة جعلت الإفادة منه محدودة كما أنه توجد لدي دواع للشك في نسبته إليه.

ثم نأتي إلى معاصره الأشهر ذي النون المصري (ت. منتصف القرن ٩م) وهو صوفي ولد بأخميم وقيل إنه ترعرع في معبدها وكان ضليعاً في العلوم القديمة كما يجيد قراءة النصوص التي ازدانت بها جدران المعابد وكان بعض معاصريه قد كادوا له عند الخليفة العباسي في بغداد واتهموه بأنه «أحدث في الإسلام ما ليس فيه» بإدخاله «علم الأحوال والمقامات» إلى الفكر الصوفي، وقد ترك لنا ذو النون عدداً من الرسائل في أبواب شتى منها الكيمياء والشعر والتصوف وكتابه المعنون «حل الرموز وبرأ الأرقام في كشف أصول اللغات والأقلام» يعرف من نسخة فريدة تشمل دراسة لأكثر من ثلاثمائة كتابة قديمة ومنها بطبيعة الحال الهيروغليفية والديموطيقية والقبطية وقد لاحظت أنه يمكن للمشتغلين بحل الخطوط القديمة التي لا تزال غير معروفة مثل لاينير ب Linear B محاولة الإفادة من هذا الكتاب وهو ما آمل أن يتم في المستقبل القريب، وتتميز دراسته بأن الصفحة بها القيمة الصوتية للحروف يتبعها رسم أشكالها إلا أن نهاية المخطوط مفقودة.

أما العمل الأهم في مجال حل رموز الكتابة الهيروغليفية فهو الكتاب القيم لابن وحشية النبطي من أهل العراق من أوائل القرن العاشر الميلادي وهو أصلا من المشتغلين بالكيمياء وله دراسة مطولة في الفلاحة بعنوان «الفلاحة النبطية» ذكر فيها أنه ترجمها عن لغة أسلافه الأقدمين.

وهناك نسختان من كتابه «شوق المستهام في معرفة رموز الأقلام» أحدهما فقدت الآن وهي التي درسها ونشر نصها العربي مع ترجمة إنجليزية المستشرق النمساوي

جوزيف همر المشار إليه سابقًا وذلك في لندن سنة ١٨٠٦ أي قبل أن ينشر شمبليون رسالته الشهيرة سنة ١٨٢٢ التي بين فيها نجاحه في حل رموز الهيروغليفية.

وقد حصلت أنا على نسخة المخطوط الأخرى ويتضح من دراستها أن عدد الخطوط القديمة التي وردت فيها أكثر من تلك الموجودة في النسخة التي ترجمها همر، ويتمثل الإنجاز الرئيسي لابن وحشية في مجالين: أولا تعرفه على عدد كبير من حروف الكتابة المصرية مع توصله إلى القيمة الصوتية الصحيحة لبعضها، ثانيًا وهو الأهم توصله إلى أن بعض الأشكال الهيروغليفية هي مخصصات تستخدم لتحديد المعاني وقد أورد الكثير منها مع معانيها التي ثبت صحة معظمها حين مقارنتها بقائمة علامات جاردنر Sign list.

ثم نأتي أخيراً إلى عالم عراقي الأصل أيضًا وهو مثل سابقه من المشتغلين بالكيمياء من القرن ١٣ / ١٤م وهو أبو القاسم العراقي المصري، في كتابه «الأقاليم السبعة» نجد لوحات لنقوش ورسوم مصرية قديمة وأيقونات قبطية يتضح منها بذله المجهود في نسخها، وتوج أبو القاسم عمله برسم جدول للحروف البرباوية أي الهيروغليفية يمكن التعرف فيها على عدد من الحروف التي توصل إلى قراءتها الصحيحة والأهم هو حفظه لنا لوحة ترجع للملك أمنمحات الثاني من الأسرة الثانية عشرة يمكن لكل من له معرفة باللغة المصرية القديمة قراءتها بيسر.

وقد أدى كل هذا النشاط العلمي الكثيف عند العلماء العرب إلى حرص مؤرخ كبير كالمقريزي على إيراد ترجمة لبعض نقوش لوحات مصرية، إذ يذكر المقريزي بشيء من التفصيل قصة هدم باب البحر أحد أبواب القصر الفاطمي الذي بناه الحاكم بأمر الله أواخر القرن العاشر م وجرى هدمه سنة ١٢٧٣م على عهد الظاهر ركن الدين بيبرس. ويتبع المقريزي في إيراده ترجمة نص اللوحة نفس القواعد العلمية المتعارف عليها الآن في نشر مثل هذه النصوص مثل وصف اللوحة وذكر ظروف العثور عليها وموضع الكشف والسياق ثم ترقيم السطور وملاحظة بداية ونهاية كل سطر والإشارة إلى الفجوات Lacunae الموجودة في النص إما بسبب تهشم موضعها أو محو الكتابة فيها وأخيراً محاولة تفسير النص ونقده (المقريزي، خطط ٢: ٤٢٥-٤٢٩).

لؤي محمود سعيد

أحمد باشا كمال ومنهجه الرائد في التقريب بين العربية والهيروغليفية(*)

(*) يتوجه الباحث بجزيل الشكر للصديق د. أشرف فتحي مدرس الآثار واللغة المصرية القديمة بكلية الآداب جامعة عين شمس على ما أبداه من ملاحظات قيمة وإضافات ذات قيمة كبيرة ساهمت في إثراء هذه الدراسة وخاصة ما يتعلق منها بالدراسة النقدية لطبعة الجزء الأول من قاموس أحمد كمال.



إن الأحداث الجسام التي شهدتها مصر في النصف الثاني من القرن ١٩ وأوائل القرن ٢٠ كانت ذات تأثير عميق في فكر ووجدان مثقفي هذه الفترة ومنهم أحمد باشا كمال (١٨٥١- ١٩٢٣) الأب الروحي للآثاريين العرب.. فقد مثل على سبيل المثال مجيء جمال الدين الأفغاني لمصر عام ١٨٧١ كما هو معروف علامة فارقة في تاريخ مصر الوطني ونهضتها الفكرية والثقافية، مما كان له أبلغ الأثر على كافة مثقفي وسياسيي مصر وقتها.. كما التهبت المشاعر بدخول الاحتلال الإنجليزي مصر وانكسار الثورة العرابية عام ١٨٨٢ وما تلا ذلك من تنامي الحركة الوطنية والشعور القومي لدى المصريين فانتشرت الصحافة الوطنية وارتفعت نبرة رفضها للاحتلال وهيمنته حتى قامت ثورة ١٩١٩.

كما شهدت البلاد زعماء وطنيين أمثال أحمد عرابي وعبدالله النديم ثم مصطفى كامل ومحمد فريد وسعد زغلول وغيرهم كثيرين.. كما شهدت تلك المرحلة أيضًا قيام أول مجلس نيابي مصري عام ١٨٦٦.. ومع تزايد الديون تزايد التدخل الأجنبي والهيمنة على مقدرات البلاد.. كل ذلك في وجود أسرة حاكمة ضعيفة لا حول لها ولا قوة تميل للحكومات والزعماء الشعبيين تارة وتتحالف مع المحتل الإنجليزي في أغلب الأحيان.. في كل هذه الأجواء المفعمة بالحماسة الوطنية نشأ وتبلور فكر أحمد كمال الأثري، وتكونت اتجاهاته الوطنية التي كثيرًا ما ظهرت في كتاباته الممتلئة حسرة على زوال المجد التليد والمفعمة بالحماس واستثارة الهمم لاستعادة أمجاد الماضي الغابر.. فكانت دعوته لسبر أغوار الماضي ما هي في الحقيقة سوى دعوة لرفض الواقع والتحريض على تغييره بتأكيد الثقة بالنفس وبث روح الجد والاجتهاد في نفوس أهل وطنه لمناطحة المحتل.. ليس سياسيًا أو عسكريًا، لكن ثقافيًا وفكريًا بأخذ ناصية العلم والمعرفة.. وهو المنهج الذي طبقه على نفسه شخصيًا، وبرع فيه لأبعد الحدود بصورة أذهلت أقرانه الأوروبيين أنفسهم.. حتى لاقى ما لاقاه.. سواء على يد ثلة من الأوروبيين، أو كذلك على يد المصريين أنفسهم من بني جلدته.. فلم يفتّ كل ذلك في عضده، ومضى يتلقى الإحباطات والمعاكسات الواحدة تلو الأخرى دون أن تلين عريكته أو تنحني هامته.

بل زاد كل ذلك من مثابرته وجلده ووطنيته وحبه لبلده وأهلها وحرصه على آثارها وعلى تأصيل فكرة التواصل الحضاري الثقافي بين مصر وجيرانها من خلال التأكيد على الهوية المشتركة التي تجمع بين تلك الحضارات القديمة والتي تتجسد أساسًا في القواسم اللغوية بينها . . فكانت هذه القضية هي محور جهده العلمي والفكري طيلة نصف قرن من الزمان .

ولد كمال في التاسع والعشرين من شهر شعبان لعام ١٢٦٧ هجرية الموافق ٢٩ يونيو من عام ١٨٥١ ميلادية[١] ، ويعتقد أن والده حسن أحمد عبدالله قد جاء أصلا من جزيرة كريت (من أسرة حكم بعض أسلافها مقاطعة هرقلية فيها)[٢] .

كما يرجح بعض أحفاده أنه قد جاء لمصر طفلا ولم يولد فيها[٣] ، لكن تؤكد مصادر أخرى أنه قد «ولد وعاش وتوفي في القاهرة»[٤] في الغالب ، تربى وتعلم في مدارسها وبين ظهراني أهليها[٥] . . فتشرب أحلامهم وآمالهم وحارب في سبيل تحقيقها وتجرع آلامهم ومعاناتهم ، فلو كان أجنبيًا وافدًا لعومل مثل الأجانب وقتها بما كان لهم من امتيازات واستثناءات عزت على ابن البلد ، ولكان قد ترقى أعلى المناصب بسرعة ويسر . . وهو ما لم يحدث بالطبع .

أما النقطة الجديرة بالإشارة فيما يتعلق بمولده فهي اسمه . . فالمؤكد أن «أحمد

---

(١) اللواء المصري محمد مختار باشا مأمور الخاصة الخديوية الجليلية : التوفيقات الإلهامية في مقارنة التواريخ الهجرية بالسنين الإفرنكية والقبطية - ط١ - المطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية - ١٣١١هـ - ص٦٤٠ .

ملحوظة : ذكرت حفيدته هالة سلام أنها تمكنت فقط من استخراج شهادة وفاته من دار المحفوظات بالقلعة لكنها فشلت في العثور على شهادة ميلاده .

- يعطي د . حازم عطية الله تاريخًا لمولده هو ٢٩ يوليو ١٩٥١ . . انظر :

Hazim Athiat Alla, Die Rolle die einheimschen Ägyptologen in der Entwicklung der Ägyptologie als Wissenschaft, in: Gm 76, 1984, pp. 73-94.

(٢) مجلة المجمع العلمي العربي : الجزء ١٠ (تشرين الأول : أكتوبر - ١٩٣٣م) - ص٣٠٠ ؛ خير الدين الزركلي : الأعلام - الجزء الأول (١٩٣٦ / ١٩٣٩) - ص١٩٠ .

(٣) ذكرت منى البارودي حفيدته أنها سمعت من بعض عجائز الأسرة أنه قد جاء لمصر مع أسرته في سن ٥ أو ٧ سنوات أو حتى ١٤ سنة . . وإن كان الرقم الأخير مستبعدًا لأنه بدأ دراسته في سن الثالثة عشرة .

(٤) جمال مختار : مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مجلد ١٢ - القاهرة - ١٩٦٤ / ١٩٦٥ - ص٤٥ ، خير الدين الزركلي : مرجع سابق - ص١٩٠ .

(٥) ذكرت المهندسة منى البارودي حفيدته أنها سمعت من بعض عجائز الأسرة أنه قد جاء لمصر مع أسرته في سن ٥ أو ٧ سنوات أو حتى ١٤ سنة . . وإن كان الرقم الأخير مستبعدًا لأنه بدأ دراسته في سن الثالثة عشرة كما سنبين .

كمال» هو اسم مركب لنفس الشخص لأن اسم والده هو حسن بن أحمد[٦]، لكن هناك وجهة نظر حول الشطر الثاني من اسمه وهو «كمال».. ويعتقد البعض أن لقب «كمال» قد أضيف لاسمه وذلك لآدابه وتفوقه.. فصار علماً له ولمن بعده «وذلك بعد أن أظهر نبوغًا واضحًا في دراسته بمدرسة اللسان المصري القديم التي التحق بها عام ١٢٨٦هـ[٧](أي حوالي ١٨٦٩م)».. وهذا هو الرأي الذي يرجحه الباحث.

التحق أحمد كمال وهو في سن الثالثة عشرة من عمره بمدرسة المبتديان (أي الابتدائية) بالعباسية حيث درس فيها لمدة ٤ سنوات[٨]، وربما يكون قد التحق بأحد الكتاتيب قبيل دخوله المدارس[٩]، وذلك لانتشار وشعبية هذا النوع من التعليم للأطفال الصغار في الزوايا والمساجد وقتها.. والذي ترجحه قوة بنيان وفصاحة لغته العربية وتدينه الواضح في كتاباته التي يبدو منها حفظه للقرآن الكريم أو بعضٍ منه على الأقل.. وجميعها مواد أولية تهتم تلك الكتاتيب بتعليمها للتلاميذ، وهو ما سيكون ذا تأثير مباشر على منهجه الفكري الذي سيتبناه لاحقًا تجاه الانحياز الكبير للثقافة العربية الإسلامية.

انتقل بعد ذلك أحمد كمال عام ١٢٨٤ هـ (أي: ١٨٦٧ / ٦٨م) إلى المدرسة التجهيزية (الثانوية) حيث قضى بها عامين فقط قبل أن يلتحق بمدرسة اللسان المصري القديم عام ١٢٨٦هـ (أي: عام ١٨٦٩م)[*] ثم اختير كمال ضمن عشرة طلاب من النابهين والمتفوقين ليكونوا النواة التي تفتح بها مدرسة اللسان المصري أبوابها عام ١٨٦٩م[١٠].. والتي كانت تعرف أيضًا بمدرسة «اللسان القديم» أو «مدرسة بروجش»

(٦) مجلة المجمع العلمي العربي: ص٣٠٠.

(٧) نفس الموضع.

(٨) مجلة المجمع العلمي العربي: مرجع سابق - ص٣٠٠؛ مجلة المقتطف: الجزء ٦٣ - نوفمبر ١٩٢٣ - ص٢٧٣؛ جمال مختار: مرجع سابق - ص٤٥.

(٩) لؤي محمود سعيد: كمال ويوسف.. أثريان من الزمن الجميل - مطبوعات مئوية المتحف المصري - القاهرة - ٢٠٠٢ - ص٣٥.

(*) المجمع العلمي العربي: مرجع سابق - ص٣٠٠؛ المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص٢٧٣ وجمال مختار: ص٤٥، وللتواريخ الهجرية انظر: اللواء محمد مختار باشا: التوفيقات الإلهامية - مرجع سابق.

(١٠) توفيق حبيب: مجلة الهلال - أول نوفمبر ١٩٢٣ - ص١٣٦ - ١٣٨؛ د. أحمد عزت عبدالكريم: «المعالم الأولى للدراسات الإيجبتولوجية في مصر» - عن تسجيل صوتي للمحاضرة التي ألقاها عنه د. محمد عبدالرءوف سليم لمرضه - وذلك في ندوة «إحياء ذكرى أحمد كمال باشا» والتي أقامها المجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - القاهرة - في المدة من ١٠ إلى ١٢ ديسمبر ١٩٧٧.

نسبة لمديرها الألماني هاينرش بروجش (ذلك الرجل الذي كان له تأثير خاص في فكر أحمد كمال) Heinrich Brugsch أو «مدرسة اللسان المصري والحبشي»[١١].

وبدلا من العمل في الحقل الأثري عُين ٧ من طلاب المدرسة في عام ١٨٧٢ ومنهم أحمد كمال كمعاونين ومترجمين بديوان المكاتب الأهلية أول إنشائه وذلك لترجمة الكتب الألمانية[١٢]! وقد علل كاتب «المقتطف» سر معارضة الأجانب لاشتغال المصريين بالآثار بأنه «الخوف من أن ينشأ رجال يعرفون قيمتها فيحولون دون نقلها لأوروبا»[١٣].

عمل كمال في هذه المرحلة بوظائف عديدة أخرى فقد اشتغل معاونًا ومترجمًا للغة الفرنسية في نظارة (وزارة) المعارف العمومية، وربما تكون تلك هي أولى وظائفه قبل عمله بتدريس الألمانية.. ثم عمل مترجمًا للغة الفرنسية أيضًا في مصلحة «وابورات البوستة» (أي: البواخر البريدية) وديوان البحرية.. ثم كاتبًا للفرنسية ومترجمًا ظهورات في إدارة المماكس (الجمارك) العامة بنظارة المالية.. وجميعها مناصب ذات حيثية وقتها وتدر مكاسب[١٤].. لكن هيهات، فحبه الجارف للآثار كانت له اليد العليا.. فترك الوظائف ومكاسبها خلف ظهره ما إن لاحت له فرصة تحقيق حلم حياته.

التحق في البداية بوظيفة كاتب بمصلحة الآثار.. وهي بالطبع أدنى من كل عمل تقلده قبل، لكنه لم يلبث أن شغل منصب مترجم بالأنتيقخانة المصرية(*) مع وظيفة معلم لغة قديمة بها[١٥]. بينما يبدو أن تعيينه - أو بالأحرى ترقيته - كاتمًا للأسرار

---

(١١) المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - نفس الموضع؛ مختار: مرجع سابق: نفس الموضع.

Hala Sallam, Ahmed Kamal Pasha, in: Orientalia Lovaniensia Analecta 82, Proceedings of the 7th intl congress of Egyptologists, Cambridge, 3-9 sept. 1995, ed.by: C.J Eyre, Leuven, 1998,p. 1015.

(١٢) أحمد عزت عبدالكريم: عن ندوة أحمد كمال باشا (١٩٧٧) - غير منشورة - مرجع سابق؛ وانظر أيضًا لنفس الباحث: تاريخ التعليم في مصر - عصر إسماعيل-مرجع سابق؛ جمال مختار: مرجع سابق: نفس الموضع.

(١٣) المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص٢٧٣.

(١٤) المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص ص٢٧٣ - ٢٧٤، مجلة المجمع العربي: مرجع سابق - ص٣٠٢؛ جمال مختار: مرجع سابق - ص٤٥ H.sallam, op. Cit, 1016.

D.M.Abou-Ghazi, ASAE 64, pp. 1-5.

(*) يبدو أن هذه الوظيفة وقتها تماثل مهنة «المرشد السياحي» حاليًا (أو: الترجمان).. حيث كانت مهمته مرافقة ضيوف المتحف من الأجانب لشرح المعروضات لهم، وليس مترجمًا بالمعنى المعروف.

(١٥) جمال مختار: مرجع سابق - نفس الموضع.

(سكرتير) ومترجمًا وأستاذًا للغات القديمة بالمتحف كان وراءه نفوذ «رياض باشا» رئيس مجلس النظار (مجلس الوزراء) حينئذ[١٦] كما يبدو أن ترقية كمال من درجة كاتب لدرجة مترجم بالأنتيقخانة[١٧] قد تمت خلال عهده أي حوالي عام ١٨٨٠م.

كما عمل كمال أيضًا في «**وظيفة إرشاد الذوات الشرقيين الذين يحضرون إلى الأنتيقخانة**»[١٨] كما يقول نص الوثيقة الصادرة في أوائل ١٨٨١.. أي وظيفة «الإرشاد السياحي» لضيوف المتحف الشرقيين - على اعتبار أن الضيوف الغربيين يتولاهم مدير المتحف الفرنسي جاستون ماسبرو بنفسه في الغالب.

وثيقة أخرى صادرة في ١٥ فبراير ١٨٨٢ تذكر أن: «**أحمد كمال ربط له شهري ٨٠٠ قرش بوظيفة ناظر وخوجة والمذكور موظف بمصلحة الأنتقخانة مترجم بماهية شهري ١٢٠٠ قرش**»[١٩].. إذن فقد عمل أيضًا ناظرًا لمدرسة المتحف وليس مجرد «خوجة» (مدرس) بها كما تذكر الوثيقة ذلك صراحة.

كما تقلد كمال وظيفة أمين مساعد لحفظ الآثارات في إدارة عموم الأنتيقخانة المصرية بمرتب سنوي ٣٠٠ جنيه في ١٠ أكتوبر ١٨٩١[٢٠]، وبهذا أصبح أول مصري يتقلد منصبًا أثريًا رسميًا بالمتحف المصري.. وظل يحمل هذا اللقب طوال فترة خدمته حتى تقاعده عام ١٩١٤. والغريب أنه لم يحصل على لقب أمين شرفي للمتحف إلا بعد تقاعده[٢١].

كانت سياسة الفرنسي أوجست ماريت (١٨١٢ - ١٨٨١) أول مدير لمديرية الآثار التاريخية تعتمد في الأساس على إقصاء أي جنسية غير فرنسية عن المناصب الأثرية الرسمية لضمان استمرار احتكارها(*)، وكذلك لضمان تبعية آثار مصر جميعها له شخصيًا، لذلك رفض بشدة في البداية فكرة تعيين أي مصري في منصب رسمي، ذلك لأن خطورة المصريين - رغم حداثة عهدهم بهذا المجال - أكبر وأشد لأنها ببساطة آثارهم.. والتي قد يطالبون بدافع وطني يومًا ما بتولي أمرها برمته.

(١٦) المقتطف: نوفمبر ١٩٢٣ - ص٢٧٤؛ مجلة المجمع العربي - مرجع سابق - ص٣٠٢.
(١٧) لورد كرومر: الثورة العرابية - مترجم - هيئة الكتاب - القاهرة - ١٩٩٧ - ص٦٧ وما بعدها.
(١٨) من وثائق وزارة الأشغال العمومية.
(١٩) من وثائق وزارة الأشغال العمومية.
(٢٠) من وثائق وزارة الأشغال العمومية.
(٢١) JEA9, Oct. 1923, pp.24lf.
(*) كان تولي بروجش منصب مساعد مدير المصلحة استثناءً سببه علاقته بالخديو إسماعيل نفسه من ناحية بالإضافة للصداقة التي كانت تربطه أيضًا بماريت.

وبرغم بعض التقدير الجزئي لكمال وهمته وحماسه الواضح على يد بعض المسئولين أمثال ماسبرو، إلا أنه كان أحياناً عداءً سافراً من البعض تجسد في موقف «دي مورجان» (تولى من ١٨٩٢ إلى ١٨٩٧) منه.. والذي عمد وهو مدير المتحف إلى تجاهل كمال الأمين المساعد الوطني، وبقي نحو سنة كاملة لا يخاطبه بكلمة واحدة! بل وسعى جاهداً للتخلص منه[٢٢]!! لكن لا تشير المصادر المتاحة إلى سر هذا العداء.. هل هي الغيرة من ذلك المصري المجتهد الذي وصل لقمة نشاطه العلمي والبحثي في التنقيب والنشر؟ أم العداء لمنهجه المتفرد في التقريب ما بين الحضارة المصرية القديمة وحضارات المنطقة العربية.. لا شيء مؤكد!

وبرغم معاناة أحمد كمال الشديدة من التحيز ضده كمصري وخاصة من الفرنسيين الذين كانوا يسيطرون على مقاليد الآثار في مصر، فهو لم ينكر أبداً مع ذلك فضلهم ولا مجهوداتهم في إرساء دعائم علم المصريات حيث يقول: «لا ننكر أنهم بهذا الاجتهاد عانوا مشاق كثيرة في اللغة (المصرية) مما يثبت لهم الفضل الأكبر عند أهل العلم لكونهم كانوا أول باحث في اكتشاف غوامض اللغة المصرية وإظهارها من عالم الخفاء إلى عالم الوجود»[٢٣].

لهذا حرص الأثريون الأوروبيون المعاصرون له على الاستشهاد أحياناً بآرائه العلمية وخاصة تلك التي تربط بين الحضارة المصرية القديمة والحضارة العربية.. فقد عرف عنه بلاغته ودقة تحليله لتلك العلاقات اللغوية بين العربية والهيروغليفية والتي يصعب عليهم التوصل إليها.. فها هو مثلا «واليس بدج» يورد رأي كمال في الربط اللغوي بين بعض آلهة وأصنام الجزيرة العربية القديمة مثل: «مناة» و«العزّى» وغيرهما.. وبين الآلهة المصرية القديمة مثل «منيت»، وواجيت أو «وازيت»[٢٤].

وللأسف كان على كمال أن يواجه أيضًا تحديات حتى من أبناء جلدته من المصريين مما ضاعف من معاناته.. يلخص «ريد» قصة كفاحه طيلة حياته سواء في مواجهة الأجانب أو بعض المصريين بقوله: «لقد كافح أحمد كمال بلا كلل من أجل أن يؤسس

(٢٢) توفيق حبيب: مجلة الهلال - نوفمبر ١٩٢٣ - ص١٣٧، شوقي علي هيكل: الهلال - نوفمبر ١٩٩٣- ص٩٢.

(٢٣) أحمد كمال بك: العربية والمصرية القديمة - مجلة المقتطف - ١ مارس ١٩١٤- ص٢١١.

(٢٤) E.A.W.BUDGE, THE GODS OF THE EGYPTIANS, VOL. II, NEW YORK, 1969, PP, 2891 F.

علماً للمصريات مصري الهوية ومن أجل إقناع أهل بلاده بأهميته»(٢٥).

فمثلا يقول المويلحي في كتابه «حديث عيسى بن هشام» - الذي صدر عام ١٩٠٥ - مهاجماً الآثار المصرية ومتبرئاً من الانتماء إليها بل ومستهزئاً بمعرفة كمال بالهيروغليفية دون أن يذكره صراحة: **«ولو أنك عرضت أهل مصر على هذه الآثار واحداً واحداً لما استفادوا منها شيئاً، ولا أفادوك عنها شيئاً، ولما وجدوا لها قيمة تذكر سوى النزر اليسير من المقلدين للغربيين، ولن تجد بين عشرة الملايين اليوم سوى شخص واحد يفقه لغة الهيروغليف أعني لغة آبائهم وأجدادهم كما يزعم الزاعمون، مع كثرة الخبيرين بها من الأمم الغربية، والله أعلم بمقدار علمه بها»**(٢٦).

ويشير الأيوبي لهذه النظرة المتعالية للآثار المصرية من قبل العامة والتحول التدريجي عنها بقوله: «فقد نظر العامة لهذه الآثار نظرة الإكبار والإجلال والتعظيم تأثراً بنظر الأجانب لها بالطبع، وتحولهم شيئاً فشيئاً عن شعور الاحتقار الذي كان متأصلا في قلوبهم لأهل تلك العصور التي يدعونها «كفرية»(٢٧).

لكن يقف رغم كل هذا أشخاص شوامخ قدروا للآثار والتراث حق قدرهما وأدركوا أهمية درسها وحمايتها من أجل صالح الوطن.. ويأتي على رأسهم جميعاً الشيخ رفاعة رافع الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣) وعلي باشا مبارك (١٨٢٤ - ١٨٩٣).. يقول «ريد» عنهما: «كان مبارك كالطهطاوي.. فقد آمن كلاهما بأن مصر القديمة هي مهد حضارة العالم قديماً وحديثاً وأن الاعتزاز بها عنصر أساسي في تدعيم النهضة الوطنية الحديثة للبلاد»(٢٨).

ومع ذلك فقد أثر فكر ودعوة كمال بلا شك في قطاع لا يستهان به من فئة المتعلمين والمثقفين.. فها هو عميد الأدب العربي طه حسين مثلا يتحدث عن بداياته الفكرية الأولى وكيف أنه «بُهت» حين سمع لأول مرة أسماء «رمسيس» و«إخناتون» من الأستاذ أحمد كمال في غرفة من غرف الجامعة المصرية وهو يتحدث عن الحضارة المصرية القديمة ويحاول أن يشرح لطلابه مذهبه في الصلة بين اللغة المصرية القديمة واللغات

---

(٢٥) D.M.Reid, Whose Pharaohs? AUC Press, Cairo, 2002, p.173.

(٢٦) جمال مختار» مجلة الجمعية المصرية للدراسات التاريخية - مجلد ١٢ - ١٩٦٤ / ٦٥ - ص٥٥.

(٢٧) إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد الخديو إسماعيل باشا - ط١ - مطبعة دار الكتب المصرية - القاهرة - ١٩٢٣ - ص ٢٣٦ - ٢٣٧.

(٢٨) Reid, Op cit, pp.180 f.

السامية ومنها اللغة العربية.. والفتى طه حسين ذاهل حين يسمع كل ذلك العلم، وهو أعظم دهشة وذهولا حين يلاحظ أنه يفهم كل ذلك ويستسيغه في غير «مشقة ولا جهد».. ويضيف د. عبدالرشيد مؤلف الكتاب أن طه حسين بهذا الافتتان قد وجد منفذًا للتحرر من قيود الدراسة الأزهرية التقليدية الجامدة، وهو ما قاده لاحقًا لإعداد دكتوراه عن «أبي العلاء» والتي رسمت شخصيته الفكرية بعد ذلك طيلة حياته[٢٩].

لم يكتف أحمد كمال بنشر الكتب والمقالات العلمية، ولا بإلقاء المحاضرات في القاعات المغلقة.. فإحساسه المتنامي بأهمية دوره التنويري جعله لا يترك وسيلة إلا وطرقها.. فقد عمد كمال إلى نشر المقالات المبسطة في الصحف والمجلات الأكثر انتشاراً في مصر والشام.. فضمن بذلك جمهوراً أرحب وشيوعًا أكبر لأفكاره وآرائه التي كرس لها حياته.. فنشر المقالات في المقتطف والهلال والمنار والعمران ومجلة الآثار اللبنانية ومجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ومجلة المجمع العلمي المصري والجمعية الجغرافية الخديوية ومجلة العمران المصرية، بالإضافة للمقطم والأهرام واللواء المصري والوطن وغيرها من المطبوعات الشعبية والمتخصصة.

كان كمال عضواً أيضًا بالمجمع اللغوي الذي أسسه نفر من المهتمين بقضايا اللغة العربية عام ١٨٩٢[٣٠]، وكذلك عضو شرف المعهد العلمي العربي بالشام[٣١] (الذي هو نفسه المجمع الدمشقي)، حيث حرص كمال أيضًا فيهما على التبشير بدعوته في التقريب بين العربية والهيروغليفية.

ويظهر مدى الاحتفاء بكمال وآرائه في الشام من حجم حفل التأبين المهيب الذي أقيم له في يوم الجمعة التاسع عشر من شهر أكتوبر (تشرين الأول) من عام ١٩٢٣ أي بعد وفاته بشهرين فقط[٣٢] في دمشق في مقر المجمع العلمي العربي بينما لم يقم أي نظير له للأسف الشديد في مصر إلا بعد عقود.

ففي مصر، وبعد وفاة أحمد كمال بأكثر من نصف قرن أقام المجلس الأعلى لرعاية

---

(٢٩) د. عبدالرشيد الصادق المحمودي: طه حسين: الكتابات الأولى - دار الشروق - القاهرة - ٢٠٠٢؛ قام أحمد كمال بالتدريس في الجامعة المصرية ما بين عامي ١٩٠٨ و١٩٠٩ بتزكية على الأرجح من ماسبرو الذي كان عضواً في مجلس إدارتها.

(٣٠) جمال مختار: مرجع سابق - ص٤٥.

(٣١) المقتطف: نوفمبر- ١٩٢٣ - ص٢٧٧.

(٣٢) مجلة المجمع العلمي العربي: مرجع سابق - ص ٢٩٤ والتي تليها.

الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية بالاشتراك مع الجمعية المصرية للدراسات التاريخية، في مقر الجمعية بالقاهرة في المدة من ١٠ إلى ١٢ ديسمبر من عام ١٩٧٧ - أي منذ نحو ٢٦ عامًا - «ندوة إحياء ذكرى المؤرخ أحمد كمال باشا»[٣٣].. مع ملاحظة أن لفيفًا من أبرز رجالات الآثار والتاريخ وقتها قد شاركوا فيها.

ورغم أهمية ذلك الحدث.. ورغم أنه قد حمل ضمنًا قدراً من الوفاء - المتأخر نسبيّا- لهذا الرجل العظيم وذكراه.. إلا أن تلك الندوة ذهبت - كسابق أي محاولات بذلت لتكريمه - أدراج الرياح.. فلا أبحاثها قد نشرت في مجلة الجمعية، ولم تنفذ سوى توصية ثانوية واحدة من عشرات التوصيات التي طرحت وذهبت في طيّ النسيان!

أما رأي أ. د. عبدالعزيز صالح في كمال وفكره في بحثه الذي ألقاه في الندوة فقد جاء متضمنًا بعض التقدير والاستحسان، لكنه عدّد في نفس الوقت ما أسماه «هنات» وقع فيها:

إن كمال **«لم يجد تناقضًا بين دعوة المصرية التي تحمس لها ودعوة العروبة التي تحمس لها أقرانه أمثال محمد عبده وغيره، وهو ما دفعه لإبراز الطابع السامي في المصرية القديمة وخاصة العربية فنجح حينًا واشتط حينًا»**.

من ناحية أخرى فقد حرص كمال على أن يستخدم منهجه الخاص في الدفاع عن القرآن الكريم، فانطلاقًا من النتيجة التي خلص إليها باعتبار أن اللغة المصرية هي أصل اللغة العربية، فند كمال الادعاء باحتواء القرآن على ألفاظ أعجمية.. فتناول الكلمات التي أوردها الشيخ حمزة فتح الله في كتابه الصادر عام ١٩٠٢ باعتبارها أعجمية وأثبت أنها كلمات مصرية قديمة أي عربية - باعتبار أنهما شيء واحد - وبالتالي فهي ليست أعجمية[٣٤].. ورغم غرابة هذا المنهج في تناول مصطلحات القرآن الكريم فلم نسمع لليوم عمن نقده أو ناقشه سواء سلبًا أو إيجابًا.. وهو جدير بذلك.

ولأنه لا شك في وجود علاقة جدلية بين المثقف عمومًا وما يحمله من أفكار وهموم وبين الثقافة والأفكار السائدة في مجتمعه. لهذا كان من الطبيعي أن يتأثر فكر ومنهج كمال بالمفاهيم السلبية السائدة في عصره عن الآثار المصرية أو بتعبير إلياس الأيوبي: «تلك الهاوية التي حفرتها العقائد بين عقلية (المصريين) وعقلية أجدادهم

---

(٣٣) حصلت على تسجيل صوتي كامل للندوة من المهندسة منى البارودي حفيدة أحمد باشا كمال والتي حضرت وقائعها.

(٣٤) انظر مقالتيه بعنوان «في براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية» في: «المقتطف: نوفمبر ١٩٢١ - ص٤٧٢ - ٧٣؛ المقتطف: سبتمبر ١٩٢١ - ص٢٦٣ - ٢٦٦.

البعيدين»(٣٥).. وهو ما صعب من مهمة كمال من ناحية، وكان له على ما يبدو دافع قوي للتقريب بين العقليتين والثقافتين.. القديمة الفرعونية والمعاصرة العربية الإسلامية.

لكن يجب في نفس الوقت ألا نأخذ على أحمد كمال تماديه في تأصيل تلك العلاقة للدرجة التي أسماها د. عبدالعزيز صالح «شططًا» في التحيز للفكرة.. فرغم أن فرنسا مثلا كانت تربة أخصب في تقبل وتقدير تلك الحضارة «الوثنية»، إلا أن التيار الديني المتزمت هناك، والذي كانت أفكاره لا تزال متأثرة بآراء العصور الوسطى الظلامية كان لا زال يتعرض بالتجريح والهجوم العنيف للحضارة المصرية القديمة «الوثنية»!!

لهذا فقد عمد ماريبت نفسه إلى الترويج لفكرة «وحدانية الديانة المصرية» بهدف كسب الرأي العام في فرنسا وفي مصر أيضًا(٣٦).. وهو أيضًا ما فعله الطهطاوي وحتى الألماني بروجش نفسه – حيث رأى أن بعض صفات آمون وبتاح تتطابق مع أسماء الله الحسنى في الإسلام(٣٧)!!

اعتقد كمال في البداية أن اللغة العربية هي أصل اللغة المصرية القديمة لما بينهما من توافق في كثير من الصور(٣٨).. لكن اكتشاف نقش محفور على جدران معبد الدير البحري بالأقصر جعله يغير فكره الأول وينقلب ١٨٠ درجة، حتى صار يعتقد بالعكس وهو أن المصرية هي أصل اللغة العربية، هذا رغم أن كلماته في نهاية حياته كانت تشير لبعض التردد في حسم موقفه، ولتفضيله الاكتفاء باعتبار أن الاثنين من أصل واحد مشترك لا يعلم بالتعيين أيهما الأصل.. أو من عرقين اشتبكت وشائجهما من ألوف السنين ثم افترقا وعادا فاتصلا بعد الفتح الإسلامي(٣٩).. ولنترك كمال يتحدث عن

(٣٥) إلياس الأيوبي: تاريخ مصر في عهد إسماعيل – مرجع سابق – ص٢٣٤.

(٣٦) Reid, Op.cit, p. 106.

رغم أن هذه الإشكالية الخلافية لم تحسم نهائيًا بعد، فإن الأرجح لها أنها لم تكن «وحدانية مطلقة لكنها كانت أقرب ما تكون إلى «الوحدانية المشوبة» Henotheism أي: الإيمان بإله واحد لكن في نفس الوقت مع عدم إنكار وجود آلهة أخرى لها نفوذ على أشخاص وأماكن أخرى.. انظر: لؤي محمود سعيد: «الفكر الشعبي الديني في مصر القديمة» – دراسة تحليلية – رسالة ماجستير غير منشورة – تحت إشراف أ. د. عبدالحليم نور الدين – كلية الآثار – جامعة القاهرة – ١٩٩٩، وانظر أيضًا استعراض الموضوع تاريخيًا بالتفصيل:

E. Hornung, Der Eine und die Vielen, Darmstadt, 1971

(٣٧) Reid, p.117,H.Brugsch, Mein Leben und Mein Wandern, Berlin, 1894, p. 299.

(٣٨) مجلة المجمع العلمي العربي: مرجع سابق – ص ٣٠٤-٣٠٥.

(٣٩) المنار: جزء ٨ – مجلد ٢٤ أغسطس ١٩٢٣ – ص٦٣٧، والغريب أن د. جمال حمدان قد قال بنفس الرأي في كتابه الموسوعي «شخصية مصر».

نفسه في هذه الجزئية الهامة وهو يشير أيضاً لمنهجه في تنفيذ قاموسه فيقول :

«لا يزال أصل اللغة العربية مجهولا أي ليس في كتبها ما يدل على المرجع الذي ترجع إليه ألفاظها ، وقد وفقني الله إلى تمهيد السبيل المؤدي إلى ذلك أي إلى إرجاع كل كلمة إلى أصلها وإلى تدوين قاموس اللغة تدويناً مؤسساً على أصول ثابتة تظهر اللغة بمظاهرها الحقيقية . والذي حملني على ذلك ما ظهر من نقوش قديمة محفورة على جدران معبد الدير البحري في طيبة الغربية وإزاء «لقصر» (أي: مدينة الأقصر) من الغرب بناء على مقالة للمعلم نافيل نشرها في Recueil de Travaux تدل على أن المصريين القدماء أرادوا تخليد ذكرى أصلهم فأثبتوه بالحفر على آثارهم قائلين أن أجدادهم يدعون الإعناء (جمع عنو) أي أنهم أقوام من قبائل شتى اجتمعوا في وادي النيل وأسسوا فيه مدناً كثيرة منها مدينة عين شمس ويقال لها بالمصرية «العين البحرية» ومنها العين الجنوبية وهي أرمنت ومنها عين التي سميت بعد دندرة».

ثم يواصل كمال سرده لنظريته فيؤكد أن هذه القبائل بعد أن كثرت تحرك بعضها (إعناء الحنو أو اللوبيون) غرباً إلى بلاد القيروان وتونس والجزائر وسكنوا فيها ، وبعضها (إعناء المنتو) هاجر لبلاد الصومال واجتاز البحر الأحمر إلى بلاد العرب وانتشر ممتداً إلى فلسطين. أما البعض الآخر (إعناء الكنوز) فهاجر جنوباً وهم أهل النوبة.. وأخيراً يشير إلى أن هذه الهجرات أدت إلى أن يبث المصريون فيها لغتهم مدة من الدهر فكانت هي لغة البلاد التي تتكلم إلى الآن بالعربية.. ثم يصل كمال للنتيجة النهائية ويقول : **«اللغة المصرية أي لغة قبائل الإعناء التي سكنت مصر وما جاورها من الأقاليم هي أصل اللغة العربية بلا مراء بنص النقوش المذكورة»**[٤٠] ، وقد ترددت هذه النظرية في محاضرات وكتابات كمال المختلفة وظل يتبناها حتى وفاته[٤١] .

وبدون أن نعلق على هذه النظرية التي شكلت العمود الفقري لكتابات ودراسات كمال ، نحب أن نشير إلى أن مجمل الدراسات الأثرية الحديثة في الوطن العربي تشير إلى وجود قواسم مشتركة حضارية مختلفة بين حضارات المنطقة العربية ، تؤكد على الأقل بوجود أصل قديم مشترك يسبقها جميعاً ، أسماه البعض «الأسرة السامية الحامية»(*) اعتماداً على المصطلحات التوراتية.. بينما أطلق عليه د. علي فهمي

---

(٤٠) المقتطف ٥٩ - سبتمبر ١٩٢١ - ص٢٦٣ ؛ المقتطف ٤٤ : مارس ١٩١٤ - ص٢٠٩ - ١٠ .

(٤١) انظر مقالاته في : مجلة المنار المصري (١٨ :٢٢٦) وجريدتي المقطم والأهرام قبيل وفاته .

(*) انظر كافة الآراء المتعلقة بهذا التصنيف : عبدالعزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها-القاهرة-١٩٧٧-ص١٤ .

خشيم: «الأصل العروبي المشترك (العروبيات)»(*)، أو حتى «العربيات» كما أسماها د. محمد بهجت قبيسي(**) وهي نتيجة تتفق مع رؤية كمال في مجملها لكنها تختلف معها في صعوبة تحديد (مكانيّا وزمانيّا) مصدر هذا الأصل المشترك، والذي يصعب أن ينتسب لحضارة بعينها دون جيرانها(٤٢).

استخدام أحمد كمال الأثري المحنك كل المادة الأثرية المتاحة بهدف التدليل على وجهة نظره.. فبالإضافة للتقارب اللغوي الذي أسهب في الاستدلال به، فقد كتب مثلا مقالين بالعربية وبالفرنسية تحت نفس العنوان: «أصنام العرب وأصلها المصري».. قارب فيه بين آلهة العرب مثل «مناة» و«العزّى» و«اللات» وغيرها مع المعبودات المصرية «منيت» و«وازيت أو واجيت» وغيرهما(٤٣). كما كتب مقالا مطولا بالفرنسية في مجلة المعهد العلمي من أربعين صفحة عن أسماء ملوك مصر التي وردت في المخطوطات العربية مع التعليق عليها والبحث عن أصلها(٤٤).

فتسببت هذه المقالة في أن يصب الأثري الفرنسي نائب مدير مصلحة الآثار جورج دراسي جام غضبه على رأس كمال وآرائه وتوجهاته جميعًا، معبراً عن موقف الأوروبيين عموما من المنحنى الذي أخذته كتابات كمال.. فكال له النقد اللاذع والتقريع والاتهامات لدرجة أنه أخرجه من زمرة الآثاريين المحترفين العالمين ببواطن المصريات(٤٥).. وهو ما اعتبره «ريد» تجسيداً «للسياق الإمبريالي» المناوئ لأي فكر يحمل رؤية وطنية

(*) علي فهمي خشيم: آلهة مصر العربية - جزءان - هيئة الكتاب - القاهرة ١٩٩٨..

(**) محمد بهجت قبيسي: ملامح في فقه اللهجات العربيات - دار شمال - دمشق - ١٩٩٩، مع ملاحظة أن د. خشيم ود. قبيسي كانا من القلائل الذين اهتموا في كتاباتهم بالإشارة إلى أحمد كمال وريادته اللغوية في مجال المقارنة ما بين الهيروغليفية والعربية.

(٤٢) نشرت العديد من المقالات التي تحمل مضمون «التواصل الحضاري بين حضارات الوطن العربي» وذلك في مجلة جمعية الآثاريين العرب خلال الأعوام الماضية للعديد من الباحثين العرب.

(٤٣) المقتطف: يوليو - ١٨٩٩ - ص ٥٠٥ - ٥١٠؛ وانظر أيضاً:

Ahmed-Bey kamal, Les Idoles Arabes et les Divinités Égyptiennes, Rec. Trav. 24, pp.11 ff.

(٤٤) Ahmed Kamal Bey, Note sur la rectification des nomes arabes des anciens rois d' Égypte. (S. du2 mars 1903, pp.89 - 127.

(٤٥) A.kamal, le procédé graphique chez les anciens égyptiens, I'origine du mot Égypte, les noms géographique désignant cette contrée et ses habitants primitifs. (Avec critique et réponse). (s. du ler mai 1916 et 28 mai 1917). BIÉ, 5 e sér, t.x, fasc.1, 1916, pp.133-176, 5 e sér, t.XI, fasc 1 1917,pp325 - 38, 5e sér, TXI fasc 2, 1918, pp. 422 f, 5 e sér, t. x, fasc. 2, 1916, pp. 359 - 68.

مستقلة، خاصة أن هذا الاتهام يأتي من الرجل الثاني في مصلحة الآثار وقتها، وكما يبدو أيضًا أنه قد استغل القضية لتصفية حسابات قديمة بينهما[٤٦].

فقد اعتبر دراسي صراحة أن كمال «يرتكب خطيئة كبرى بإعطاء العلامات الهيروغليفية مكافئًا من الحروف العربية، وتغيير ترتيبها حسب الحاجة» (أى القلب والإبدال الذي تتميز به العربية والذي اعتمده كمال للتقريب مع الكلمات المصرية).. واتهم كمال بأنه يتجاهل السياق التاريخي للكلمات الهيروغليفية، كما أنه يبالغ في إبراز التأثير السامي بما فيهم العرب على مصر القديمة! لكن كمال المقاتل العنيد لم يستسلم.. وانبرى يدافع عن آرائه وعن القائمة الطويلة التي أوردها من الكلمات العربية والمشتقة من المصرية ثم أكد في وضوح أن **«المصرية هي اللغة الأم للعربية وبالتالي للعبرية»**.. فكانت هذه المنازلة «علمية المظهر» تمثل على ما يبدو تعبيراً لما يضمره الأوروبيون تجاهه، والذي سيتبلور في الموقف العدائي السافر من قاموسه فيما بعد.

اهتم كمال كثيراً بالمخطوطات العربية وبالاطلاع على كتابات المؤرخين العرب بشأن الآثار المصرية.. وحاول التقريب بين ما جاء فيها وما يقول به صحيح علم المصريات. ومثال ذلك اسم «الريان بن الوليد» فرعون مصر الذي كان في أيام يوسف الصديق كمال تقول المصادر العربية.. فقد قرأ كمال اسمه في آثار تل بسطة «نراوس» فخالفه بعض الأثريين ووافقه آخرون، وقد استشهد في استدلاله بخطط المقريزي التي تقول إن اسم «الريان» في لفظ القبط هو «نرواس»[٤٧].

فكانت الكتابات الأثرية عند كمال وسيلته لتأكيد الانتماء للهوية العربية عن طريق ربطها بالمصرية القديمة وتذويب الفوارق بينهما.

يقول أحمد كمال في محاضرة ألقاها عام ١٩١٤ في مدرسة المعلمين الناصرية ملخصًا منهجه العلمي وتمرده على الأسلوب الأوروبي في التعامل مع الحضارة المصرية القديمة ولغتها:

«اعلموا أيها السادة أن كثرة مطالعتي في اللغة المصرية القديمة منذ كنت في الثامنة عشرة من عمري إلى أن بلغت الستين مهدت لي سبل الوصول إلى اكتشاف غريب مفيد ألا وهو أن اللغة العربية واللغة المصرية القديمة من أصل واحد وهو لغة الإعناء إن

(٤٦) Reid, Op. cit, p.212.

(٤٧) مجلة المجمع العلمي العربي: مرجع سابق ص٣٠٣؛ الأثر الجليل: لأحمد بك نجيب - مصلحة الآثار المصرية - ص١٥٢، ٢٢٦، ٢٨٦.

لم تكونا لغة واحدة افترقتا بما دخلهما من القلب والإبدال(*) كما حصل في كل اللغات القديمة وكنت قبل الآن أدرس اللغة المصرية على الأسلوب الذي تلقيته من أستاذي هنري باشا بركش في مدرسة خاصة على نفقة الحكومة ولبثت مقتفيًا منهاجه كغيري من الأثريين إلى قبل الآن بثماني سنوات.. وفي أثناء ذلك كنت أرى للألفاظ العربية مثيلا في اللغة المصرية القديمة وكنت أدونها شيئًا فشيئًا حتى كثرت»[48].

ويمكننا أن نستشف روح هذا المنهج التمردي من كلمات كمال نفسه، والتي يعترف فيها في نفس الوقت بفضل الأوروبيين فيقول:

«لا ننكر أن الغربيين الذين اجتهدوا في حل رموز هذه اللغة القديمة (الهيروغليفية) منذ ١٢٠ سنة ذللوا مصاعبها بمقابلة ألفاظها بالقبطية أو بالعبرية أو بالعربية أو بالآرامية أو بسياق الكلام.. إلخ، وفرضوا لها ألفاظًا متضاربة، فالألمانيون اتخذوا لهم طريقة في القراءة تخالف الطريقة الفرنسية وكلاهما وضع اللفظ على قدر الاستطاعة مع علمهم أن حقيقة اللفظ واللهجة القومية لا تزال مجهولة.. ولم ترق في نظري كلتا الطريقتين لذلك اتخذت لقاموسي الذي أنجزت منه إلى الآن ثلاثة عشر مجلداً طريقة سهلة وهي تحليل الكلمة إلى أجزائها». ويضيف كمال موضحًا منهجه: **«لا ننكر أنهم (الأجانب) بهذا الاجتهاد عانوا مشاق كثيرة في اللغة مما يثبت لهم الفضل الأكبر عند أهل العلم لكونهم كانوا أول باحث في اكتشاف غوامض اللغة المصرية وإظهارها من عالم الخفاء إلى عالم الوجود.. إلا أني لما وقفت على أصول اللغتين العربية والمصرية وعلى ما فيهما من القلب والإبدال أمكنني الخوض في مقارنتها بالبراهين القاطعة التي تظهر لنا حقائق المعاني وتبين لنا فحوى النصوص التي وضعت. لا أفتخر بذلك ولا أبرئ نفسي من الغلط في مثل هذا المجال الواسع، لكني سلكت طريقًا أضمن وأرقى من غيره وهو تطبيق اللغة المصرية القديمة على اللغة العربية مع بيان القلب والإبدال في بعض كلماتها اقتداءً بالمصريين أنفسهم حتى تظهر لنا حقيقة المعنى لوجودها محفوظة في اللغتين»[49].**

ويكشف كمال في بحث آخر على سبيل المثال عن مفهوم «القلب والإبدال» الذي

(*) المقصود به هو تبديل في مواضع الأحرف مع احتفاظ الكلمات بمعانيها الأصلية.

(٤٨) المقتطف ٤٤: مارس ١٩١٤ - ص٢٠٩؛ إذا كانت هذه المحاضرة قد ألقيت عام ١٩١٤، فيمكننا أن نستنتج أن كمال قد بدأ العمل في قاموسه تقريبًا منذ عام ١٩٠٦ (أي قبل ٨ سنوات كما ذكر هنا).

(٤٩) المقتطف: ٤٤ مارس ١٨١٤ - ص ٢١٠-٢١١.

يقصده، حيث يضرب مثلا بكلمات «ذبر» و«زبر» و«سفر» في اللغة العربية وجميعها بمعنى: «الكتاب».. وهي كما يعتقد كمال كلمة مصرية وتقرأ «سبر» والسين تقلب ذالا وزايًا والباء فاء ويعلل ذلك بسبب تعدد القبائل ولهجاتها حيث تشمل اللغة المصرية – باعتبارها أصل العربية – ألفاظًا مختلفة اللهجة باختلاف القبائل(٥٠).

البذور الأولى

بدأ كمال في التصدي لموضوع مثير وغريب على عقول المصريين في القرن التاسع عشر وهو «اللغة المصرية القديمة» أو «اللغة البربائية» (نسبة للبرابي أي المعابد كما كانت تسمى وقتها)، وذلك عندما أصدر أول كتاب علمي عن آثار وحضارة مصر القديمة عام ١٨٨٣ وهو «العقد الثمين» وألحق به جزءًا عن اللغة المصرية القديمة ثم أتبعه بعدها بثلاث سنوات بكتاب كامل أسماه «الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية»(٥١) باعتباره أول كتاب متكامل باللغة العربية يشرح ويبسط قواعد الهيروغليفية، مستخدمًا منهجه الرائد في الاعتماد على قواعد اللغة العربية لشرح اللغة المصرية القديمة مسترشدًا بنصوص وجداول عديدة.. والمثير أنه في مقدمة الكتاب يقول أنه قد وضعه «إجابة لما أمره به جاستون ماسبرو مدير الآثار التاريخية والأنتيقخانة المصرية».

ولكن المدهش حقًا أن هذا الكتاب قد طواه النسيان تمامًا وغاب عن الأذهان حتى صار الشائع لدى جل الأثريين المصريين أن كتاب «قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي للدكتور عبدالمحسن بكير والذي صدرت طبعته الأولى في عام ١٩٥٤ هو أول كتاب عن الهيروغليفية يصدر بالعربية.. وهو نفس ما اعتقده د. بكير ذاته على ما يبدو بناء على ما ذكره في مقدمة كتابه.. وهو أمر جد محزن أن ينسى الجميع كتاب كمال الذي سبق بكير بحوالي سبعين عامًا!! وكأنما قدر لهذا المنهج في التقريب بين المصرية القديمة والعربية أن يبدأ من الصفر مرة أخرى.

أما كتاب «الفرائد البهية» هذا فقد تضمن البذور الأولى لفكر صاحبه في التقريب بين الهيروغليفية والعربية.. فهو من ناحية قد حرص على أمر غير مسبوق وهو إيراد

(٥٠) أحمد كمال: في براءة القرآن الشريف عن بعض الألفاظ الأعجمية-المقتطف ٥٩-نوفمبر ١٩٢١- ص٤٧٢.
(٥١) أحمد كمال: الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية – الطبعة الأولى – مطبعة مدرسة الفنون والصنائع الأميرية ببولاق – مصر المحمية ١٣٠٣هـ.

القيم الصوتية Transliteration للعلامات الهيروغليفية بحروف عربية بدون أي استخدام لحروف أو كلمات أجنبية في كافة أرجاء الكتاب، وقد وضح سبب منهجه هذا في المقدمة التي يقول فيها: **«ولما كانت هذه الأجروميات (المتعلقة بالهيروغليفية) باللغة الأوروباوية ومرتبة بتراتيبهم الأجنبية أحببت أن أعمل أجرومية باللغة العربية ليسهل لأبناء وطني تناولها ويخف على ألسنتهم في هذه اللغة تداولها»**[٥٢]. ومن ذلك يبدو ميله المتمرد المبكر نحو انتحال منهج مغاير يعتمد الفكر والثقافة العربية.. وهو المنهج الذي نما وتبلور مع الزمن.

اعتمد كمال في هذا الكتاب على شرح مبسط لقواعد اللغة المصرية القديمة بصورة حرص فيها على المقابلة بين قواعد تلك اللغة مع مثيلاتها في اللغة العربية مع إعطاء الأمثلة والنماذج التوضيحية.. فقام بشرح أنواع الأسماء وأدوات التعريف وأسماء الإشارة والضمائر والصفات والتفضيل والفاعل والمفعول والفعل بأنواعه واسم الفاعل واسم المفعول والمصدر وحروف الجر.. وغيرها.

وقد حرص كمال عند شرح معاني الكلمات المصرية أن يعربها روحًا ونصًا إن أمكن.. فمثلا ترجم كلمة «باك بتاح» b3k pth الهيروغليفية التي تعني: خادم أو عبدالإله بتاح إلى «عبدالفتاح»[٥٣].. وهكذا، وذلك بهدف ألا يستشعر القارئ العربي أي غربة عند دراسته للهيروغليفية.

والأهم أنه قد أورد في نهاية كتابه بعد مجموعة كبيرة من الجداول والمقارنات بين الهيروغليفية والقبطي والعربي وغيرهما.. أورد قاموسًا للمفردات الهيروغليفية وما يقابلها بالقبطية والعربية[٥٤].. فكان بمثابة نواة لقاموسه الضخم الذي سيكرس له بعد ذلك ما يقرب من ثلث عمره.

القاموس الأزمة

اهتم الأوروبيون منذ أواسط القرن التاسع عشر على الأقل بدراسة علاقة اللغة المصرية القديمة بما يسمى «اللغات السامية» من أمثال «بنسي» و«بروجش» و«إرمان»

(٥٢) كمال: المرجع السابق - ص٣.
(٥٣) المرجع السابق: ص٢١٣.
(٥٤) المرجع السابق: ٢٠٧ - ٢٢٠.

وغيرهم(٥٥).. بل إن بعض الآراء ترجع الاهتمام بعلاقات اللغات السامية ببعضها إلى مطلع القرن العاشر الميلادي(٥٦). بل ووصل نصيب الأصل السامي في بناء اللغات المصرية القديمة إلى ٨٠٪ على الأقل من مفرداتها في بعض التقديرات(٥٧). لكن عموماً انحصر الجدل الدائر فيما بين أصحاب المدارس المختلفة في تحديد مدى «تأثر» اللغة المصرية القديمة إما باللغات السامية أو باللغات الحامية المحيطة بها وحشد كل منهم قدر ما يستطيع من الأسانيد لترجيح وجهة نظره.

لكن لم يقل غالبية هؤلاء باحتمال أن تكون السمات المشتركة بين اللغة المصرية ولغات الحضارات المحيطة بها سببها وجود أصل مشترك لهم جميعاً قبل أن تستقل كل منطقة بحضارتها وتبلور شخصية ما للغتها وثقافتها.. فكان أحمد كمال من أوائل من افترضوا ذلك الأصل المشترك وسعوا لتأكيده.. فكانت رؤيته صادمة للجميع.. فلم يتقبلوها بل وناصبوها العداء باعتباره مصريّا عربيّا.

إذن فإن علاقة المصرية القديمة باللغة العربية باعتبارها إحدى ما يعرف باللغات السامية لم تكن من ابتداع كمال.. لكنه التقط الفكرة وطورها وعمقها وعمد إلى توطيد العلاقة بينهما.. بل واستغل امتلاكه الفائق لناصية اللغة العربية لفهم واستكناه معاني ما استعصى من الكلمات المصرية القديمة.

يتفق إسكندر المعلوف صديق كمال مع ابنه د. حسن في تحديد حجم قاموس كمال (الذي لم ينشر وظل مخطوطاً لمدة ثمانين عاماً) باثنين وعشرين جزءاً، لكن يذكر المعلوف أن تنفيذه استغرق نحو ربع قرن، بينما يذكر نجله د. حسن أنه استغرق ٢١ عاماً فقط(٥٨).. وعموماً فإذا سلمنا بأن كمال قد انتهى منه قبيل وفاته عام ١٩٢٣

(٥٥) Rossi, Etymological Aegyptiacae, 1808.
قاموس باللاتيني معتمد على القبطي أساساً (بدون هيروغليفي)
Th.Bensy, Über das Verhältis der Ägyptisch - semitischer Sprachstamm 1844.
يوضح علاقة المصرية بالجذر السامي.
H. Brugsch, Hieroglyphisch - demotischen Wörterbuchs, VII, 1867.
قاموس هيروغليفي – ديموطيقي.. الجزء السابع منه يركز على العلاقة بين المصرية واللغات السامية.
J.E,hoch, semitic words in Egypt, texts of NK, 3 rd intermediate. 1994.

(٥٦) أحمد بدوي اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية – حياة وأعمال أحمد بدوي – دار المعارف – القاهرة ١٩٨٤ – ص ١١٠.

(٥٧) بدوي: المرجع السابق – ص١١٢.

(٥٨) تقرير كتبه نجله د. حسن كمال بخط يده عن القاموس. وقد وصلتني منه نسخة من المهندسة منى البارودي حفيدة أحمد كمال.

فهذا يعطينا تاريخًا تقريبيًا يرجع للسنوات الأولى من القرن العشرين كنقطة بدء في تنفيذ القاموس.. أي أن كمال قد أنفق حوالي ثلث عمره في إعداد هذا القاموس.

يصل حجم جزء حرف الشين مثلا إلى ٣٦٨ صفحة وحرفي اللام والراء (معًا في جزء واحد) إلى ٣١٨ صفحة[٥٩]، بينما يصل حجم جزء حرف السين إلى ١٠٧٢ صفحة حافلة جميعها بالمعلومات والمقارنات والملاحظات[٦٠].. وجميعهم في حجم القطع الكبير.

يعتمد كمال في هذا القاموس على إيراد الكلمة الهيروغليفية ومترادفاتها المختلفة وما يقابلها من الكلمات العربية المطابقة لها معنى ولفظًا - معتمداً نظرية الإبدال والقلب السابق شرحها - مع ترجمة وشرح لكل كلمة بالفرنسية، هذا مع إيراده أحيانًا الكلمات المكافئة بالقبطية والعبرية والحبشية والآرامية.. إلخ[٦١]... لهذا يعتبره المعلوف «كتاب لغة وتاريخ وآثار وعلم اشتقاق وفلسفة لغة»[٦٢]. لكن رغم هذا فإن المنهج الذي اتبعه فيه كمال قد أخذ عليه البعض - مثل دارسي كما رأينا - لأنه يحلل بنية الكلمات الهيروغليفية وتراكيبها مع عدم الالتفات كثيراً إلى سياقها الذي وردت خلاله في النصوص المصرية مثلما يفعل قاموس برلين مثلا الذي صدر بعده بعدة سنوات، لكن مع ذلك يلتمس د. منير مجلى لكمال العذر لأنه بمفرده قد أتى عملا جباراً أنفق فيه جهداً طائلا وسنين طوالا.. عكس قاموسه برلين الذي اجتمع على تنفيذه علماء العالم[٦٣].. ومع هذا فالسؤال الذي يطرح نفسه هنا هو: ما الداعي دائمًا أن نجعل قاموس برلين أو غيره معياراً للحكم على قاموس كمال؟ وكيف يمكن توجيه نقد لعمل لم يظهر للنور وقتها بعد (لم يطبع منه للآن سوى جزء واحد) خاصة أنه أثار بالفعل حفيظة بعض الأوروبيين؟

يشير حسن كمال إلى أن مقارنة اللغة المصرية القديمة بالعربية موجودة في بعض معاجم الهيروغليفية وخاصة معاجم الألمان.. لكن جهل هؤلاء الأثريين باللغة العربية -على حد قوله- قد أعاق كثيراً من إجراء تلك المقارنات بشكل موسع. ومن البديهي

---

(٥٩) هذا ما ذكرته لي حفيدته هالة سلام.

(٦٠) جمال مختار: مرجع سابق - ص٥٢.

(٦١) منير مجلي: مرجع سابق؛ د. حسن كمال: مرجع سابق.

(٦٢) مجلة المجمع العلمي العربي: مرجع سابق - ص٣٠٦.

(٦٣) مجلى: مرجع سابق.

أن شخصًا مثل أحمد كمال يلم بالعربية والهيروغليفية كان أجدر من غيره بتطبيق تلك المقارنات.

لكن من ناحية أخرى يعتبر د. منير مجلى أن أهمية طبع هذا القاموس قد تراجعت، خاصة بعد ظهور قاموس برلين للنور.. لكن أهميته الأساسية من وجهة نظره هي في التدليل على علاقة الهيروغليفية بالساميات، لكن مجلى يرفض في نفس الوقت فكرة عرض مادته على الأثريين، لأن هذا العمل سيتطلب أن يشارك في تنفيذه كل أثريي مصر وسيستغرق منهم سنين طوالا.. لهذا فهو يفضل أن يتم طبعه تصويرًا وليس جمعًا وصفًا.

يقول كمال قبيل إتمام قاموسه متخيلا أن حلمه على وشك التحقيق: **«إني أوشكت أن أتم القاموس وأقضي الغرض الذي وضعته نصب عيني»**[٦٤].. لكنه لم يكن يعلم ما ينتظره.. تبدأ فصول هذه القصة المحزنة قبيل وفاة أحمد كمال، وبعد أن أنفق حوالي ثلث عمره ليتم حلم حياته الأكبر حيث إن **وزارة المعارف قد فكرت في طبع القاموس الهيروغليفي - عربي - فرنساوي بعد أن عجز المؤلف عن طبعه!! وعينت لذلك مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصري لولا وفاة المؤلف التي حالت دون ذلك**[٦٥].. لكن يبدو أن الأمور قد اتخذت منحنى آخر تمامًا.. فقد أحالت الوزارة أحد أجزائه المتضمن حرف «القاف» إلى مدير المطبوعات الإنجليزي، والذي أحاله بدوره إلى أحد أبناء جلدته وهو كبير الأمناء بمصلحة الآثار العالم الإنجليزي «فيرث» لإبداء الرأي.. فأشرك الأخير معه العالم الفرنسي «لاكو» مدير المصلحة وقتها، وعالم الآثار الأمريكي «رايزنر» مدير بعثة حفائر جامعة «هارفارد» بمنطقة أهرام الجيزة.. فجاءت ردود أفعالهم متباينة وتنم عن توجهات ومصالح بلادهم السياسية ذات الطابع الاستعماري وليس العلمي على الإطلاق.. فقد امتنع الإنجليزيان عن إبداء الرأي تفاديًا لأية حزازيات سياسية لأنهما بالطبع يمثلان سلطة الاحتلال في مصر. لكن المسيو «لاكو» كان أكثر وضوحًا ورفض صراحة الموافقة على طبعه.. متعللا بأن القاموس يحتاج إلى تغيير كثير، كما أن لغته الفرنسية تحتاج لبعض الضبط[٦٦]!!

وأخيرًا جاء رأي الأمريكي «رايزنر»، والذي لم تكن لبلاده وقتها أي مطامع أو

(٦٤) مجلة المجمع العربي: ص٣٠٧.
(٦٥) توفيق حبيب: مجلة الهلال - نوفمبر ١٩٢٣ - ص١٣٨.
(٦٦) لاحظ أن كمال عمل مترجمًا لمارييت وماسبرو لسنين طويلة وكتب عشرات المقالات بالفرنسية.

توازنات سياسية في مصر، أكثر إيجابية.. فقد ذكر لأحمد كمال قبل وفاته أن المستر فيرث قد عرض عليه مجلد حرف القاف للنظر فيه فمدحه ووافق على طبعه، وأكد أن مثل هذه المقارنة اللغوية التي اتبعها كمال مفيدة.. وهي وإن لم تكن تامة في كل الكلمات إلا أن هذا النقصان - في رأي رايزنر - لا يمنع مطلقًا من طبع الكتاب وترك التصحيح للأجيال القادمة(٦٧).

وأخيراً فقد تجددت المفاوضات بعد أن قدم أحفاد كمال طلبًا رسميًا لمسئولي الآثار لطبع القاموس.. كما قام الورثة بالفعل بتقديم الأجزاء التي في حوزتهم للمتحف.. لكن للأسف الشديد لم يطبع منه منذ أكثر من عام سوى جزء واحد فقط(٦٨).

يوضح الجزء الأول الصادر من مخطوط كمال(٦٩) كافة تلك الملامح من منهجه الفكري.. لكن للأسف بدون مقدمة توضح ذلك، وأول ما يلفت النظر أن الكلمات الهيروغليفية الواردة فيه وجميعها تتعلق بعلامة الألف المصرية (طائر العقاب) قد ترجمت وشرحت أساسًا باللغة الفرنسية.. ذلك رغم ذكر الكلمات العربية المقابلة لها في كثير من الأحيان - وهو أمر منطقي يمكن فهمه باعتبار أن المستهدف الرئيسي من هذا العمل الموسوعي هم بالطبع الأثريون الأوروبيون وليس القارئ العربي الغير متخصص.

اعتمد كمال أساسًا في محاولة تفسيروتقريب الكلمات الهيروغليفية للعربية كما ذكرنا على ما يعرف بـ «القلب والإبدال» وذلك اقتداء بقدماء المصريين أنفسهم - على حد قول كمال.

وقد صدّر كمال الجزء الأول من قاموسه بنماذج لهذا «القلب» في العربية، مثل أن تنقلب الهمزة واواً فتتحول كلمة «أكد» إلى «وكد» بنفس المعنى، أو كلمة «كأس» أو «كاس» والتي هي مصرية أيضًا تقلب الألف واواً والسين زايًا فصبح «كوز» بالعامية.. وهكذا.. وبالتالي فكمال يعتمد التحليل البنائي للكلمات منهجًا له في فهمها.

وبذلك يفتح كمال بابًا واسعًا كان موصداً تمامًا قبله ليتسع أمامنا عالم رحب من

---

(٦٧) جمال مختار: مجلة الجمعية التاريخية - مرجع سابق - ص٥٢-٥٣؛ تقرير د. حسن كمال عن القاموس.

(٦٨) كان د. بهجت القبيسي أستاذ الآثار بجامعة حلب بسوريا قد قدم أيضًا عرضًا سخيًا للورثة بطبع القاموس على نفقته ولم يحسم بعد.

(٦٩) أحمد باشا كمال: مخطوط معجم اللغة المصرية القديمة - الجزء الأول - المجلس الأعلى للآثار - القاهرة - ٢٠٠٢.

المقارنات الممتعة التي تفرد كمال في أغلبها، والتي أعطت بعداً أعمق للغة المصرية أوضحت مدى «التواصل» العقلي والنفسي للمصري القديم مع حضارات الوطن العربي، وأن العلاقة بينهما ليست مجرد «تأثيرات» متبادلة بل وشائج عميقة وعقل مبدع واحد.

ملحوظة:

يقع الجزء الأول من قاموس كمال والذي يضم كلمات علامة حرف الألف «طائر العقاب» الهيروغليفية في ٢٣٨ صفحة من القطع الكبير.. بينما قاموس برلين «طبعة ١٩٧١ لإرمان وجرابو» يحتوي جزؤه الأول على ٢٤ صفحة ونصف فقط لنفس العلامة!

ومما يلفت النظر اعتماد كمال الواسع على الاستشهاد بجمل هيروغليفية كاملة كأمثلة يستخدمها للتدليل على سياق الكلمات التي يشرحها.. وهو أسلوب يشابه منهج بعض معاجم اللغة العربية مثل لسان العرب لابن منظور الذي يستشهد بآيات من القرآن وبأبيات شعرية للتدليل على معاني الكلمات.

وبالإضافة للعربية يقارن كمال أحيانًا في المعاني بين الهيروغليفية والديموطيقية والعبرية والحبشية والآرامية وغيرها.. مما يستلزم تضافر عدد من المتخصصين في هذه اللغات لو أريد تحقيق هذا المخطوط.

أما فيما يتعلق بأهم الملاحظات المتعلقة بمنهج كمال اللغوي والتي تتجسد في ذلك الجزء الأول من قاموسه الذي طبعه المجلس الأعلى للآثار في إطار الاحتفال بمئوية المتحف المصري عام ٢٠٠٢ فيمكننا أن نوجزها فيما يلي:

* خلو الكتاب من تمهيد يتحدث عن منهج صاحبه وأسلوبه في نظم الكتاب، وهذا الأمر يمكن فهمه باعتبار أن المطبوع هو المخطوط الأول للكتاب فقط بدون أي إعدادات نهائية له من قبل مؤلفه.
* طبع المخطوط فقط كما هو دون تحديث أو تعليقات أو جواش من أي نوع كان في أشد الحاجة إليها لتعظيم الاستفادة منه.
* الكلمات والنصوص الهيروغليفية كتبت من اليسار لليمين لأن شرحها باللغة الفرنسية أساساً، لكن كمال مع ذلك يكتبها أحيانًا من اليمين لليسار[٧٠].

(٧٠) أحمد كمال: مخطوط معجم اللغة المصرية - مرجع سابق - ص٢٢٢.

* يقوم كمال بإجراء مقارنات بين الكلمة المصرية ونظيرها العربي حرفًا بحرف، وأحيانًا يقارن بينها وبين العامية المصرية مثل كلمة: «أرته»[٧١].
* واضح أنه قد اعتمد في ترجماته للكلمات الهيروغليفية على عدة قواميس سابقة له مثل قاموس بروجش.. لهذا فإنه لا يورد «القيم الصوتية» Transliteration للكلمات الهيروغليفية كما هو معتاد، لكنه أحيانًا كثيرة يعطي قيمًا صوتية للكلمات باللغة العربية.
* يستشهد أحيانًا بفقرات كاملة من نصوص مصرية[٧٢].
* يذكر كمال قائمة بالحروف التي تنقلب إلى الهمزة (الألف)[٧٣].
* كما يورد مقارنات بين العربية والهيروغليفية فيما يتعلق باستخدامات حرف الألف فيهما[٧٤].
* يقارن أحيانًا بين الهيروغليفية والعامية المصرية ولا يهتم بـ «القيمة الصوتية» للجمل لكن فقط بترجمتها للفرنسية[٧٥].
* وكمثال يقارن كمال بين كلمة sk3r سكار (الهيروغليفية) وما يقابلها بالعربية: صاخرة (إناء)، وكذلك Khn كحن (الهيروغليفية) مع العربية: (صحن)[٧٦].
* يذكر حالات قلب الألف في الهيروغليفية إلى علامات أخرى وكذلك في العربية أو في حالة كونها حرفًا زائدًا[٧٧].
* إن كلمة: «لغو» تعتبر نموذجًا لتحليله وتجزئته للكلمة الهيروغليفية لمقابلة كل علامة منها بالعربية[٧٨].
* يبدو أيضًا أنه قد استعان بمعاجم في اللغة العربية وذلك لأنه استخدم الكثير من الألفاظ العربية المهجورة.. لكنه لم يهتم بذكر تلك المعاجم، وذلك يمثل صعوبة لغوية في تحقيق المخطوط.

---

(٧١) المرجع السابق: ص١٠٩.
(٧٢) المرجع السابق: انظر مثلا: ص١٠١.
(٧٣) المرجع السابق: ص٦ والتي تليها.
(٧٤) المرجع السابق ص١٠.
(٧٥) المرجع السابق ص١٢.
(٧٦) المرجع السابق ص٢٦.
(٧٧) المرجع السابق ص١٠.
(٧٨) المرجع السابق ص٢٢.



صورة أحمد باشا كمال

الفرائد البهية

في قواعد اللغة الهيروغليفية

تأليف

الفهامة النجيب الفطن اللبيب احمد
افندي كمال معلم التاريخ واللغة
الفرنساوية والبربائية ومترجم
الانتيقخانة المصرية
وناظر مدرستها
البهية

الطبعة الأولى

بمطبعة مدرسة الفنون والصنائع الميرية ببولاق مصر المحمية

سنة ١٣٠٣ هجرية

غلاف كتاب (الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغيليفة) لأحمد باشا كمال

X Tableau indiquant les différentes lettres (arabes) qui alternent avec ا :

الهمزة والياء

أَلَمْلَمُ اسم جبل أو موضع	يَلَمْلَمُ
أَرَقَانٌ : آفة تصيب الزرع	يَرَقَانٌ
أَلَلٌ [illegible]	يَلَلٌ
أُسْرُوع	يُسْرُوع

الهمزة مع الواو

أكفت الدابة	وكفتها
أكدت	وكدت
آصدت الباب	أوصدته
أخية	واخية
إشاح	وشاح

الهمزة مع الهاء

إيرٌ أَيِّرٌ	هِيرٌ هَيِّرٌ
أَرقت الماء	هَرَقته
إياك	هياك
أنا	هنا
أنت	هنت
أيا زيد	هيا زيد
أَيْمُ الله	هَيْمُ الله
دراءة علينا	دره علينا
ازمأرت عينه	ازمهرت
ابزت له (الوشـ)	هبزت له

الهمزة مع العين

أَدَّيته على كذا	عدّيته [illegible]
كَثَأَ اللبن	كثع
زُؤاف (موته)	زُعاف
إباب البحر	عباب
لأطه بعين	لعطه بسهم

10 [hieroglyph] = ʾ, ع, ا, ء

(1) يتون عن هذا الحرف الحروف الآتية

[hieroglyph] (1) varie q.q. fois avec les signes suivants :

[hieroglyph] i — [hieroglyphs] ı s = [hieroglyphs] i s ; [hieroglyphs] ı ḥ t = [hieroglyphs] i ḥ t ; [hieroglyphs] ı p d [hieroglyphs] i p d

[hieroglyph] w — ; [hieroglyphs] = [hieroglyphs] [illegible]

[hieroglyph] j — [hieroglyphs] h j = [hieroglyphs] h ı [illegible]

(1) [hieroglyph] ḥ — [hieroglyphs] ı s = [hieroglyphs] ḥ s — On remarque que [hieroglyph] est q.q. fois comme entendu avant [hieroglyph] et [hieroglyph] [illegible]

[illegible]

(2) [illegible]

— [illegible]

On remarque dans la langue arabe le même signe varie avec les lettres suivantes :

ج : ; [hieroglyphs] ı m — [illegible] pendre.

ع : [hieroglyphs] ı ṯ t — [illegible] — race ; [hieroglyphs] ı k m — [illegible] similaire q.q.c.

ع : [hieroglyphs] ı ḏ — [illegible] — serpent ; [hieroglyphs] ı s t — [illegible] — être embrassé

غ : [hieroglyphs] ı h s — [illegible] — être sombre ; [hieroglyphs] — [illegible] — être sombre

ا : [hieroglyphs] ı s t = [illegible] — mobilier, ustensile ; [hieroglyphs] ı t t — [illegible] fouiller

ء : [hieroglyphs] s ı b — ذئب — loup [hieroglyphs] ı t p — [illegible] — porter

(3) [illegible]

Le signe [hieroglyph] figure quelquefois comme signe dérivatif ou simplement comme demi-voyelle. [illegible] :

[hieroglyphs] ı t b = [hieroglyphs] t b

[hieroglyphs] k ı s = [hieroglyphs] k s

[hieroglyphs] ı h t = [hieroglyphs] h t [illegible]

On le trouve (également dans l'égyptien et dans l'arabe) au commencement de certains mots [illegible]

[illegible]

وحكى الوصيفىُّ فى كتابه الذى ألَّفه فى أخبار مصر أنَّ أهلها فى الزمن

١٥ السابق كانوا يعتقدون أنَّ هذا العالم، الذى هو عالمُ الكون والفساد أقام برهةً من الدهر خالياً من نوع الإنسان، عامرًا بأنواع أُخَر غير الإنسان، وأن تلك الأنواعَ مختلفةٌ على خلقٍ فاذّة[٣]، وهيئات شاذّة، ثم حدث نوعُ الإنسان فنازعَ تلك الأنواعَ فغلبها واستولى عليها، وأفنى أكثرَها قتلاً، وشرَّد ما بقى منها إلى القفار، وأن تلك المشرَّدة هى الغيلان والسعالى وغير ذلك، مما حكاه من

٢٠ اعتقاداتهم المستحيلة، وتصوُّراتهم الفاسدة، وتوهُّماتهم النافرة. إلا أنَّه يظهر من

---

(١) فى الخطط: «على الإشارة إلى مواضعهم».
(٢) كذا وردت هذه الكلمة.
(٣) الفاذة: المنفردة. وفى الحديث: «هذه الآية الفاذة»، أى المنفردة فى معناها.

VIII.—THE COPTIC ALPHABET

The Coptic Alphabet contains 24 Greek letters ınd 7 which are derived from demotic forms o ıieratic characters to represent sounds for whicl :he Greek alphabet contained no equivalents.

	Coptic Name.			Coptic Name.	
ⲁ	alpha	A	ⲣ	ro	R
ⲃ	bida	B	ⲥ	sima	C
ⲅ	gamma	G	ⲧ	tau	T
ⲇ	dalda	D	ⲩ	ue (ḥe)	U
ⲉ	ei	E	ⲫ	phi	φ
ⲍ	zita	Z	ⲭ	chi	χ
ⲏ	êta	Ê	ⲯ	psi	Ψ
ⲑ	thita	TH	ⲱ	au	O
ⲓ	iauta	I	ϣ	shei	SH
ⲕ	kappa	K	ϥ	fei	F
ⲗ	laula	L	ϧ	ẖei, or, ḫei	*Kh*
ⲙ	mi	M	ϩ	ẖei, or, ḫei	Ḫ
ⲛ	ni	N	ϫ	djandjia	DJ
ⲝ	xi	X (KS)	ϭ	tjima	TJ
ⲟ	o	O	ϯ	ti	TI
ⲡ	pi	P			

	احرف القلم القبطي عن لغة شعيا النبي					
ز زيده	و صو	ه اي	د دلده	ج غمه	ب ويده	ا الفه
ن ني	م مي	ل لوله	ك كبه	ي بوده	ط بنده	ح هيده
ش هفه	ر ضاو	ق بسيمه	ص رو	ف بي	ع او	س اكسي
غ خاي	ظ هوري	ض شيماه	ذ دي	خ ابتني	ث كيه	ت بي

	وهذا خطه وقلمه كما تراه					
ز	و	ه	د	ج	ب	ا
ن	م	ل	ك	ي	ط	ح
ش	ر	ق	ص	ف	ع	س
غ	ظ	ض	ذ	خ	ث	ت

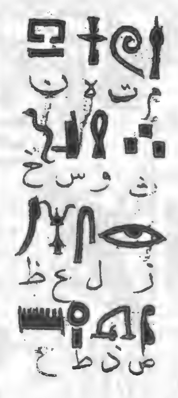
وأمثل صورة هذا الرجل وعلى الكاس وبده ح
وعلى مخور في مرفقه ى وعلى عضده والحق ه وعلى مقلب
الحق و وعلى خزانة الشراب ر
وعلى حوض الكفة والكفة ح
وعلى انبوب دقيق متصل بجنب
حوض الكفة ويمر في اليد اليسرى
إلى عنق القرابة ط وعلى
القرابة ط فمن الواضح الجلي
أنه متى دفع الشربوش عن راسه
وصب في الخزانة شراب
حتى تمتلي إلى أعلى القبة ثم يوضع
الشربوش على راسه وأخرج إلى
طرف المجلس فإنه بعيد نحو من
ساعة ينصب من زمان الى الكاسة

A Page from Ibn Kabr's List of Vegetables.

(From Brit. Mus. MS. Orient. No. 1325, fol. 117*a*.)



هذا وهذه صفته
علم اي الهرامسة





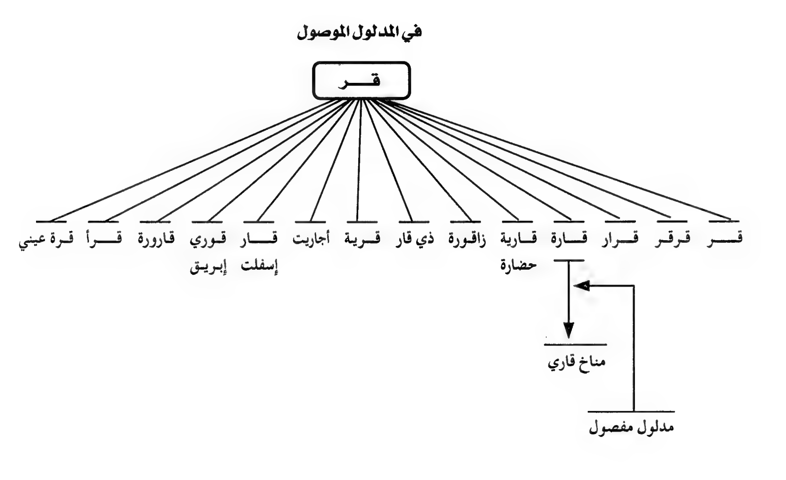

العقاب الثاني
عقاب ثابت

العربية الكنعانية
نقش البرازيل الشهير
من نهاية القرن الثاني قبل الميلاد
وبعد دمار قرطاجة سنة ١٤٦ق.م

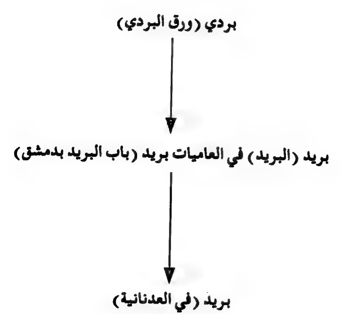
هـا	ح ن ا	ب ن	ك ن ع ن
هـا	حـنـا	بـنـي	كـنـعـان
م	ف ر ن م	ح ق ر هـ	ح م ل
مِ	فـرنـم	حـق قـاريـه	حـمـل
أ ش	ح ر	ح ص ل	هـ ك
أيش	حـر	حـصـل	هيك

التفسير : ها نحن بني كنعان من (مِ) فرنيم (مدينة في المغرب)، حق قارية حمل (القارية للحضارة والبادية للبداوة)، أليس (أوش) حرام أن يحصل بنا هكذا (هيك).

في المدلول الموصول



فى المدلول المفصول



مدلول كلمة عرب

في العدنانية:

عربة إسماعيل = بئر زمزم.
بئر عروب = بئر كثير ماؤه
وادي عربة = وادي الماء.
امرأة عروب = متودّدة إلى زوجها كالماء الصافي.
العربات في دجلة = الطواحين التي تعمل على الماء.
العربات في دجلة = الزوارق التي تطفو على الماء.
ثم عربة على عجلات (مدلول مفصول).

في الآرامية:

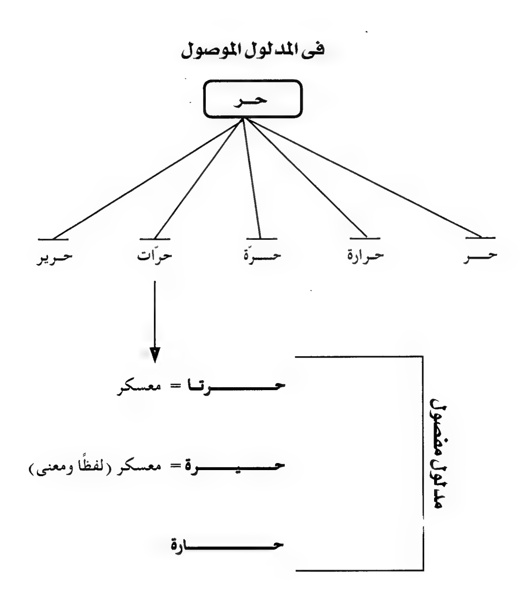
ذا رب بيت عربا = هذا مدير دائرة الماء (في آرامية عربايا في العراق)
العرّاب في الكنيسة = الذي يعمّد الطفل بالماء
التعريب = الفصل بالماء للقمح والبرغل والرز.

في الأجاريتية:

راكب عربة = راكب غيمة (صفة للإله حدد الذي يحدّد الأنواء، إله المطر والرعد والبرق).

في الأكدية:

عربتو = جو غائم.


فى المدلول الموصول
حــر
حــــر
حـرارة
حـــرّة
حرّات
حـريـر
حـــــــــــرتـا = معسكر
حــــــيـــــــرة = معسكر (لفظًا ومعنى)
حـــــــــــارة
مدلول مفصول

التضاد كمدلول

في العدنانية: الأعمى = البصير.

في الآرامية: عشق = بغض.

وشب = وثب= جلس

يعين = يعذّب   ساب = أرجع

ي ع ن و   ي س ب هـ

في الأكدية: خلقوم (خلق وم) = بالٍ

ففي التضاد: لك الحق في اعتباره مدلولا موصولا أو مدلولا مفصولا فهو بين ذلك وذاك. لكن نود أن نضعه بالمدلول المفصول.

- لبطوم (لبط + وم) } بمعنى لمس
  Iapatum

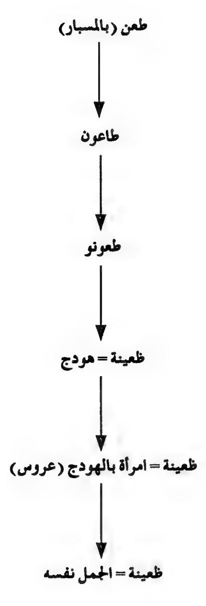
- وكلُّ جديدٍ صائرٌ لخلوق

قد يُدرك الشرف الفتى ورداؤه
خَلَقٌ وجيب قميصه مرفوع

- إنّي أعوذ بالرحمن منك إن كُنت تقيّا

هل (تقيّا) تعني (شقيّا) بالتضاد ويتسق المعنى؟

فى المدلول المفصول





د. أشرف محمد فتحي

محاولات التقريب بين المصرية القديمة والعربية: الاتجاهات والمناهج



(١)

يتبين الراصد لتاريخ المقارنة اللغوية بين المصرية القديمة والعربية وغيرها من لغات محيطها العربي القديمة عدة سمات لعل أهمها :

أولا : أن غالبية المشتغلين بهذا المجال خلال تاريخه الحديث الذي يمتد نحو قرنين من الزمان هم من الأوروبيين. وهي سمة لها ما يبررها في كون علم الآثار في العصر الحديث بما يشمله من إحياء ودراسة للغات الحضارات القديمة علماً أوروبي النشأة والتطور. وكان تأسيس أقسام ومراكز ومعاهد وجمعيات ومتاحف لدراسة الحضارة المصرية وغيرها من الحضارات القديمة للوطن العربي في كبريات الجامعات والعواصم الأوروبية منذ وقت مبكر مدعاة لتراكم متواصل لخبرات نرى ثمارها فيما تزخر به مكتباتها من آلاف المجلدات، للغة المصرية القديمة فيها نصيب وأفر. وكان لكل جهة من هذه الجهات - رغم اهتمامها جميعًا بمجمل الحضارة المصرية - ما تميزت به من اهتمام خاص بجانب معين من جوانب هذه الحضارة. وقد نبغ الباحثون الألمان بالذات في جانبها اللغوي على الرغم من أن الخطوات الأولى في هذا المجال قد قام بها غيرهم. فكان باحثون أمثال أدولف إرمان وكورت زيت بما نشروا وحققوا من عدد هائل من النصوص وبما وضعوا من أجروميات وصنفوا من معاجم القواعد التي بها يقرأ ويفهم المتخصصون منذ أواخر القرن التاسع عشر وحتى الآن اللغة المصرية القديمة من حيث الأصوات والدلالات ومن حيث النحو والصرف في سياق تاريخي يشمل كافة مراحل هذه اللغة بدءاً من بواكير الكتابة وانتهاءً بالقبطية. بل إن أهم من نبغوا في وصف وتقعيد اللغة المصرية من غير الألمان - مثل آلان جاردنر - قد تعلموا في مدرستهم. لهذا كان من الطبيعي - مع مراعاة الاعتبارات السياسية التي سبق أن أشار إليها الأستاذ الدكتور خشيم في مقدمة كتابه (آلهة مصر العربية) أن يكون الألمان هم الأغلبية بين واضعي الدراسات اللغوية المقارنة والمقاربة بين المصرية وغيرها من لغات محيطها العربي القديمة بما فيها العربية، لكن هذه الدراسات مع ذلك تصد معظم الباحثين العرب المهتمين بهذه اللغات عن الانتفاع بها بما كتبت به من ألمانية لا يتقنها إلا أقلهم.

ثانياً: إن معرفة هؤلاء الأجانب باللغة المصرية القديمة في إطارها الحضاري لا تكافئها معرفة مماثلة بما يقارنونها به من لغات وعلى رأسها العربية. لذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن المجلدات الخمسة الرئيسية لمعجم برلين، أكبر وأهم معاجم اللغة المصرية، لا تضم سوى نحو ستين من المفردات العربية ونحو ثلاثة أضعافها من المفردات العبرية. وهذان الرقمان الهزيلان لا يدلان بأي حال على الصلة الحقيقية للغتين بالمصرية. كما أن التفوق العددي للعبرية هنا ليس له من دلالة سوى أن معرفة واضعي المعجم بهذه اللغة لا أقول أفضل، بل هي في أحسن تقدير أقل ضحالة من معرفتهم بالعربية نظراً لخلفياتهم الدينية والثقافية. وهو ما ينطبق بشكل عام على كثير مما سبق أو لحق هذا المعجم من دراسات مقارنة قام بها باحثون غربيون. لهذا فإن السمة الغالبة على هذه الدراسات هو القصر فتنشر عادة في صورة مقالات ضمن دوريات متخصصة، وعدد منها يقوم على فرز ما قام به سابقوه دونما إضافة مقارنات جديدة. ورغم ما حققه ويحققه هذا من فائدة لا يستهان بها تتمثل في وضع مقاييس نقدية - صوتية ودلالية - يمكن من خلالها الحكم على مدى صحة أمثال هذه المقارنات، إلا أنها بما تؤدي إليه من حذف واستبعاد مما هو قليل في الأصل بدون إضافة تعويضية أسهمت في وضع هذه الدراسات في فلك عدد محدود من المقارنات لا تمثل في حقيقتها سوى عينة مما يمكن مقارنته بالمصرية من مفردات عربية وغير عربية، وهي بذلك أبعد ما تكون عن الشمول. وهو ما ينطبق كذلك إلى حد كبير على المقارنات النحوية التي تتناثر في الأجروميات الموضوعة للغة المصرية. وهكذا كان من الطبيعي أن يحس أول عربي مصري يتخصص في علم الآثار المصرية ويعمل في حقله - خاصة إذا كانت له همة وقدرة الرائد أحمد كمال - إنه مؤهل للقيام بواجبه في سد الفراغ الذي لم يكن قادراً على سده آنذاك سواه، لا لدرايته الكبيرة بتخصصه، فهذا أمر يمكن أن يساويه أو يبزه فيه أقرانه من المتخصصين الأوروبيين، بل لأنه يجمع إلى هذا التخصص عروبته التي مكنته من أن يرى في النصوص المصرية ما لم يكن هؤلاء بقادرين على رؤيته من صلة وثيقة بين المصرية والعربية. وقد دفعته نشوة هذه الرؤية إلى الإقدام على مشروعه الكبير المتمثل في جوهره في محاولة جبارة لمضاهاة كامل المعجم المصري بكامل المعجم العربي، مع إيراد ما تيسر من نظائر في العبرية وغيرها. ولا شك أن حصيلة المشروع المتمثلة في اثنين وعشرين مجلداً تضم آلاف الصفحات شكلت ولا تزال إنجازاً فريداً في

مجال مقارنة المصرية بالعربية على الأقل.

ثالثًا: على الجانب الآخر، وباستثناء الدكتور خشيم ومجمعكم الموقر، فإن المشتغلين باللغة العربية، من مؤسسات وأفراد، في الوطن العربي - بما في ذلك مصر - وفي غيره لم يولوا هذا المجال لزمن طويل ما هو جدير به من اهتمام. فتصدر المعاجم العربية وهي تكاد تخلو من أي إشارات مقارنة إلى المصرية أو غيرها من الروافد اللغوية القديمة. بل وقد تنسب بعض المفردات العربية التي توصف بالدخيلة إلى أصول عبرية أو فارسية دونما أخذ في الاعتبار أنها تظهر في النصوص المصرية أو الأكادية منذ أكثر من أربعة آلاف عام. ولعل أوضح مثال لهذا «المعجم الكبير» الصادر عن مجمع اللغة العربية بالقاهرة الذي لم يشارك مشاركة فعالة في وضع المادة المقارنة لما صدر منه حتى الآن متخصصون في اللغة والحضارة المصرية رغم أن منهم أساتذة أجلاء كانوا أعضاء في المجمع عند صدور المعجم. وهو ما تنص عليه مقدمة جزئه الأول الذي استغرق إعداده المتأني أعوامًا بل عقودًا حين تذكر أن المعجم «يراجعه متخصصون لهم قدم راسخة في اللغة العربية وعلومها، وفي اللغات السامية والفارسية والتركية، ذلك أنه ينبغي أن يعبر المعجم الحديث عن عصور اللغة جميعها». لا يعود مستغربًا بعد هذا أن يذكر القاموس لكلمة مثل «تابوت» نظائر حبشية وعبرية وغيرها دونما إشارة لظهورها الأقدم في نصوص الدولة المصرية القديمة.

وعلينا هنا أن نؤكد مرة أخرى أن إضافة أصول ونظائر من لغاتنا القديمة، ومنها المصرية، إلى معاجمنا العربية، ليس بها أدنى مساس بمكانتها سواء من المنظور الديني أو القومي، كما أنه ليس تعظيمًا لكمية الكلمات المهجورة التي تحفل بها تلك المعاجم، بل هي بالتأكيد إضافة كيفية هامة حيث تزداد اللغة العربية بها عمقًا واتساعًا، خاصة أنها لم تعرف الكتابة إلا في وقت متأخر نسبيًا بحيث لا يتجاوز المكتوب نصف تاريخ اللغتين المصرية والأكدية مثلا، وبالتالي فإن ما يوجد من أصولها في هذه اللغات فيه مضاعفة لعمقها التاريخي وكشف عن جذور لها غير منظورة لم يكن ليتحقق بغير هذا الطريق. ومن هنا يمكن أن نصل إلى إدراك أوسع وفهم أعمق للقوانين التي تحكم لغتنا، بل وأن نصحح الكثير من الأخطاء التي تحفل بها معاجمنا، قديمها وحديثها على حد سواء، في نسب بعض المفردات إلى جذور هي منها براء. مثل نسب «ميناء» إلى «ونى» باعتبار الميم مكانية. مع أن الجذر الثلاثي المصري «مني» يفيد معنى «رسا» الفعلي وكذلك المجازي أي «المنية».

في المقابل نرى المشتغلين باللغات الأفريقية من بربرية وتشادية وغيرها يهتمون باللغة المصرية اهتماماً كبيراً يظهر فيما تحفل به دراساتهم من مقارنات بين ألفاظها وألفاظ هذه اللغات التي كان حظ معظمها من التدوين يكاد يكون معدوماً للأسف.

رابعاً: إن القول بأن القبطية هي آخر مراحل اللغة المصرية، فلا يستخدمونها في مقارناتهم. هذا مع أن لغة الفاتحين العرب حينما غطت أقطار الوطن العربي بالكامل لم تجتث لغات هذه الأقطار بل اختلطت بها وتفاعلت معها. ولما كانت العربية تتحد في أصولها مع هذه اللغات واستمر تواصلها معها في علاقات أخذ وعطاء لفترات طويلة، فإن هذا الاختلاط وهذا التفاعل أنتج مع مرور الزمن لهجات هي عربية لكنها تحتفظ بغير قليل من سماتها الصوتية والدلالية والتركيبية السابقة على الفتح، حتى مع افتقارها للتدوين والدراسة. وهكذا نرى اليوم العامية المصرية وهي لا تزال تحتفظ بأصوات وألفاظ بل وجمل كاملة تعود إلى مراحل أقدم من القبطية في تاريخ اللغة المصرية. هذه العناصر الباقية تعطينا فرصة للتعامل الحي مع اللغة فنعرف من خلاله بعض ما لا نستطيع معرفته من النصوص المكتوبة في عدة جوانب أهمها الجانب الصوتي وتطوره، خاصة مع اعتماد الكتابة المصرية غالباً للصوامت دون الصوائت. هذه المعرفة يمكن أن تثري أيضاً المقارنات مع العربية في هذا الجانب على الأقل، وخارج مصر أيضاً في بعض أقطار المشرق والمغرب العربيين، احتفظت العاميات بمفردات ذات نظائر مصرية قديمة، منها ما له نظير في لغاتها الأقدم ومنها ما ليس له. من هذه المفردات ما بطل استعماله في مصر منذ زمن غير منظور، لكنه بقي مستعملا حتى الآن خارجها. ينطبق هذا بالطبع على غير المصرية من لغات المنطقة القديمة. وليس من شك في أن إحصاء هذه المفردات وغيرها من العناصر اللغوية القديمة بامتداد المنطقة العربية سيقدم رؤية أفضل لخريطة التواصل اللغوي به، بعكس ما قد يتصور البعض.

(٢)

خلال القرنين الماضيين مرت محاولات المقارنة والمقاربة اللغوية بين المصرية القديمة من جهة ولغات محيطها العربي القديمة – بما فيها العربية – من جهة أخرى بثلاث مراحل على الأقل.

عنها راجع:

F. Calice, Grundlagen der Ägyptisch- semitischen Wor tvergleichung, Wien 1936,1-10.

C.T. Hodge, Afroasiatic: An Overview/A Survey, The Hague 1971, 9-26.

G. Takacs, Etymological Dictionary of Egyptian I, Leiden 1999, 1-8.

تتعلق أهم محددات هذه المراحل بنصيب كل منها من معرفة خصائص اللغة المصرية من خلال الاكتشافات المطردة لمزيد من النصوص.

المرحلة الأولى: تمتد من بدايات القرن التاسع عشر إلى ثمانينيات القرن الماضي. وقد اتسمت هذه المرحلة بما تتسم به البدايات عادة من عشوائية ناتجة عن الافتقار إلى المنهج وفقدان الرؤية الشاملة وغياب المعايير اللغوية – خاصة الصوتية – الثابتة، وذلك نظراً لأن النصوص المصرية المتاحة آنذاك لم تكن تتعدى المرحلة القبطية – في البداية – ثم الديموطية والمصرية المتأخرة لاحقًا، وهي مادة لا تغطي الجانب الأساسي من نصوص اللغة المصرية. لذلك لا يقبل اليوم من حصيلة كتابات تلك الفترة سوى القليل.

وقد افتتحها «روسّي» عام ١٨٠٨ حين أصدر عمله المعنون «مقارنة – الألفاظ المصرية»، والمكتوب باللاتينية:

ROSSI, Etymologiae Aegyptiacae (Stern, Koptische Grammatik, Einl. S.4, Anm).

معتمداً في الشق المصري على القبطية فقط، نظراً لأن قراءة الهيروغليفية لم تكن قد عرفت بعد.

من هذه الأعمال الرائدة يبرز اثنان ما زالا يرجع إليهما هما مصنف «بنفي» المعنون «عن علاقة اللغة المصرية بالعائلة اللغوية السامية» والصادر عام ١٨٤٤ بالألمانية:

Th. Benefey, Über das Verhältniss der Ägyptishen Sprache zum semitischen Sprachstamm, 1844.

ومعجم «هينريش بروجش» الصادر بالألمانية في سبعة مجلدات بين عامي ١٩٦٧ و١٨٨٢ بعنوان «المعجم الهيروغليفي –الديموطي»:

H. Brugsch, Hieroglyphisch-demotischen Wörterbuch, 1867-1882.

وقد ضمنه «بروجش» عدداً كبيراً من المقارنات بين المفردات والجذور المصرية

والسامية. وبنظرة ثاقبة أورد في مقدمة هذا العمل المؤرخة بعام ١٨٦٧ الملاحظة التالية:

«أتنبأ مقدمًا أن الدهشة ستعم ذات يوم مجال البحث اللغوي لدى تبين مدى عمق الوشائج العائلية الوثيقة التي تربط اللغة المصرية بأخواتها الساميات».

وهي النبوءة التي عمل بعد ذلك على تحقيقها تلميذه أحمد كمال. ولكثرة ما جاء به «بروجش» من مقارنات ومقاربات كان لا بد لعمله في ذلك الوقت المبكر من أن تشوبه بعض العيوب التي لم يكن من الممكن تجنبها آنذاك. فحصيلته اللغوية كغيره آنذاك كانت مستمدة أساسًا من نصوص متأخرة قليلة الأهمية نسبيًا، وهي أغلب ما كان متاحًا آنذاك، كما سبقت الإشارة. فكانت تنقصه المادة القيمة المتمثلة لا في نصوص الأهرام بحسب، بل وفي الجانب الأكبر من نصوص أدب الدولة الوسطى الكلاسيكي المعبر عن أزهى فترات نضج اللغة المصرية. كذلك فإن الكثير من قراءات العلامات الصوتية آنذاك قد تم تجاوزه (مع هذا فإن «بروجش» على عكس الاعتقاد السائد - قد أدرك أن الكتابة الهيروغليفية - كالعربية - تكاد تقتصر على الصوامت) وعلى أي حال يبقى جانب لا بأس به من عمل «بروجش» قابلا للإفادة منه حتى الآن.

كذلك تجدر الإشارة إلى «راينيش» الذي ضمن أعماله عن اللغات الكوشية، خاصة في معجمه البيليني، بالألمانية:

L. Reinisch, Wörterbuch der Bilin - Sprache, Wien 1887.

طائفة من المقابلات بين الجذور العربية والمصرية. وهي مقابلات لم تسترع في هذه الكتابات وأمثالها إلا أقل انتباه حيث كان الاهتمام باللغات الأفريقية لا يزال في أضيق الحدود. هذا مع أن مناظرات مهمة مثل مناظرة الجذر المصري snb بالجذر العربي «سلم» قد ظهرت لأول مرة بها. وقد استقى «راينيش» معظم مادته المصرية من «بروجش» الذي كانت مصادره النصية المتاحة على الدرجة السالفة الذكر من المحدودية. لذلك فبجانب أمثال هذه اللقى الطيبة يظهر الكثير مما يتضح خطؤه الآن.

في هذه الأثناء عمل أحمد كمال على تغطية المشترك النحوي بين المصرية والعربية في كتابه التعليمي «الفرائد البهية في قواعد اللغة الهيروغليفية».

قرب نهاية هذه المرحلة بدأت أبحاث «أدولف إرمان» و«كورت زيته» في إلقاء ضوء غير مسبوق على بنية وتطور اللغة المصرية مما حفز على الانطلاق نحو مرحلة صار

البحث اللغوي المقارن فيها، على حد تعبير «فرانز كاليس»، أفضل من مجرد متاهة مظلمة.

المرحلة الثانية: في عام ١٨٩٢ أقدم «إزمان» في دراسة بالألمانية بعنوان «علاقة المصرية باللغات السامية»:

A. Erman,Das Verhältniss des Ägyptischen zu den Semitischen Sprachen, in ZDMG 46 (1892), 93-129.

على معالجة علاقة المصرية باللغات المشرقية / السامية في ضوء مجمل نتائج الدراسات الحديثة آنذاك.

في الشق النحوي من الدراسة قام «إرمان» برسم الخطوط العريضة للمشترك النحوي والذي أسهم هو نفسه بالقدر الأكبر في مجهود استقصائه آنذاك والذي أكد لديه سامية أو فلنقل مشرقية اللغة المصرية، وكما هو معروف فإن «إرمان» كان يعتبر المصرية لغة سامية صرفة، وإن كانت رغم الأصل المشترك قد انفردت كلغة مستقلة منذ زمن مبكر.

أما في الشق اللفظي فكان عليه أن يبدأ أولا بعمل حصر ومراجعة نقدية منهجية لأهم المقاربات اللفظية المصرية - السامية التي اقترحها سابقوه. لكنه هنا لم يوفق إلى استخلاص نتائج قاطعة كتلك التي استخلصها من الجانب النحوي نظراً للقصور المعرفي بالشخصية الصوتية الحقيقية للمفردات المصرية في ذلك الوقت مما جعل الكثير من المقاربات اللفظية قائماً على غير أساس سوى مجرد التخمين.

لذلك فبعد أن كانت قائمة المفردات التي جمعها «إرمان» تضم نحو ٢٥٠ كلمة استبعد عدداً كبيراً منها، بعضه باعتباره بعيد الاحتمال وبعضه الآخر باعتباره مستعاراً من هذا الجانب أو ذاك للجانب الآخر بحيث لم يبق له هذا الفرز

«سوى ما لا يزيد على خمسين من المقاربات شبه المؤكدة وخمس وسبعين من المقاربات نصف المؤكدة»

هكذا كانت هذه أول محاولة علمية جادة للتنظيم والتقييم النقدي لحصيلة القرن التاسع عشر من دراسات في هذا المجال مما دعا لوصفها بعد ذلك بالتأسيسية. وكانت بذلك فاتحة لمرحلة جديدة دامت نحو نصف القرن حتى وصلت ألى مداها في أربعينيات القرن العشرين.

لتلافي ما سبق من أوجه القصور تميزت هذه المرحلة الثانية بتطور إيجابي في منهج

علم تأصيل ومناظرة الألفاظ التطبيقي بوجه عام تمثل في بحث مقنن عن التقابلات الصوتية / الفونولوجية وفي موقف نقدي قائم على هذا الأساس من المقاربات المقترحة قبل ذلك ومن اقتراح المزيد منها مع إدراك الحاجة لاستخدام أقدم الشواهد اللغوية المصرية ومع معالجة أكثر حذراً للمادة الديموطية والقبطية المتأخرة. في هذه المرحلة اتخذت أولى الخطوات الجادة نحو مناظرة المصرية لفظيّا بمجموعات اللغات الأفريقية من بربرية وكوشية وتشادية.

خلال هذه المرحلة المزدهرة التي شهدت نشر وترجمة عدد من أهم النصوص كما شهدت إصدار معجم برلين، أدق وأكبر معاجم اللغة المصرية المنشورة حتى الآن، حظي هذا المجال باهتمام متزايد وغير مسبوق لا من جانب المتخصصين في الحضارة المصرية والمشرقية فقط، بل كذلك من جانب المتخصصين في اللغات الأفريقية، وقد نشر هؤلاء وأولئك العديد من المقاربات القيمة في صورة قوائم مفردات تفاوتت طولا وقصراً. منهم «هومل» و«شترن» و«ماكس مولر» و«كاليس» و«إمبر» و«زيته» و«كوهن» وغيرهم.

يطلق بعض الباحثين على هذا الجمع اسم «المدرسة القديمة» مع ملاحظة أنه إذا كان عدد كبير من المقاربات التي اقترحها هؤلاء غير مقبول بمعايير اليوم، فإن عدداً أكبر قد صمد لاختبار الزمن.

قرب نهاية المرحلة الثانية وصل العمل الدءوب لعدد من هؤلاء الباحثين إلى ذروته حيث شهدت ثلاثينيات وأربعينيات القرن الماضي إصدارهم لعدد من الكتب تعد أهم ما صدر حتى ذلك الحين مثل «دراسات مصرية - سامية» (١٩٣٠) بالإنجليزية، لـ«إمبر»، و«أسس مناظرة الألفاظ المصرية - السامية» (١٩٣٦) بالألمانية، لـ«كاليس» و«التطور الصوتي للمصرية» (١٩٤٥) بالفرنسية، لـ«فرجوت» و«بحث مقارن للألفاظ والأصوات الحامية - السامية» (١٩٤٧) بالفرنسية، لـ«كوهن»

A. Ember, Egypto - Semitic Studies, Leipzig 1930.

F. Calice, Grundlagen der Ägyptisch- semitischen Wortvergleichung, Wien 1936.

J. Vergote, Phonetique Historique de l'Egyptien, Paris 1945.

M. Cohen, Essai Comparatif sur le Vocabulair et la Phonetique du Chamito Semitique, Paris 1947.

تتشابه هذه الأعمال في مادتها الأساسية حيث تتعامل جميعًا مع ذات الكتلة من

المقاربات مع المصرية أسقط الزمن بعضها وأبقى على أكثرها. ومن بين هذه الكتب يكتسب عمل «كاليس» تفرده على أساس كمي حيث يضم نحو الألف من المقاربات المذكورة، معظمها (نحو ثمانمائة وخمسين) مع ألفاظ عربية. كما يكتسب عمل «كوهن» أهمية خاصة لكونه فيما يعتقد - من زاوية الدراسات الأفروآسيوية المقارنة - أول من وضع المقاييس الصوتية المحددة للمقارنة بين المصرية ومحيطها الأفروآسيوي، ومع حلول الأربعينيات تضاءل نشاط معظم هؤلاء في هذا المجال حتى توقف تماماً.

في الإطار الزمني لبداية هذه المرحلة يقع العمل الكبير لأحمد كمال ممثلا في معجمه الذي أنجز معظمه في العقدين الأولين من القرن العشرين، ليتمه قبيل وفاته. وقد شكل ويشكل عدم طباعته ونشره حتى الآن خسارة مستمرة ومتعددة الأوجه ليس أقلها أن حرمان أجيال متعاقبة من الباحثين على مدى أكثر من ثمانين عاماً من الاطلاع عليه والاستفادة منه قد أدت بمن يريد السير في نفس الطريق إلى البدء من نقطة الصفر مرة أخرى. كما أن حجبه قد ظلم أحمد كمال مرتين. مرة بإهدار مراحل حياته العلمية ومرة ثانية بحرمانه من أن يقيم عمله بين إهمال معاصريه وتركه للتقادم حيث تتزايد قيمته التاريخية على حساب قيمته العلمية. لكن حتى لو كان هذا التقادم قد أصاب بعض التفاصيل فإنه لم يصب مجمل العمل. بتعبير آخر يظل معجم أحمد كمال محتفظاً بجدته طالما لم يصدر عمل آخر حتى الآن يؤدي عنه الوظيفة التي وضع من أجلها باعتباره «قاموس هيروغليفي - عربي»، كما سماه هو نفسه على الأرجح.

المرحلة الثالثة: بدأت بين خمسينيات وستينيات القرن الماضي ولا زالت مستمرة إلى الآن. وهي مرحلة تتميز على نحو خاص بطفرة نوعية في الاهتمام بالتاريخ اللغوي المقارن للغات المجموعة الأفريقية. لذلك فقد تزايدت أعمال المتخصصين في هذه اللغات في مجال مقارنة اللغة المصرية القديمة بها وباللغة العربية ضمن غيرها من اللغات المشرقية، في المقابل صارت مشاركة متخصصي اللغة المصرية أميل للقلة.

من هؤلاء «فيسيشل» الذي قام بتأكيد وتطوير المقاييس الصوتية للمقارنة التي وضعها سابقوه فضلا عما نشره من أبحاث أصيلة من مقاربات مصرية - عربية ومصرية - بربرية.

وبين المتخصصين في الدراسات اللغوية الأفروآسيوية المقارنة في النصف الثاني من القرن العشرين يبرز «روسلر» بما حققه من إضافات هامة في مجال المقارنة باللغة

المصرية على وجه الخصوص وفي مجال علم الأصوات التاريخي بشكل عام.

وقد نشرت أهم دراساته عام ١٩٧١ بالألمانية بعنوان «المصرية كلغة سامية»

O. Rössler, Das Ägyptische als Semitische Sprache, in F. Altheim & R. Stiehl, Berlin 1971.

قام فيها بمحاولة إعادة كتابة عدة فصول من تاريخ اللغة المصرية من حيث طبيعة استخدام الصوامت بها وذلك اعتماداً على مقارنات معجمية مستفيضة مع لغات محيطها خاصة العربية. وقد حفزت أفكار «روسلر» الجديدة والمبتكرة الجيل الجديد من دارسي الحضارة المصرية في العقدين الماضيين (خاصة في ألمانيا والنمسا وسويسرا) على متابعة ما بدأه والبناء عليه في معالجة مشكلات المقارنة الصوتية.

راجع:

Th. Schneider, Beiträge zur Sogenannten "Neuren Komparatistik", in Lingua Aegyptia 5 (1997), 189 ff.

وجدير بالذكر هنا أن الدراسات المتخصصة في اللغات الأفروآسيوية في روسيا وغيرها من جمهوريات الاتحاد السوفيتي السابق قد أحرزت تقدماً كبيراً منذ الستينيات حيث نجح القائمون عليها - خاصة «دياكونوف» وزملاؤه من الباحثين الروس - في إضافة العديد من المقاربات المصرية - الأفروآسيوية تأسيساً على تقاليد المدرسة القديمة (المرحلة الثانية) في فهم التطور الصوتي للغة المصرية.

ولعل أهم المشاريع في هذا المجال وأكثرها طموحاً في الفترة الأخيرة هو إنشاء ما يسمى «كتالوج المفردات المصرية ونظائرها»، في المجر عام ١٩٩٤ والمؤلف من بطاقات تحمل الكلمات المصرية المعروفة منسوبة إلى جذورها وفق ورودها في المعاجم الأساسية للغة المصرية بحيث تكون لكل كلمة بطاقتها / بطاقاتها التي تحمل كذلك كل الملاحظات والمقارنات والمقاربات التي ذكرت بخصوصها في دراسات المراحل الثلاث سالفة الذكر مع وضع قائمة بكل المفردات الأفروآسيوية التي يمكن أن تكون لها علاقة بها، يشرف على هذا المشروع ويقوم بالدور الأكبر - وربما الوحيد - فيه الإيجبتولوجي المجري «جابور تاكاتش». وقد صدر عنه بالفعل خلال الخمس سنوات الأخيرة مجلدان مما أسماه المعجم الاشتقاقي / التأصيلي للغة المصرية:

G. Takacs, Etymological Dictionary of Egyptian I -, Leiden 1999.

وقد وضح الهدف من المعجم المذكور في مقدمته بأنه «إثراء المعجم الأفروآسيوي المقارن وزيادة معرفتنا بالشخصية الأفروآسيوية للغة المصرية». ولعل من أهم ميزاته أنه يستعرض لكل لفظ مصري كافة نظائره التي سبق اقتراحها دون استبعاد شيء منها مع مناقشة كل منها من وجهات نظر المدارس المختلفة مما يوفر على الباحث الكثير من الوقت والجهد، ورغم أنه قد أورد عدداً من المقاربات مع العربية إلا أن توجهه الأساسي أفريقي.

وقد صدر قبله، عام ١٩٩٤ معجم مقارن ذو توجه مشرقي بعنوان «الكلمات السامية في النصوص المصرية من عصر الدولة الحديثة وعصر الانتقال الثالث»، بالإنجليزية لـ«چيمس هوخ»:

J. Hoch, Semitic Words in Egyptian Texts of the New Kingdom and Third Intermediare Period Princeton 1994.

يرصد الكلمات التي يرى أن اللغة المصرية قد استوعبتها خلال العصرين المذكورين، بما في ذلك نحو أربعمائة وخمسين كلمة عربية. لكن معايير اختياره لهذه الكلمات ولتحديد أصولها تعرضت لنقد شديد.

وفي مجال المقارنات النحوية يمكن الإشارة هنا إلى دراستين للمقارنة بين الفعل والجملة الفعلية في المصرية والعربية وأخواتها المشرقيات، كتب الأولى بالإنجليزية عام ١٩٥٤ متخصص في الساميات هو «ثاكر»:

T. W. Thacker, The Relationship of the Semitic and Egyptian Verbal system, Oxford 1954.

وكتب الثانية بالألمانية عام ١٩٨٦ متخصص في اللغة المصرية هو «لوبريينو»:

A. Loprieno, Das Verbalsystem im Ägyptischen und im Semitischen, Wiesbaden 1986.

وقد شهدت بداية هذه المرحلة - الثالثة - مجهودات الدكتور أحمد بدوي في هذا المجال والتي كان أهم ثمارها معجمه الذي وضعه بالاشتراك مع «هرمان كيس» بالعربية والألمانية معاً أسماه «المعجم الصغير في مفردات اللغة المصرية القديمة» وقد بدأ العمل فيه منذ عام ١٩٥٢ ونشر بالقاهرة عام ١٩٥٨. وهو لا يختلف عن معجم كمال في الحجم فقط، والذي يدل عليه اسمه حيث لا يتجاوز عدد صفحاته الثلاثمائة من القطع الكبير، بل وفي الغرض الأساسي منه أيضاً فهو في الأساس موجه للطلاب الذين

يجدون صعوبة في فهم معاجم اللغة المصرية الموضوعة بالألمانية. أي أنه في جوهره معجم للمعاني وليس للنظائر العربية. ومع هذا فإن صفحاته تحمل المئات من هذه النظائر التي أفرد بدوي لأهمها بعد ذلك بحثًا بعنوان «اللغة المصرية القديمة وصلتها باللغات السامية» ألقاه في مؤتمر مجمع اللغة العربية بالقاهرة عام ١٩٦١ وتم نشره بكتاب المؤتمر في نفس العام. ويتضح من هذا البحث أن بدوي لم يكن يشارك كمال يقينه بوجود أصل واحد لشعوب ولغات المنطقة. فرغم تأكيده على أن البحوث قد أثبتت وجود قرابة وثيقة بين تلك اللغات «هي أوثق من القرابة بين اللغات الهندية الأوروبية» إلا أن هذا - من وجهة نظره - لا يدل بحال من الأحوال على أن المتكلمين بتلك اللغات ينبغي أن يكونوا من أصل واحد، لكنه على أي حال لا يقول بانتفاء هذا الأصل من الناحية اللغوية، بل هو يدعو إلى بحث هذا الموضوع على نحو علمي وموضوعي قائلا:

> **«وفي رأيي أن النظر في القرابة بين اللغات السامية واللغة المصرية قد يصدق إذا وفق المجمع إلى إنشاء مدرسة عربية خالصة، تضم صفوة المتخصصين في اللغات السامية بعامة واللغة المصرية بخاصة».**

بينما كان أحمد بدوي يعد معجمه الصغير كان عبدالمحسن بكير يعد كتابه التعليمي «قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي» المنشور في القاهرة عام ١٩٥٤. وقد ضمنه العديد من السمات النحوية والصرفية المشتركة بين المصرية والعربية متابعًا ما بدأه أحمد كمال في كتابه «الفرائد البهية» وإن لم يكن بالضرورة قد اطلع عليه. وإضافة بكير هنا تتمثل فيما استفاده من التراكم المعرفي باللغة المصرية عبر نحو ثمانين عامًا تفصل بين الكتابين، خاصة وأن عمل بكير ينصب على العصر الكلاسي للغة المصرية الذي لم تكن معظم نصوصه قد عرفت بعد إبان المرحلة الأولى التي وضع فيها أحمد كمال كتابه، وقد تابع بكير هذا التوجه لاحقًا في كتابه «ملاحظات حول قواعد اللغة المصرية في عصرها المتأخر من مدخل سامي» الصادر بالإنجليزية عام ١٩٨٣.

A. M. Bakir, Notes on Late Egyptian Grammar: A Semitic Approach, Warminster 1983.

كذلك ساهم الدكتور عبدالعزيز صالح مساهمة قيمة في هذا المجال بما أورده من

ملاحظات حول صلة المصرية بالعربية وغيرها في مبحثه اللغوي الذي ضمنه الجزء الأول من كتابه «حضارة مصر القديمة وآثارها» (١٩٦٤) حيث يقول «لم يتأت ما بين اللغة المصرية وأخواتها من تقارب نتيجة لعامل واحد، وإنما يرجح أنه ترتب على عوامل متشابكة كثيرة. ففضلا عن وحدة الجنس البعيدة بين مصر وجيرانها وعامل الاختلاط الجنسي المتقطع بينهما، توفرت فرص الاتصال الثقافي والتشابك اللغوي بينهما «عن طرق عدة. وهو يتبع ذلك بعرض موجز لأهم ملامح المشترك اللفظي والنحوي بين المصرية وجيرانها في الشرق والغرب في إطارها التاريخي. ثم هناك أيضا البحث الذي تقدم به لمؤتمر باحثي الآثار المصرية عام ١٩٧٦ بعنوان «ملاحظات حول القيم الصوتية لبعض الحروف المصرية»:

A. Saleh, Notes on the Phonetic Values of Some Egyptian Letters, in ICE, Cairo 1976.

حيث عمل على ودعا إلى الاستفادة من التقارب الصوتي بين العربية المنطوقة - فُصحى وعامية - والمصرية غير المنطوقة في التعرف على الدلالات الصوتية الفعلية لحروف وعلامات اللغة المصرية.

أما كتاب «اللغة المصرية القديمة» للدكتور عبدالحليم نور الدين الصادر في القاهرة أواخر العقد الماضي فيعد الحلقة الثالثة في سلسلة الأجروميات التي وضعها مصريون بلغة ومنهج عربيين.

وقد تزايد اهتمام الأجيال التالية من الآثاريين المصريين بصلة المصرية بالعربية، وهو ما يتجلى في تخصص عدد منهم في هذا المجال بما يعدون من أطروحات الماجستير والدكتوراة مثل أطروحة الدكتورة زينب محروس بعنوان: «المفردات في اللغة المصرية القديمة حتى نهاية الدولة الحديثة: دراسة في الإبدال مقارنة باللغة العربية» والتي نوقشت بجامعة القاهرة عام ١٩٩٤. كما يتجلى في عديد الأبحاث التي تقدم سنويًا إلى ملتقى جمعية الآثاريين العرب، فضلا عن تلك التي تنشر في حوليات المجلس الأعلى للآثار وفي مجلة كلية الآثار، وغيرها.

أما الدكتور علي فهمي خشيم فقد بذل جهداً مشكوراً في محاولة رصد وإظهار مدى عمق واتساع العلاقة الأصيلة بين المصرية والعربية، لا كمحض مبحث علمي، بل كقضية هوية في الأساس، وقد أثمر هذا الجهد عدداً كبيراً من المقاربات المقترحة

تخللت كتاباته في هذا الصدد وعلى رأسها كتابه الضخم «آلهة مصر العربية» محققًا بذلك نتيجتين هامتين:

الأولى: أنه قد تجاوز دائرة القارئ المتخصص إلى دائرة أوسع تشمل جمهرة المثقفين العرب.

الثانية: أنه وغيره من الباحثين العرب من ذوي المكانة، مثل الدكتور/ بهجت قبيسي، قد أكسبوا الاهتمام به بعداً قوميًا هو في أمس الحاجة إليه.

وختامًا فإن المتأمل لما تم إنجازه في هذا المجال عبر تاريخه الطويل يجد أنه على كثرته قليل من كثير علينا استكماله. وذلك لن يتأتى إلا بتوحيد جهود الباحثين العرب - كل في تخصصه - لإنتاج معجم عربي شامل لكل ما سبق من مقاربات مع كافة لغات العرب القديمة. على أن يصحب هذا ترجمات عربية - دون وسيط من لغات أجنبية - لأهم ما أنتجته هذه اللغات من نصوص. وهو ما سيؤدي إلى فهم أوسع للروح المشتركة لهذه اللغات وحضاراتها.

سعيد بن عبدالله الدارودي

الأصول العربية
لكلمات أمازيغيّة أصيلة



تمهيد

لم ينجز الكثير من الدراسات في مجال المقابلة ما بين اللسان المازيغي وبين اللسان العربي الفصيح المعروف بلغة القرآن الكريم، واللسان الدارج المتمثل باللهجات المشرقية المتعددة، والعربي الجنوبي القديم وهو اللسان الحميري ونحوه، والجنوبي المعاصر كاللسان الشحري وغيره، وكل ما تم في هذا المجال إنما تم بجهود فردية، وبإمكانيات لا نستبعد أن تكون جدًا متواضعة في أغلبها، لذلك لا يزال الأمر في حاجة إلى تضافر المؤسسات الرسمية وغير الرسمية، وإلى تكاتف جهود الباحثين، وتنظيم جهدهم الجماعي الذي لا نشك بأنه سيكون جهداً عظيماً لعظم الغاية التي يرمي إليها، ولاتساع الرقعة الجغرافية، وتعدد الألسن التي ستدخل في نطاقه، وما يزال الأمر أيضاً في حاجة إلى تسخير الإمكانيات له، وتذليل العقبات أمامه، فالغاية عظيمة والهدف نبيل، فلكم نحن محتاجون إلى البحث عن ذواتنا في ذاتنا، وإلى الإنصات إلى أصواتنا الصادقة الجادة، وإلى النظر نحو ما تخطه أقلامنا، وإلى التفكير فيما استنتجته عقولنا وراكمته جهودنا، عل ما نجده ونكشفه يدلنا على أن ما على سطح أرضنا من غصون ارتفعت شامخة وامتدت مبتعدة لتتجاوز حدود بقعتها، إنما تستمد هذا الشموخ وذلك الاتساع والامتداد من أعماق تلك التربة العربية الغنية التي كانت تغذيها وتمدها بأسباب البقاء والنضارة، وما زالت.

لقد ساورني الشك طوال سنوات عدة بعروبة الأمازيغيين لتشككي بعروبة لسانهم، فاللهجات الأمازيغية تؤدي بداهة، إذا ما أثبتت عربيتها (أو عروبيتها) إلى الجزم بعروبة أهلها الذين يطلقون على أنفسهم الأمازيغ، وكذلك المازيغ (بتسهيل الهمز)، وأيضًا الأمازيغيّون، ويطلق عليهم الآخرون تسمية البربر، ولكن هذا التشكك مع مرور الأيام والشهور فالأعوام أخذ يميل إلى عروبة هذا الشعب العظيم، وليستحيل أخيراً إلى يقين لا يتزعزع بأن الأمازيغيين عرب أقحاح، ولا يمكن أن يكونوا غير ذلك، وأنهم عرب بالدم واللسان، وأن العروبة قد سبقت الإسلام في الوصول إلى شمال أفريقيا منذ آلاف السنين.

لقد قارنت من جهة بين مجموعة من الكلمات المازيغية وبين مجموعة من الكلمات العربية من جهة أخرى، ولقد حصرت تلك المجموعة الأخيرة في اللسان العربي بشقيه الشمالي الفصيح ولهجاته الدارجة، والجنوبي بفرعيه القديم والمعاصر، وكان معظم ألفاظ العربية المتقاربة مع ألفاظ الأمازيغية هي من اللغة العربية الفصحى، وتأتي بعدها ألفاظ الدارجة الظفارية وألفاظ اللهجة الشحرية، وهما من لهجات إقليم أظفار في قلب جنوب شبه الجزيرة العربية، ذلك الإقليم المتوزع سياسيًا بين سلطنة عمان والجمهورية اليمنية.

وأما الذي جعلني أركز على اللهجتين الظفاريتين الدارجة والشحرية فبالإضافة إلى التشابه الذي وجدته ما بين عدة ألفاظ في اللسان الظفاري وبين أخريات في اللسان المازيغي، هو أن الدارجة الظفارية هي لساني، واللهجة الشحرية هي اللسان الآخر الذي ألم به إلمامًا لا بأس به، وهناك سبب آخر هو ندرة المراجع لدي فيما يخص اللهجات العربية الدارجة وخاصة المشرقية منها.

لقد قمت عند المقارنة باستبعاد الدارجة المغاربية إلا عند الضرورة لإيضاح وشرح وتوصيل فكرة ما، ذلك أن الناموس اللغوي يخبرنا بأن أي لسانين يتجاوران أو يحدث بينهما احتكاك أو صراع فينتصر فيه أحدهما على الآخر، لا بد وأن يتأثر ويؤثر أحدهما بالآخر فيأخذ منه ويعطيه في نفس الوقت، وعلى هذا الأساس اللغوي تسربت في اللهجات الدارجة المغاربية ألفاظ وتعابير وتراكيب عديدة من اللهجات المازيغية، وفي المقابل حدث تسريب في اللهجات الأمازيغية من اللغة العربية، وخاصة فيما يتعلق بالشعائر الإسلامية، ولقد أشار محمد شفيق في معجمه إلى الدخيل العربي في الأمازيغية، وقمت أيضًا باستبعاد اللغات العروبية الأخرى من نطاق البحث، إلا في أضيق الحدود لتوضيح رأي أو لتأكيده، ذلك لأن بعض المتعصبين المازيغيين يرون في البحث عن جذور لهجاتهم فيما يعرف باللغات السامية (وهي لغات عربية) إنما هي حيلة العاجز حينما لا تسعفه الحجة في إثبات ما يدعيه، ناهيك عن أن أولئك المتعصبين لا ينظرون إلى تلك اللغات المشرقية وغيرها من اللغات العروبية على أنها ألسنة عربية، وكذلك الشعوب التي تنسب إليها تلك اللغات واللهجات ليست شعوبًا عربية في نظرهم.

لقد كنت أرى في ألفاظ وتعابير ظفارية معينة، بل وظواهر لغوية بأنها تمثل

الخصوصية اللغوية الظفارية، حتى وجدتها في اللهجات الأمازيغية، مما جعلني أضع احتمالا أن ما أحسبه خاصًا باللسان الظفاري هو موجود في اللسان الأمازيغي، وقد يكون في لسان عروبي آخر.

يظن الأمازيغي أن انفكاك العظم في لهجاته هو لفظ خاص به لا مثيل له في أي لهجة أو لغة، وكنت أظن أن لانفكاك العظم لفظًا خاصًا في لهجاتنا لا يوجد في لسان آخر، وكنت أظن أن (عسى، حرف ترج) له لفظ خاص بنا، وكنت أظن أن للوطء بالقدم لفظًا خاصًا عندنا لا يوجد مثيله في الألسن الأخرى، ولكنني مع البحث المستمر، والسعي الدءوب نحو الحقيقة اتضح لي أن ما خلته خاصًا بي هو شائع عند غيري، لقد كنت أسمع المغاربة يقولون المش للقط ولما سألتهم عن أصلها أخبروني قائلين إنها أمازيغية وليست عربية ولكنني وجدتها بعد ذلك في كلمة البس التي تعني السنور عند عرب الحجاز في الجزيرة العربية، وذلك بتعاقب الشفويين م - ب وتعاقب ش- س: المش = البس.

لقد طبقت قوانين علم اللغة من إبدال ونحو ذلك من قوانين الاشتقاق وغيرها من نواميس اللغة الأخرى لإيضاح الأصل العربي لعديد من الكلمات الأمازيغية الأصلية التي لم يعرف عنها أنها نقلت أو انتقلت من لسان آخر إلى اللسان المازيغي.

ولتوضيح بعض تلك القوانين اللغوية الثابتة، نتكلم قليلا عن قانون الإبدال الصوتي، وهو إحلال صوت أو حرف معين مكان آخر لاشتراكهما في المخرج الصوتي أو لتقارب مخرجيهما الصوتيين، أو لتقاربهما في الصفة من همس أو جهر، ومن شدة أو رخاوة وغيرها من صفات الحروف، بل إن الإبدال قد يتم بين حرفين متباعدين مخرجًا وصفة كالميم والضاد، وإن كان ذلك قليل الوقوع.

فالأصوات الصفيرية مثلا وتسمى الأسلية أيضًا وهي الصاد والسين والزاي، هي من مخارج صوتية متقاربة، يقوم الإبدال فيما بينها بكل يسر، فالتعاقب بينها أمر في غاية الشيوع وهي تتعاقب بسهولة أيضًا مع الزاي المازيغية التي تنطق مفخمة وتماثل في نطقها نطق حرف الظاء عند عرب مصر والشام، والأصوات الحلقية التي تخرج من الحلق أيضًا يتم إبدال بعضها ببعضها الآخر بكل يسر، وهي أصوات العين والحاء والغين

والخاء والهاء والهمزة، وكذا هو الأمر وفقًا للحروف الشفوية التي تخرج من بين الشفتين وهي الميم والباء والواو والفاء.

ومن أمثلة تعاقب حرفي الفاء والباء:

- قصم - قصف «بمعنى كسر».
- الطرفساء - الطرمساء - «بمعنى الظلام».
- الفرح - المرح.

وفي لهجات عرب ظفار ومصر يقولون إف إف تضجراً من الروائح الكريهة وعند عرب المغرب تتحول إلى ميم فيقولون إم إم بدلا عن إف إف.

وهناك الأصوات النطعية وهي ت - د - ط، وأصوات اللهاة وهي القاف والكاف، وحروف الذلاقة التي تخرج من طرف اللسان وهي ل- ن - ر، وتعاقب الأحرف الذلقية والشفوية كاللام والميم ظاهرة ملحوظة في اللغات واللهجات، فالنمام هوالنمال، والنميمة هي النميلة أيضا، وخمم بمعني كنس الزبل تغدو في الدارجة المغربية خمل، وخير مثال على الإبدال بين اللام الذلقية، والميم الشفوية هو تحول (أل) التعريف في الفصحى إلى (أم) في اللغة الحميرية، وهو ما يعرف في اصطلاح اللغويين القدامى بالطمطمانية (طمطمانية حمير)، وما يزال تحول اللام إلى ميم شائعا عند بعض عرب اليمن، فالسيارة عندهم أمسيارة والرجل أمرجل، ولا الناهية تقابلها في العربية ما الناهية.

ويحدث الإبدال بين اللام والباء، فبال في المهرية تغدو باب في المازيغية، وأول في المازيغية تصير أوب في الشحرية، والسهل أي المطمئن من الأرض يقال له أيضا السهب، واعتقلت الرجل واعتقبته بمعنى أسرته، وأزبوب وأزلول في المازيغية تعنيان نوف المرأة.

والإبدال يحدث بين السين والتاء، فالختيت في الفصحى هو الخسيس، وإركس في المازيغية هي ركت في اللسان الظفاري، والوتم عند القدامى هو قلب السين تاء عند بعض قبائل العرب، وذلك إذا كانت السين في آخر الكلمة: النات بدلا من الناس، وأكيات بدلا من أكياس، ويتعاقب النون والباء وهما صوتان متقاربان صفة متباعدان مخرجًا، ففي الفصحى نسمع نعاعة حسنة وبعاعة حسنة، في وصف بقل ناعم رقيق، وفي المازيغية إكنف بمعنى شيّ اللحم، وفي اللهجة الشحرية إقبب تعني شيّ اللحم، مع إبدال الكاف قافًا وهما لهويان، وإبدال الباء فاء وهما شفويان.

والأمثلة كثيرة لا تعد ولا تحصى ويستطيع من يريد الاستزادة منها أن يجد بغيته في الإنصات جيداً لما يسمعه من حوله، وفي هذا ما سيغنيه عن الغوص في أمهات الكتب والمعاجم.

وفي الأخير أود أن أشير إلى أنني ذكرت في بحثي هذا الكلمة الأمازيغية أولا ثم وضعت خطًا صغيراً وكتبت الكلمة العربية بعده ثم شرعت أشرح اللفظين وأبين ما بينهما من تماثل وتقارب.

١- **إنسس – نزّ** : أي أصبح يملك ماء مستخرجًا، والنز في الفصحى ما يتحلب من الماء، (نز) بعد فك التشديد منها تصير نزز، وبتعاقب الصوتين الصفيريين س-ز يتضح الأصل الواحد للكلمتين على النحو التالي:
إنسس ـــ إنزز ـــ نزز ـــ نز.

٢- **إنزغ – نزع**: جذب، بتعاقب الصوتين الحلقيين غ – ع وهما يتعاقبان بسهولة في اللغة مثلما هو الحال مع الأصوات الصفيرية.

٣- **إغضل – عزل**: عزل العامل أو الوالي، بتعاقب ع – غ، وتعاقب ض – ر:
إغضل ـــ إعضل ـــ إعزل ـــ عزل.

٤- **أنزوغ – النزعة** : الميل والرغبة، بتعاقب الحلقيين غ – ع:
أنزوغ ـــ أنزوع ـــ النزعة.

٥- **أجادير – الجدار**: الجدار أو السور في الفصحى، وفي اللهجة الشحرية إجيدار.

٦- **أمزغزغ – زغزغ**: النزق الطائش من الناس، وكذلك في الفصحى والمصدر هو الزغزغة وهي الخفة والنزق والطيش.

٧- **إتوتو – تأتأ** : تأتأ في كلامه.

٨- **أضو – الجو** : الهواء، بتعاقب ض – ج:
أضو ـــ أجو ـــ جو.

٩- **أضو – ظيء** : الرائحة، وفي الشحرية ضيء، بتعاقب ض-ظ:
أضو ـــ أظو ـــ أظي ـــ ظيء.

١٠- **إقاريض – القرص**: تعني في المازيغية القرص، بتعاقب ض – ص:
إقاريض ـــ إقاريص ـــ قاريص ـــ قرص وفي الأمازيغية تعني مجازيًا: القطعة النقدية المعدنية وذلك للشبه بينهما.

١١- **أزرف - الصرف**: في الأمازيغية يعني المال والنقود خاصة، والصرف في الفصحى هو فضل الدرهم على الدرهم، وكذلك بيع الذهب بالفضة، والتصريف في البيع إنفاق الدراهم، والصراف والصيرف والصيرفي هو النقاد.

١٢- **أغاراس - الشارع**: الطريق، بتعاقب الحلقيين غ - ع، وتعاقب س - ش، وقلب الأحرف مكانيًا:

أغاراس ـــ أعاراش ـــ أشاراع ـــ الشارع.

١٣- **أبريد - الدرب**: الطريق، هنا قلب مكاني حدث للكلمة المازيغية:

أبريد ـــ أدريب ـــ الدرب.

وفي الفصحى يقال للدليل الذي يهدي الناس السبيل البرت (التاء بدلاً عن الدال) وهو تخريج منطقي أن يسمى أدريب (السبيل) باسم الشخص الذي يدل الناس عليه. فالفرعون هو ملك مصر في العصور القديمة معناه الأصلي في اللغة المصرية القديمة البيت العالي أو القصر ثم تحول معناه إلى الملك نفسه.

١٤- **إدول - إدور**: رجع، عاد، بتعاقب حرفي الذلاقة ل-ر بين (إدول) المازيغية و(إدور) الشحرية، أما في الفصحى صار تعني رجع والصاد تتعاقب في الكلام مع الدال بسهولة:

أ- إدول ـــ إصول ـــ إصور ـــ صار.

ب- إدور ـــ إصور ـــ صار.

١٥- **إبضا - بضر**: شطر أو مزق، وفي الشحرية تؤدي إلى نفس المعنى وخاصة التمزيق في الثياب والورق. وتحول ألف المد إلى راء أمر يحدث في الألفاظ المتقاربة المعاني.

١٦- **إغلي - علا**: صعد، بتعاقب الحلقيين غ-ع:

إغلي ـــ إعلي ـــ علي ـــ علا.

١٧- **تازيبا - الجوب**: الدرع، وما زال الظفاريون يستخدمون الجوب بمعنى الدرع كما هي في الفصحى، بتعاقب ز-ج، وتعاقب الجيم سواء كانت مجهورة أو معطشة مع صوت الزاي ملاحظ في لهجات المغرب العربي، ومن أمثلة ذلك: عجوز تصبح في اللسان المغاربي

عـزوز أحيـانًا، وجـوز بمعنى (اثنان) تصـبح زوز في الدارجـة التونسية وجوج في الدارجة المغربية:
تازيبا ـــ تاجيبا ـــ جيبا ـــ جوبا ـــ الجوب.

١٨- **أكابار - القافلة:** بتعاقب الصوتين اللهويين ك - ق، وتعاقب الصوتين الشفويين ب - ف، وتعاقب الصوتين الذلقيين ر - ل:
أكابار ـــ أقابار ـــ أقافار ـــ أقافال ـــ القافلة.

١٩- **إليسـا - لاس** : في المازيغية والشحرية بمعنى لبس، ارتدى، واللفظ الشحري ينطق مفخمًا.

٢٠- **إزّغ - دعّ** : في المازيغية تعني طرد من العمل أو المنصب، وفي الفصحى نهر وطورد بعنف، بتعاقب الحلقيين غ - ع وتعاقب ز - د:
إزّغ ـــ إدّغ ـــ إدّع ـــ دع، وهناك مرادف أمازيغي آخر يؤدي نفس المعنى وهو الفعل الماضي إتحي، بتعاقب الصوتين النطعيين ت-د وتعاقب الحلقيين ح-ع:
إتحي ـــ إدّحي ـــ إدّعي ـــ دع.

٢١- **أفروخ - الفرخ** : في المازيغية الصبي، الفتى، الشاب الصغير، الطفل.
وهذا المدلول في الفصحى يندرج تحته صغار الطير كفرخ الحمام وغيره، ولا تزال تستخدم كلمة الفرخ عند شعوب الجزيرة العربية للمعاني الآنفة الذكر.

٢٢- **إسفقّت - فكّك:** في المازيغية صرف النقود، و(إس) غير أصلية في الفعل وبعد حذفها تصير الكلمة (فقت)، بتعاقب القاف المشددة مع الكاف المشددة، والتاء مع الكاف:
إسفقت ـــ فقت ـــ فكّت ـــ فكّ.
فصرف النقود عند عرب مصر هو الفكة حيث يتم تفكيك النقود من العملة الواحدة إلى عملات عديدة صغيرة تكوّن في مجموعها قيمة تلك العملة الكبيرة، وتعاقب صوت الكاف مع صوت التاء ليس بالأمر المستبعد وليس هو بالأمر المخالف للقوانين الصوتية في علم اللغة، فما زالت اللهجة الشحرية تنطق تاء المتكلم وتاء المخاطب كافًا.

٢٣- **تاجوزديت-جزحت**: القطيع أو الطائفة من الإبل ونحوها وفقًا للمازيغية، وفي الشحرية جزحت وفي لهجة الشمال الشرقي (وهي إحدى اللهجات الظفارية) يقال جزح لقطيع الإبل وغيره من القطعان، بتعاقب ح- د:
تاجوزديت ـــ تاجوزحيت ـــ جزحت.

٢٤- **أمجاز - مغص** : الجيم مجهورة في الكلمة المازيغية والمعنى هو التقطيع في البطن، وهو المغص في الفصحى، بتعاقب ن-م، وتعاقب ج-غ، وتعاقب الزاي المازيغية التي تنطق مفخمة وصوت الصاد:
أنجاز ـــ أمجاز ـــ أمغاز ـــ أمغاص ـــ المغص.

٢٥- **إجوحما - قحم**: في المازيغية اشتهى اللحم، وفي الشحرية تعني قحم أخذ ينهش ويمصمص العظم باشتهاء، بتعاقب ج - ق:
إجوحما ـــ إقوحما ـــ قوحما ـــ قحم، والتقارب في المعنى بين اللفظين واضح.

٢٦- **تادّارت - الدار** : البيت، المنزل، واللفظ مؤنث في المازيغية والعربية مع وجود أداة التأنيث وهي التاء المفتوحة في المازيغية.

٢٧- **أنافال - الأرفل** : الأحمق، بتعاقب الذلقيين: ن - ر:
أنافال ـــ أرافال ـــ الأرفل.

٢٨- **أغروم-الرغيف**: الخبز، بتعاقب الشفويين م - ف، وحدوث قلب مكاني:
أغروم ـــ أغروف ـــ أرغوف ـــ الرغيف.
وتوغريفت هي الخبزة الواحدة وهنا حلت الفاء بدل الميم، فالمفترض بتوغريفت أن تكون توغريمت، والفعل الماضي (خبز) يقابله في المازيغية إغرف وليس إغرم، وهذا دليل واضح على أن الميم في أغروم أصلها فاء.

٢٩- **أنيبو - اللئيم** : الخبيث من الناس، بتعاقب الذلقيين ن - ل، والشفويين م-ن:
أنيبو ـــ أليبو ـــ أليمو ـــ اللئيم.

٣٠- **أكرفو- الخراب**: عكس العمار، بتعاقب ك - خ، وتعاقب ف - ب:
أكرفو ـــ أخرفو ـــ أخربو ـــ الخراب.

٣١- **إخرمز- خربش:** خربش العمل أو الكتاب بمعنى أفسده بتعاقب الشفويين م-ب وتعاقب ز- ش: إخرمز ــــ إخربز ــــ خربش.

وتأتي قرمش في الشحرية بمعنى الإخفاق في العمل (اليدوي خاصة)، بتعاقب خ - ق، وتعاقب ز - ش:

إخرمز ــــ إقرمز ــــ إقرمش ــــ قرمش.

٣٢- **أخيام - الخيمة** : وللمازيغية مرادفان آخران هما أخام وأخّام، وتطابق الكلمتين المازيغية والعربية يغنينا عن أي شرح أو توضيح.

٣٣- **إشــــفــــا - زم:** أعطى الشيء في الشحرية زم فعل أمر بمعنى أعط، والماضي زوم، بتعاقب ش - ز، والشفويين ف - م:

إشفا ــــ إزفا ــــ إزما ــــ زم.

٣٤- **إخّـــــا - إخ** : خبث ضد طاب، وإخ هو اسم فعل في لهجة الشمال الشرقي لا يخرج في معناه عن استقذار شيء أو شخص ما أو التأفف من شيء خبيث، وتتحول فيه الدارجة الظفارية إلى يخ وكذلك في اللهجة الشحرية، أما عند عرب مصر تتحول إلى لفظ إخّي.

٣٥- **إدّوري - إذري** : في المازيغية استحيا، وفي الشحرية تعني شعر بالخجل من الغرباء وعرف ذلك بسبب سكوته أو تكلفه في كلامه وتصرفاته أمامهم، وذلك بتعاقب الدال والذال:

إدوري ــــ إذوري ــــ إذري.

٣٦- **أشويح-الشريحة:** القطعة أو الشريحة من اللحم، بتعاقب الواو مع الراء، وزيادة التاء في اللفظ العربي للتأنيث:

أشويح ــــ أشريح ــــ الشريحة.

٣٧- **تامطوط - تيث** : المرأة، بعد حذف الحروف غير الأصلية في الكلمة المازيغية تصير الكلمة طوط، وبتعاقب الطاء الأولى مع التاء وتعاقب الطاء الأخرى مع الثاء، يتضح الأمر على النحو التالي:

طوط ــــ توط ــــ توث ــــ تيث:

(وهي المرأة في اللهجة الشحرية وأما في اللهجة الحرسوسية والمهرية يقال للمرأة تيوث)، والعجيب أن صيغة الجمع

لتامطوط في المازيغية هي تايتشين وهو جمع لا مفرد له من جنسه، وصيغة الجمع هذه تدعم بشدة هذا التخريج، فإذا تم حذف الأصوات غير الأصلية وهي (تاي) و(ين) صيغة الجمع في اللسان المازيغي تصبح تش وبتعاقب ش - ث يغدو الأمر على النحو التالي: تايتشين ـــ تش ـــ تث.

واللفظان تش وتث لهما علاقة لا تخفى بلفظ (أنثى) في الفصحى، والدليل على ذلك أن صيغة جمع تيث في الشريحة هي إناث.

٣٨- **تيغالّين - الخيل** : في المازيغية الأفراس الإناث، وبتعاقب الحلقيين: غ - خ، وبحذف الحروف الزائدة غير الأصلية يكون التماثل واضحًا:
تيغالين ـــ تيخالين ـــ خال ـــ الخيل.

٣٩- **إجور - جال** : ذهب، مضى، بتعاقب الذلقيين: ل - ر، والمعنيان متقاربان:
إجور ـــ إجول ـــ جال.

٤٠- **أقندور-الكندورة**: القميص، وعند عرب الإمارات العربية وبعض المناطق العمانية الكندورة هي الجلباب، وجمعها كنادير، والتاء الأخيرة هي تاء التأنيث فاللفظ مؤنث عندهم، بتعاقب اللهويين: ق - ك:
أقندور ـــ أكندور ـــ الكندورة.

٤١- **آزوو - إزيز** : في المازيغية الريح عامة، وفي الشحرية الريح العاصف.

٤٢- **أول - أوب** : الروع، القلب، الفؤاد، بتعاقب ب-ل، أول في المازيغية وفي الشحرية أوب، وفي الفصحى اللب، والهمزتان في الكلمتين مضمومتان: أول ـــ أوب - اللب.

٤٣- **إخلع - خرّع** : خاف، راع، ارتعب، بتعاقب الذلقيين ل - ر نجد في اللهجات الخليجية الدارجة خرّعني بمعني أرعبني، وهذا شيء يخرع أي يخيف.
أما في الفصحى رجل مخلوع الفؤاد إذا كان فزعًا، والخلاع والخليع والخولع فزع يبقى في الفؤاد ويكاد يعتري منه الوسواس.

٤٤- **إقيس - قصّ** : روى الحديث، بتعاقب الصفيريين س - ص:
إقّيس ـــ إقيص ـــ قص.
ولقد انتقل التضعيف من قاف إقيس إلى صاد قصّ.

٤٥- **أفـارا – الريف** : الأرض التي بها نبات وخصب وتجمع في الفصحى على أرياف وبقلب الحروف بتغيير أماكنها : أفارا ــ أرافا ــ أريفا ــ الريف .

٤٦- **أدار – الـــدار** : في المازيغية البيت العظيم، أما في العربية فيطلق على البيت بصفة عامة .

٤٧- **إرزم – رجـــم** : في المازيغية فتح والزاي فيها تنطق مفخمة، وفي الشحرية يعني عكس ذلك أي غطّى وأغلق (من الأضداد)، بتعاقب الزاي المفخمة والجيم المجهورة :
إرزم ــــ إرجم ــــ رجم .

٤٨- **إزرا – شـنـي** : بتعاقب الزاى المفخمة والشين التي تنطق نطقًا جانبيًا، وبتعاقب الذلقيين ر – ن : إزرا ــــ إشرا ــــ إشنا ــــ شني معنى اللفظين في المازيغية والشحرية هو رأى .

٤٩- **إشـــا – تيء** : أكل الطعام، وفي المازيغية هناك مرادف آخر هو إتشا، وفي الشحرية فعل الأمر هو (تا) بتعاقب ش – ت :
إشا ــــ إتا ــــ تيء .

٥٠- **داتاك – تيتيك** : أمامك، واللفظ المازيغي (دات) يعني أمام وفي الشحرية (تيتيك) تعني أمامك إلى الأعلى، كأن يكون الشيء على ربوة صغيرة قدامك، أو على رف فوق مستوى النظر، وذلك كله بتعاقب النطعيين د–ت : داتاك ــــ تاتاك ــــ تيتيك .

٥١- **أفـود – الأمت** : الارتفاع العارض في أرض مستوية بتعاقب الشفويين ف – م، والنطعيين د – ت : أفود ــــ أمود ــــ أموت ــــ الأمت، وللتوضيح فإن الفعل (مات) بمعنى هلك في العربية له مرادف آخر هو (فاد)، وذلك بتعاقب ف – م، ت –د .

٥٢- **أمومّو – البؤبؤ** : إنسان العين بتعاقب الشفويين : م – ب، وبتسهيل الهمز في البؤبؤ : أمومو ــــ أبوبو ــــ أبؤبؤ ــــ البؤبؤ .

٥٣- **تامنقلا – المقلة** : في المازيغية تعني بؤبؤ العين، والتقارب واضح في المعنى بين البؤبؤ والمقلة، ونون تامنقلا زائدة .

٥٤- **إمغاوّان – المغو** : مواء أو صياح القط، واللفظ المازيغي جاء بصيغة الجمع، وعند حذف أداة الجمع يغدو اللفظ إمغاو.

٥٥- **إسماقل - مقل** : نظر، رأى، إس زائدة في الفعل المازيغي وهي تماثل (إس) الزائدة في الفعل الذي على وزن استفعل في الفصحى، وللفظ المازيغي مرادف آخر هو إسموقل، وبعد حذف الأحرف غير الأصلية من الفعل المازيغي يتضح الأمر على النحو التالي:
إسماقل ــــ ماقل ــــ مقل.

٥٦- **أكوس - الكأس**: في المازيغية هو الطاس الذي يشرب فيه ويدعى المكوك، والتقارب واضح بين اللفظين لا يحتاج منا إلى توضيح.

٥٧- **أمازول- الباسل**: الشجاع، بتعاقب الشفويين م - ب، والصفيريين ز-س:
أمازول ــــ أبازول ــــ أباسول ــــ الباسل.

٥٨- **إدول - إدور** : رجع، عاد وبتعاقب الذلقيين ل - ر نجد أن الكلمتين متماثلتان، وفي الفصحى صار تعني عاد، وذلك بتعاقب ص- د:
أ- إدول ــــ إصول ــــ إصور ــــ صار.
ب- إدور ــــ إصور ــــ صار.

٥٩- **إزري - إصار** : النظر، البصر، في المازيغية إزري النظر وفي الشحرية إصار، بتعاقب الزاي المفخمة والصاد: إزري ــــ إصري ــــ إصار.

٦٠- **يانّاي - رأى** : شاهد، بتعاقب الذلقيين ن-ر: يانّاي ــــ يارّاي ــــ راي ــــ رأى. ومصدر الفعل المازيغي هو (إنّي : الرؤية).

٦١- **أفروهّو- الفرح**: البشاشة في المازيغية، بتعاقب الحلقيين هـ - ح، والشفويين ف - م:
أفروهّو ــــ أفروحّو ــــ فروحّو ــــ الفرح، ومعنى البشاشة يقترب كثيراً من الفرح.

٦٢- **بـاب - بـال** : تماثل بعل في الفصحى وفي اللهجة الشحرية، وكلمة وعل في السبئية، ولا تخرج هذه الكلمات الأربع عن معاني السيد الشريف، رب الأسرة، مالك الشيء وصاحبه.

٦٣- **أبكباك-البقباق**: الثرثار، الكثير الكلام، بتعاقب اللهويين ك - ق، والفعل الماضي منه إبكبك في المازيغية وبقبق في العربية.

٦٤- **تايوالت - اللاء**: أولاد الغنم والمعز والبقر في المازيغية واللاء في الفصحى تعني البقر، واللأى هو الثور أو البقرة، وفي الشحرية البقرة تدعى

لي وفي الصومالية لو، وآرون تعني الغنم في الشحرية وفي الصومالية أريو، بتعاقب الذلقيين ل-ر:

أ- آرون ـــ آلون ـــ آلو ـــ اللاء (النون زائدة).

ب- أريو ـــ أليو ـــ اللاء.

ج- تايوالت ـــ وال ـــ اللاء.

(حذفت الأحرف غير الأصلية في اللفظ المازيغي).

٦٥- **إزكّم - زجم** : في المازيغية: سكت عجزاً، وفي الشحرية: أغلق فمه ضامّا شفتيه، وذلك كله بتعاقب ك - ج اللذين يتعاقبان في الكلام بسهولة، ومثال على ذلك في الفصحى (الكراء - الإجار):

إزكّم ـــ إزجّم ـــ زجم (الجيم مجهورة).

٦٦- **أوركّت - ركت**: في المازيغية: سار على رجليه، وعند الظفاريين ركت تعني وطئ بقدمه أو بقدميه، والمعنيان متقاربان.

٦٧- **ألس - إنسّي** : في المازيغية تعني الرجل، وفي الفصحى الآدمي ومؤنثه إنسية بتعاقب الذلقيين ل- ن:

ألس ـــ أنس ـــ أنسي ـــ الإنسيّ (المنسوب إلى الإنس وهم البشر).

٦٨- **أرجاز - الركز** : في المازيغية الرجل مطلقًا (الجيم مجهورة)، وفي الفصحى الرجل الشهم أو الطيّب، وإذا كان أرجاز مشتق من إرجز بمعنى ترجل أي نزل وسار على رجليه والرجل في الفصحى مشتق من الترجل أيضاً مثلما يرى ذلك الأستاذ محمد شفيق، فإن كلمة ركت بمعنى وطئ في الدارجة الظفارية واللهجة الشحرية تقابل كلمة إرجز بمعنى ترجل في المازيغية وذلك بإبدال الجيم كافًا، والزاي تاء (إرجز ـــ إركت ـــ ركت)، وعلى هذا فإن الرجل في المازيغية في معناه الأصلي الماشي أو الواطئ، وفي الفصحى في معناه الأصلي السائر على قدميه، وفي كلا التخريجين تتضح عروبة اللفظ المازيغي.

٦٩- **أكومبو- الكمّة**: وهناك مرادف آخر في المازيغية وهو أكونبو وتعني الطاقيّة التي توضع على الرأس، بتعاقب الشفويين ب-م في اللفظ الأول،

وتعاقب ن-م، ب-م في اللفظ الآخر، والكمة بميم مضعفة تعني الطاقية في الدارجة العمانية:
أ- أكومبو ـــ أكومو ـــ الكمَة.
ب- أكونبو ـــ أكومبو ـــ أكومو ـــ الكمّة.

٧٠- **تـــورو – إرات** : ولدت الأنثى، واللفظ الشحري ينطق مفخماً لذا يكتبه البعض إروت بدلا من إرات.

٧١- **تاشلت – الصلّ**: الحيّة الخبيثة أو أخبث ما يكون من الأفاعي، وفي الفصحى (بكسر الصاد) الصل هو أخبث الأفاعي، وما زلنا في ظفار نطلق على تلك الحيّة السوداء القصيرة السريعة الحركة التي تقتل من ساعتها اسم الصل، وذلك كله بتعاقب ش – ص وهما صوتان يتعاقبان بسهولة في الكلام:
تاشلّت ـــ تاصلّت ـــ الصل.

٧٢- **تغزميت-غزميت**: انفكاك العظم، في الشحرية غزميت وفي الدارجة الظفارية الغزمة والمعنى هو انفكاك العظم، والزاي مفخمة في الكلمة المازيغية.

٧٣- **إغــرا – قـــرأ** : طالع الكتاب، بتعاقب غ – ق اللذين يتعاقبان بكل يسر وسهولة في الكلام: إغرا ـــ اقرأ ـــ قرأ.

٧٤- **أجّــان – إدري** : الصعود، في المازيغية، وفي الشحرية إدري تعني صعد، فكلا اللفظين الشحري والمازيغي يؤديان معنى الارتقاء والطلوع، وذلك بتعاقب الجيم المجهورة والدال، والذلقيين ن-ر:
أجّان ـــ أدّان ـــ أدّار ـــ إدري.

٧٥- **ؤدم – الدمّــة** : في المازيغية تعني الوجه، والدمّة في الدارجة الظفارية، ودمّت في الشحرية تعنيان ملامح الوجه، فنسمع في دارجتنا: عرفت أنه ولدك من دمته أي عرفت فلاناً أنه ابنك من ملامح وجهه التي تشبه ملامحك. والتاء في الدمة غير أصلية فهي أداة تأنيث، حيث إن الكلمة مؤنثة تأتي بمعنى السحنة.

٧٦- **تاجاريت-جيلليت**: الرصاصة، وأجاري في المازيغية الطلقة النارية، وفي الشحرية الرصاصة والطلقة النارية: جيلليت، بتعاقب الذلقيين ل-ر،

والجيم مجهورة في الاثنتين:
تاجاريت ـــ تاجاليت ـــ تاجيلليت ـــ جيلليت،
والغريب أن البارود والرصاص والأسلحة النارية حديثة الظهور، فلماذا استخدمت اللهجات المازيغية واللهجة الشحرية لفظًا مختلفًا عن لفظ الرصاص والبارود في العربية، فما هو يا ترى المعنى الأصلي للجذر (جر) في المازيغية والجذر (جل) في الشحرية ثم استحال إلى معنى مجازي هو الرصاصة أو الطلقة النارية، وذلك لوجود ترابط بين المعنيين؟

٧٧- **أزاغار - السهل:** المطمئن من الأرض، بتعاقب الزاي المفخمة والسين، وتعاقب غ-هـ، والذلقيين ر-ل:
أزاغار ـــ أساغار ـــ أساهار ـــ أساهال ـــ السهل.

٧٨- **أسياف-السيف:** السهل المنخفض، أي المطمئن من الأرض، وفي العربية السيف ساحل البحر ويجمع على أسياف، والمعنيان متقاربان.

٧٩- **أدربال - زرفال:** مفرد في المازيغية بمعنى الثوب البالي، وفي الشحرية بمعنى الثياب البالية، بتعاقب د-ز، والشفويين ب-ف:
أدربال ـــ أزربال ـــ أزرفال ـــ زرفال.

٨٠- **أمرور - الفور:** في المازيغية نوع من أنواع الظباء وفي العربية الفور هي الظباء وهو جمع لا مفرد له من لفظه وفي الفصحى أيضًا الفرير والفرار ولد البقرة والماعز والنعجة، وقيل ولد الوحشية من الظباء، بتعاقب الشفويين م-ف:
أ- أمرور ـــ أفرور ـــ الفور.
ب- أمرور ـــ أفرور ـــ أفرار ـــ الفرار.
ج- أمرور ـــ أفرور ـــ أفرير ـــ الفرير.

٨١- **تاداوت - شا:** الظهر، وفي اللهجة الشحرية شا (تنطقه مفخمة) بتعاقب د-ش يعني الظهر، وبعد حذف الزوائد في الكلمة المازيغية يتضح المعنى على النحو التالي:
تاداوات ـــ تاشاوات ـــ شا، والدأي في الفصحى هو فقر الظهر.

٨٢- **يومـــان – بـان :** ظهر، وضح، بتعاقب الشفويين م-ب:
يومان ــــ يوبان ــــ بان.

٨٣- **إسغسغ-شعشع:** تلألأ، بتعاقب س-ش، والحلقيين غ-ع:
إسغسغ ــــ إشغشغ ــــ إشعشع ــــ شعشع.

٨٤- **تامكرا- المفكّر:** العبقري في المازيغية، وهو يقابل المفكر والمبتكر في العربية، من الفعل الماضي فكّر وابتكر، وذلك بتعاقب الشفويين م-ف، والشفويين م-ب، مع ملاحظة أن تاء ابتكر غير أصلية:
أ- تامكرا ــــ تافكرا ــــ فكّر (المفكر).
ب- تامكرا ــــ تابكرا ــــ ابتكر (المبتكر)ولا يمكن لنا أن نتجاهل كلمة المكّار من المكر وهي أقرب إلى الكلمة المازيغية لفظيّا، وكل الألفاظ السابقة لا تخرج عن معنى الاختراع والابتداع والدهاء والعبقرية.

٨٥- **إدفـــر -دفـــر :** في المازيغية دفعه بعنف وهي كذلك عند عرب ظفار وعمان وقد تكون عند شعوب الخليج العربي، وزفر في الدارجة الظفارية تؤدي إلى نفس المعنى وذلك بتعاقب د-ز.

٨٦- **إدمـــز – دفـش :** دفعه بعنف، وفي الدارجة السورية دفشه دفعه، فالدفش عند الشوام هو الدفع على إطلاقه، أما عند عرب ظفار فالدفش هو الضرب بعنف وذلك كله بتعاقب الشفويين م-ف، وتعاقب ز-ش:
إدمز ــــ إدفز ــــ إدفش ــــ دفش.

٨٧- **إركس – ركت :** في المازيغية تعني الوطء الشديد أو الوطء على عمومه، وركت ظفارية (في الدارجة وفي الشحرية وقد تكون في لهجات ظفار الأخرى) تعني وطئ، والمصدر في الدارجة الركت والركيت، وفي الشحرية إركتين، بتعاقب س-ت:
إركس ــــ إركت ــــ ركت ــــ الركت.

٨٨- **يولس – نشي :** عاود، بتعاقب الذلقيين ل-ن، وتعاقب س-ش بين اللفظ المازيغي واللفظ الفصيح:
يولس ــــ يونس ــــ يونش ــــ نشي.

٨٩- **تابرات- البروة:** في المازيغية الرسالة عامة، أما عند الظفاريين والعمانيين فإنها تعني: الرسالة الرسمية أو الحكومية الخاصة بقضايا المواطنين، وخصوصاً ما يتعلق بالمنازعات والشكاوي، فهي تنسحب على هذا الأساس على أوراق محضري الإعلانات التي يقومون بتوصيلها إلى أطراف الخصومة كي يمثلوا أمام القضاء بالتاريخ المحدد في تلك «البروة».

ولقد سمعتها في مسلسل إماري (نسبة إلى دولة الإمارات العربية) بمعنى أوراق ملكية أرض.

٩٠- **تافروت - اللّثم:** السيف، بتعاقب الشفويين ف-م، والذلقيين ر-ل:

تافروت ـــ تامروت ـــ تاملوت ـــ ملو ـــ لوم ـــ لثم.

٩١- **إلـغـن - نـغـل** : في المازيغية كان لئيماً، واللئيم أملغون، وفي الشحرية النغل هو اللئيم وتستخدم كثيراً في الشتائم وصب اللعنات على المغضوب عليهم، أما معناها الأصلي كما هو معروف في الفصحى وفي بعض اللهجات الدارجة فهو ابن السّفاح، وحدث هنا قلب مكاني على النحو التالي: إلغن ـــ غنغل ـــ نغل.

٩٢- **أكشف-خسف:** في المازيغية كان لئيماً، وانكشاف هو اللئيم وأيضًا الديوث، وفي الدارجة العمانية وفي لهجة الشمال الشرقي تعني المأبون، وكلا اللفظين المازيغي والعربي يتفقان في المعنى على من لا شرف له، بتعاقب ك-خ، وتعاقب ش-س، وتعاقب الشفويين ف-ب وتعاقب الياء والواو ثم تغيير ترتيبهما:

أكشف ـــ إخشف ـــ إخسف ـــ الخسف.

٩٣- **إوسّر - السن** : في المازيغية شاخ، وفي العربية السن هو العمر، والمسن: الشيخ، وأسن الرجل أي كبر، وفي الشحرية سنين تعني المسن، بتعاقب الذلقيين ر-ن:

إوسّر ـــ إوسّن ـــ وسّن ـــ أسنّ.

٩٤- **إرد - ارتـدى** : لبس الثوب، والتقارب واضح بين اللفظين، وهناك مرادفات أخرى في اللهجات المازيغية هي: إيرد، إرض، يرض، وبتعاقب د-ض وهما صوتان يتعاقبان بكل يسر في الكلام، بل إن عرب المغرب

الأقصى يميلون بالضاد إلي الدال في نطقهم، حتى إن السامع أحيانًا (لكلمة رمضان مثلا) يحسبها نطقت رمدان، وعرب الصومال ينطقون الضاد دالا، فالأبيض الأبيد والضأن دأن.

٩٥- **إلباض – اللّبدة** : في المازيغية اللباس الخشن من صوف، وفي الفصحى اللبدة هي الشعر المجتمع على زبرة الأسد، واللبد قد يكون بساطًا من شعر أو صوف أو وبر.

٩٦- **إزدح – سدح** : صرعه، وبمعنى خاص صرعه ضاربًا به الأرض، بتعاقب ز–س، فهي في الفصحى وفي الشحرية وفي الدارجة الظفارية سدح: صرع: إزدح ــــ إسدح ــــ سدح، والمصدر في المازيغية أزدّيح وفي الدارجة الظفارية السديح وكذلك السدح.

٩٧- **أخاموش–أعبيس**: في المازيغية تعني الزكام، وفي الشحرية أعبيس: أصابه الزكام، والزكام في الشحرية أعياس (بالياء بدلا عن الباء) واختفاء صوت الباء واستبداله بصوت من أصوات المد ظاهرة في اللسان الشحري، ولاحظتها في اللسان المازيغي، تعاقب الحلقيين خ–ع، والشفويين م–ب، وتعاقب ش–س: أخاموش ــــ أعاموش ــــ أعابوش ــــ أعابوس ــــ أعبيس.

٩٨- **إسكر – شرك** : فعل، عمل (في المازيغية والشحرية)، بتعاقب س–ش وتغيير ترتيب الأحرف: إسكر ــــ إشكر ــــ إشرك ــــ شرك.

٩٩- **أديدا–الضوضاء**: الجلبة والصياح، بتعاقب د–ض:
أديدا ــــ أضيضا ــــ أضيضاء ــــ الضوضاء.

١٠٠- **إغويا – العواء** : الجلبة والضوضاء، بتعاقب الحلقيين غ–ع:
إغويا ــــ إعويا ــــ العواء، والمعنى بين الجلبة والعواء واضح في الصياح والصوت العالي.

١٠١- **إلغدودي–الرغد**: كان ليّنا، وفي الفصحى الرغد من العيش، اللين، والرغدة بضم الراء والغين تعني في الدارجة الظفارية الميوعة والليونة، فالرغدي هو الرجل المائع الذي يشبه النساء في حركاته وتصرفاته، والرغيدة أكلة ظفارية ناعمة الملمس ليّنة وسهلة المضغ والهضم، وفي الشحرية رغض (بتعاقب د–ض) كل ما

كان ليّنًا من مأكل وملبس وغيره، وتطلق على الرجل الناعم كنعت قبيح له، وللمقابلة بين المازيغي والعربي يتضح المعنى الواحد بينهما على النحو التالي:

أ - إلغدودي ــ إرغدودي ــ رغدود ــ الرغد (تعاقب ل-ر وتكرار الدال في المازيغية).

ب- إلغدودي ــ إرغدودي ــ إرغضوضي ــ رغضوض ــ رغض (تعاقب ل- ر، د- ض).

١٠٢- **إرتوتم - رطب** : كان ليّنًا، والمعنى المشترك بين الليونة والرطوبة واضح، بتعاقب النطعيين ت-ط وتعاقب الشفويين م-ب: إرتوتم ــ إرطوطم ــ إرطوطب ــ رطب.

١٠٣- **دار - تال** : بمعنى لدن، عند، (ظرفا مكان)، وهناك مرادف آخر لتال في الشحرية هو تل، التاء فيها تميل إلى الكسرة، تعاقب النطعيين د-ت والذلقيين ر-ن: دار ــ تار ــ تال.

١٠٤- **يوزم - زم** : في المازيغية ذكره بسوء (الزاي فيها مفخّمة)، وفي الدارجة الظفارية زمّ على فلان أي عابه وعايره وسخر منه، نقول في دارجتنا: لا تزم على الناس، فإن قالها المُساء إليه فهو يهدد من يسيء إليه بالكلام، أما إن قالها طرف ثالث فهو يعاتب المسيء على فعلته تلك، وذلك كله بتعاقب الزاي المفخمة والزاي العادية، وفي الفصحى وبعض اللهجات العربية الدارجة ذمّ: ذكره بسوء والمصدر منه الذم، بتعاقب ز-ذ: يوزم ــ يوذم ــ ذم.

١٠٥- **بار - البار** : تأتي بمعنى الحرف المشبّه بالفعل المختص بالممكن الذي لا وثوق بحصوله، وبمعنى حرف الترجي لعل، في الدارجة الظفارية تضاف أداة التعريف للكلمة المازيغية فتصير البار، أما في الشحرية فهي إبر التي تنطق مفخّمة، نقول في دارجتنا: انصح ولدك ولو هو عنيد، البار يسمع كلامك، ونقول: سير دوّر على خدمة، البار تلاقي شي، أي اذهب وابحث عن وظيفة أو عمل ما، علك تجد ما تسعى إليه.

١٠٦- **تيزيري–دينوت**: الأنثى جاءها المخاض، وفي الشحرية حبلت الأنثى، وللمازيغي مرادف آخر هو تزّيرت، بتعاقب ز–د، وتعاقب الذلقيين ر–ن:
تيزيري ـــ تيديري ـــ تيديني ـــ ديني ـــ دينوت،
والتاء في الفعل الماضي الشحري للتأنيث.

١٠٧- **يوزداو – الزدو**: في المازيغية امتد الشيء أي طال في المكان أو الزمان، وفي الفصحى الزدو (وكذلك السدو) هو المد في السير وخاصة الإبل، ومد اليد نحو الشيء، والسير في الليل، والمعنيان متقاربان كما هو جلي.

١٠٨- **أماراغ – المالح**: في المازيغية تعني الماء الشديد الملوحة، وفي العربية المالح صفة للشيء المملح، والمالح عند أهل ظفار السمك المملح «الفسيخ»، بتعاقب الذلقيين ر–ل والحلقيين غ–ح:
أماراغ ـــ أمالاغ ـــ أمالاح ـــ مالاح ـــ المالح.
أما إن كانت ميم (أماراغ) غير أصليّة ستكون (راغ) وبإبدال ألف المد واواً ثم قلب الكلمة مكانيّا ستغدو (غور) وهو الماء الشديد الملوحة في الفصحى.

١٠٩- **أستو – السدى**: بتعاقب النطعيين ت–د، مع ملاحظة أن الهمزة في المازيغي مضمومة، والهمزة المضمومة التي يتبعها واو في اللسان المازيغي يكتبها صاحب المعجم العربي الأمازيغي (ؤ)، وبتعاقب النطعيين ت–د: أستو ـــ أسدو ـــ السدى.

١١٠- **إغار – جرى**: ركض، بتعاقب غ–ج، وهما يتعاقبان بصورة ملحوظة في الكلام: إغار ـــ إجار ـــ جار ـــ جرى.

١١١- **تاضوفت–الصوف**: العهن، بتعاقب ض–ص:
تاضوفت ـــ تاصوفت ـــ صوف ـــ الصوف.

١١٢- **إكشم – قشم**: في المازيغية: دخل، وفي الفصحى: «قشم في بيته قشمًا: دخل» هكذا وردت الجملة بالنص في معجم لسان العرب، بتعاقب اللهويين: ك–ق اللذين يتم الإبدال بينهما بكل يسر، وهو شائع جدًا في اللسان الواحد وفي الألسنة المختلفة.

١١٣- **تاغازامت-القصبة:** في المازيغية تعني البيت من المدر أو الحجر وجمعها تيغزمين، وفي الفصحى القصبة هي القرية أو وسطها وقيل البلد أو وسطه، وكذلك القصر وقيل جوف القصر، وقيل جوف الحصن، وكل ذلك بتعاقب غ-ق والصفيريين ز-ص:
تاغازامت ـ تاقازامت ـ تاقاصامت ـ تاقاصابت ـ القصبة.

١١٤- **رض - ضـغـرر** : الصياح والبكاء في المازيغي والشحري، قلب مع تكرار حرف الراء: إغرض ـ إضغر ـ إضغرر.

١١٥- **أغيـول - العير** : الحمار أهليًا كان أو وحشيًا، بتعاقب الحلقيين غ-ع والذلقيين ل-ر: أغيول ـ أعيول ـ أعيور ـ العير.

١١٦- **إفـشـر - فـشـر** : افتخر بما ليس عنده، وكذلك الفعل فشر في بعض اللهجات الدارجة في المشرق العربي يؤدي إلى نفس المعنى ومنه اشتق اسم الفشّار للمدعي الكذاب.

١١٧- **أجضرور-القترة:** الغبار في المازيغية، وفي الفصحى القترة هي الغبار الذي يكون خلف الجيش في زحفه، تعاقب الجيم المجهورة والقاف وض-ت: أجضرور ـ أقضرور ـ أقترور ـ القترة.

١١٨- **إغص- عضيض:** العظم، من عظام الجسد، بنفس المعنى في المازيغية والشحرية، تعاقب الحلقيين غ-ع، وتعاقب ص-ض:
إغص ـ إعص ـ إعض ـ عضيض.
وفي المازيغي يقال للهيكل العظمي أيضاً إغص.

١١٩- **إسـار - صـار** : حدث الأمر، بتعاقب الصفيريين س- ص.

١٢٠- **أغنّو - الحنو** : الشفقة، وفي الفصحى الحنو والحنان هو الشفقة، بتعاقب الحلقيين غ-ح: أغنو ـ أحنو ـ الحنو.

١٢١- **إسـول - شنّ** : كرّ على العدو في القتال، بتعاقب س-ش والذلقيين: ل- ن:
إسول ـ إشول ـ إشون ـ الشنّ.

١٢٢- **إفوهري - إبغير:** تجاسر في المازيغية وفي الشحرية إبغير تعني هجم على فلان بنية ضربه، بتعاقب الشفويين ف-ب، والحلقيين هـ-غ.

١٢٣- **أغاروس - غار** : البئر العميقة في الأمازيغية، وفي الشحرية غار وتنطق مفخمة هي البئر، والسين زائدة في اللفظ الأمازيغي.

١٢٤- **إنغَل - إنغل** : سفح الدمع في الأمازيغية وفي الشحرية إنغل سفح العرق مع نطق الغين فيها ممالا إلى الكسرة، والمرجح أن الأصل في الجذر (ن-غ-ل) هو الانصباب بمعناه العام وأخذته المازيغية لانصباب الدمع، والشحرية لانصباب العرق.

١٢٥- **أدرار - الطور** : الجبل، بتعاقب النطعيين د- ط : أدرار ـــ أطرار ـــ الطور، والراء في المازيغي مكررة.

١٢٦- **إسوسو-صفصف**: صات العصفور، وفي الفصحى صفصف العصفور: صات، بتعاقب الصفيريين س- ص، والشفويين و-ف :
إسوسو ـــ إصوصو ـــ إصفصف ـــ صفصف.

١٢٧- **إنسغ - إنشق** : صفر بالنفخ من الشفتين، والمصدر منه إنصاغ (بالصاد بدلا عن السين)، وفي الشحرية التصفير هو إناشقات، وصفر: إنشق، وذلك كله بتعاقب س-ش، وتعاقب غ-ق :
إنسغ ـــ إنشغ ـــ إنشق.

١٢٨- **أناس - النحاس**: معدن النحاس، أسقط صوت الحاء من الكلمة :
أناس ـــ أنحاس ـــ النحاس.

١٢٩- **إغورّد - حرد** : قوي، وفي الشحرية حرد : قوي، بتعاقب الحلقيين غ-ح :
إغورد ـــ إحورد ـــ حرد.

١٣٠- **أسيم - الصيفة** : الشحم المذاب، وعند عرب ظفار يقال لزيت الحوت عامة وزيت العيد (السردين) خاصة : الصيفة، بتعاقب الصفيريين س-ص، وتعاقب الشفويين م-ف :
أسيم ـــ أصيم ـــ أصيف ـــ الصيفة.

١٣١- **إرس - هرت** : الشيء جاء ونزل من عل، وفي الشحرية هرت تؤدي نفس المعنى، بتعاقب الحلقيين الهمزة والهاء، وكذلك السين والتاء :
إرس ـــ هرس ـــ هرت وتعاقب صوتي السين والتاء ملحوظ في الكلام.

١٣٢- **إنادا - ناض** : ذهب في البلاد، بتعاقب د-ض: إنادا ـــ نادا ـــ ناضا ـــ ناض.

١٣٣- **أهلاقًا- الهلوفة**: اللحية الضخمة الكثيرة الشعر، واللفظ والمعنى واحد في المازيغي والعربي.

١٣٤- **أبخان – الفاحم**: الأسود، بتعاقب الشفويين ب–ف، وتعاقب الحلقيين خ–ح، وتعاقب ن–م: أبخان ـــ أفخان ـــ أفحان ـــ أفحام، فحام: الفاحم وهو الأسود، نقول في الفصيح شعر فحم أى أسود.

١٣٥- **أسجان–السخمة**: الأسود بتعاقب الجيم المجهورة والخاء وتعاقب النون والميم: أسجان ـــ أسخان ـــ أسخام ـــ السخمة، والسخام هو سواد القدر.

١٣٦- **إمي – الفـــو** : الفم، بتعاقب الشفويين م–ف، إمي ـــ إفي ـــ في ـــ فو.

١٣٧- **إفشّش – فـاش** : افتخر وتكبر، والتقارب واضح بين اللفظين المازيغي والفصيح معنًى ومبنًى.

١٣٨- **إدغدغ – دقدق** : دق الشيء الرخو، وفي الدارجة الظفارية دقدق، دق الشيء الرخو وغير الرخو، ويستخدم اللفظ للضرب أيضًا فيقال دقدقت فلانًا، أي ضربته، وفي الدارجة المصرية تنطق دغدغ كالنطق المازيغي، وتعني الضرب المبرح، فيقال: **دغدغه** أي أشبعه ضربًا، وذلك كله بتعاقب غ–ق:
إدغدغ ـــ إدقدق ـــ دقدق.

١٣٩- **إلكاك–الركاكة**: وهن، ضعف في بدنه أو عمله وأمره، ولها مرادف آخر: إلكوك، وفي الفصحى ركيك ضعيف من الركاكة، وذلك كله بتعاقب الذلقيين ر–ل: إلكاك ـــ إركاك ـــ الركيك.

١٤٠- **أفض – فـيـض** : العدد العديد وجمعه أفض، (ويستعمل بمعنى الآلاف) وفي الفصحى الفائض الزائد، وفاض الشيء يفيض: زاد عن حده، (كفيضان النهر) فالمعنيان في الكلمتين المازيغية والعربية لا يخرجان عن معنى الكثرة.

١٤١- **أمركو– المتمرغ**: المتسخ والوسخ، ويقال في الفصحى المتمرغ في التراب أو الممرغ: أمركو – أمرغو ـــ مرغ ـــ الممرغ. وذلك بتعاقب ك–غ.

١٤٢- **أشّلقوم–الزلقوم**: برطيل الكلب ونحوه، وفي الفصحى هو الزلقوم، بتعاقب الشين والزاي: أشلقوم ـــ أزلقوم ـــ الزلقوم.

١٤٣- **إرجرج– جرجر**: صاح الفحل، بتعاقب الجيم المجهورة والمعطشة مع حدوث قلب مكاني: إرجرج ـــ إجرجر ـــ جرجر.

١٤٤- **إجريس-الجنس**: الماء الجامد، بتعاقب الذلقيين ر-ن، والجيم في (إجريس) مجهورة: إجريس ــــ إجنيس ــــ الجنيس.

١٤٥- **أرا - الــــورى**: الجيل (مفرد أجيال)، وفي الفصحى الورى: الخلق، الناس. وفي الشحرية أيا (تنطق مفخمة) تعني الناس، بتعاقب الهمزة والواو فيما بين المازيغي والفصيح وتعاقب الراء والياء فيما بين المازيغي والشحري:

أ- أرا ــــ الورى (فصيحة).

ب- أرا - أيا (شحرية).

١٤٦- **تافوناست-اللفت**: البقرة، وفي الفصحى أيضًا يقال لها اللفت بتعاقب الذلقيين ن-ل، وتعاقب س-ت وحذف الزوائد غير الأصلية من كلمة (تافوناست) وهي: تا + تاء التأنيث الملحقة بآخر الكلمة: تافوناست ــــ فوناس ــــ فولاس ــــ فولات ــــ لوفات ــــ لفت.

١٤٧- **إفركض-تبركض**: المذبوح يمحص برجليه، وفي دارجتنا الظفارية نقول: تبركض للمعنى الآنف، ولكل من يتلوى ألمًا فيمحص برجله من شدته، وتقال أيضًا للذي يمحص برجله بعد أن يقع مغشيًا عليه من شدة الضحك، بتعاقب الشفويين ف-ب وحذف التاء غير الأصلية من الكلمة الظفارية:

إفركض ــــ إبركض ــــ بركض.

١٤٨- **إلولو - التوى**: ماد الغصن ونحوه، وهي التوى في الفصحى.

١٤٩- **إنشف -تناشف**: تناتف الشعر أو الريش، بتعاقب ش-ت:

إنشف ــــ إنتف ــــ تناتف.

١٥٠- **أزيت - الصوت**: بتعاقب الصفيريين ز- ص، وتعاقب الياء والواو:

أزيت ــــ أصيت ــــ أصوت ــــ الصوت.

١٥١- **إكمر - كرب**: ضاق، بتعاقب الشفويين م-ب، وحدوث قلب مكاني:

إكمرت ــــ أكرم ــــ أكرب ــــ كرب.

١٥٢- **إفتك - فتك**: طعنه طعنة واسعة، وهو من الفتك في الفصحى، وفي المازيغية الفتك عن طريق الطعن وهو معنى خاص، وفي الفصيحة الفتك يكون بجميع الطرق وهو معنى عام.

١٥٣- **أغرضا - الجرذ** : الفأر، وفي الفصحى الجرذ هو الفأر، ونحن في ظفار لا نستخدم إلا لفظ الجرذ، أما الفأر فلا يستخدمها إلا المتفاصح المتشدق، بتعاقب غ-ج، وتعاقب ض-ذ:
أغرضا ـــ أجرضا ـــ أجرذا ـــ الجرذ.

١٥٤- **إشنخر - شخّر** : صوّت بأنفه، وبتطبيق قانون المخالفة نجد أن صوت الخاء الأولى في العربي تحول إلى نون في الأمازيغي:
شخّر ـــ شنخر ـــ إشنخر، وفي الشحرية: إنخرير.

١٥٥- **إخرب - خلب** : خلب بظفره أي خدش أو جرح، بتعاقب الذلقيين ر-ل:
إخرب ـــ إخلب ـــ خلب.

١٥٦- **إقبش - قبص** : في الفصحى مسك أو تناول الشيء بأطراف أصابعه وفي الأمازيغية خلب بظفره، وفي الدارجة الظفارية، قرصه، بتعاقب ش- ص: إقبش - إقبص: قبص، والتقارب فيما بين الخدش بالظفر والقرص والإمساك بأطراف الأصابع واضح لا يحتاج إلى زيادة لإيضاحه.

١٥٧- **إمغاد - الأوغاد**: الأوباش، ومفردها أمغيد، تعاقب الشفويين م-و:
إمغاد ـــ إوغاد ـــ أوغاد: الأوغاد.

١٥٨- **أجرجور-غرغارات**: الطيّة تحت الذقن من سمن بتعاقب ج-غ، وهما صوتان يتعاقبان بشكل واضح في اللسان الواحد وما بينهما الألسن المتعددة،والتاء في الكلمة الشحرية للتأنيث وتنطق غرغارات نطقًا مفخمًا، وهي في الفصحى الغرغرة، والجيم مجهورة في الكلمة المازيغية:
أجرجور ـــ أغرغور ـــ غرغور ـــ غرغروت.

١٥٩- **تاناست -الشن**: الطاس يشرب به، وفي الفصحى هو الشنّ، وفي المثل العربي (وافق شن طبقة) أي وافق الشن غطاءه، بتعاقب:
س ـــ ش مع قلب الأحرف:
تاناست ـــ تاسانت ـــ تاشانت ـــ شان ـــ شن.

١٦٠- **أجغوض-جعود**: فصيل الناقة، وفي الفصحى بالقاف بدل الجيم المعطشة في المازيغية أو الجيم المجهورة في لهجات عربية كثيرة في المشرق

العربي من ضمنها اللهجات الظفارية، وبتعاقب الجيمين المجهورين وكذلك تعاقب الحلقيين غ - ع وتعاقب ض - د:
أجغوض ـــ أجعوض ـــ أجعود ـــ الجعود (القعود).

١٦١- **تاداوات-الدد**: ومرادفها الآخر تادويت، والمعنى: اللهو واللعب وفي الفصحى هو الدد: اللهو واللعب.

١٦٢- **إدحي - دعّ**: دفعه وفي الفصحى دع: دفع بتعاقب الحلقيين ح - ع:
إدحي ـــ إدعي ـــ دع وبتعاقب النطعيين ت - د مع تعاقب الحلقيين ح - ع وفقًا للكلمة إتحي المرادفة في المازيغية لكلمة إدحي: إتحي ـــ إدحي ـــ إدعي ـــ دع.

١٦٣- **أسري - السر**: الدعارة، الزنا، وفي الصفحى السرّ: الزنا وكذلك الجماع.
وكلا اللفظين يماثلان لفظ الزنا: وذلك بتعاقب الصفيريين س- ز، والذلقيين ر - ن:
أ - أسري ـــ أزري ـــ أزني: الزنا.
ب - السر ـــ الزر ـــ الزن: الزنا.

١٦٤- **إترّ - تلى**: أحبه ورغب إليه، وعند عرب ظفار تلى الشيء يتليه، رغب إليه وأراده (بالألف المقصورة): إتر ـــ إتل ـــ تل ـــ تلى.

١٦٥- **تانوغوت-إنعيت**: حلمة ضرع الناقة أو البقرة، وفي الشحرية هي ضرع البقرة أو الناقة بتعاقب الحلقيين اللذين يتعاقبان في الكلام بيسر وهما الغين والعين: تاناغوت ـــ تاناعوت ـــ تاناعيت ـــ إنعيت.

١٦٦- **إدون - ظنّ**: خمّن، بتعاقب د - ظ. إدون ـــ إظون ـــ ظن.

١٦٧- **تاكمّيت- الجنبيّة**: الخنجر (بتشديد الميم) واللفظ مؤنث وعند عرب جنوب شبه الجزيرة العربية ما عدا عرب عمان يأتي لفظ (الجنبية) بمعنى الخنجر وينطق غالبًا الجمبية بإبدال النون ميما، وفي الشحرية الخنجر هو (جنبيت) بتعاقب ك - ج، تعاقب الشفويين م - ب:
تاكميت ـــ تاجميت ـــ تاجمبيت: الجمبيّة (الجنبية).

١٦٨- **أسالا - الأصل**: محض النسب، الأصل، بتعاقب الصفيريين:
أسالا ـــ أصالا ـــ الأصل.

١٦٩- **إغـال - خـال:** ظنّ، بتعاقب الحلقيين غ - خ:
إغـال ـــ إخـال: خـال، وفي الشـحـرية كـال تعني خـاله (تنطـق مفخمـة) وذلك كلـه بتعاقب الأصـوات الثلاثـة غ (إغال)، خ (خال)، ك (كال).

١٧٠- **غـيلا - حـالا:** الآن دون تأخيـر، وفي الفصـحى (حالا) يؤدي نفس المعنى، بتعاقب الحلقيين غ - ح، وتعاقب صوتي اللين الياء والألف:
غيلا ـــ حيلا ـــ حالا.

١٧١- **تيحروفوشين-الخرابيش:** وهي بصيـغة الجمع في المازيغية والعربيـة بتعاقب الحلقيين (ح- خ) والشفويين ف - ب:
تيحرفوشين ـــ تيخرفوشين ـــ تيخروبوشين ـــ الخرابيش.

١٧٢- **أكرفو- الخراب:** بتعاقب ك - خ، وبتعاقب الشفويين ف - ب:
أكرفو ـــ أخرفو ـــ أخربو ـــ الخراب.

١٧٣- **إكنـا - إجنـين:** إنحنى، وفي الشحرية إجنين: إنحنى، بتعاقب ك - ج وهـما يتـعـاقـبـان بشـكـل بين في الكلام. وفـعل الأمـر في الشـحـرية (أجنّ):
إكنا ـــ إجنا ـــ إجنين.

١٧٤- **إسجدل-جادل:** جاوبه وراجعه الكلام وحاوره، وفي الفصيح جادل، والسين زائدة في اللفظ المازيغي، وجيمه مجهورة:
إسجدل ـــ إجدل ـــ جدل ـــ جادل.

١٧٥- **إحضا - حـاط:** حـفظه وصـانه وتعـهده. وفي الفـصـحى حـاط وحوّط بـنفس المعنى، وبتعـاقـب ض - ط: إحـضـا ـــ إحطا ـــ حـاط، ولا ننـسى حظا (بتـعـاقب ض - ظ): بمعنى صـار ذا مكـانة ومـقـربة، والمحظيـة المرأة المقـربة من بعلهـا المحسن إليـهـا، و(إحـضـا) دخل إلى الدارجـة المغـربيـة بنفس المعنى وينطق (حضا).

١٧٦- **إرغوت - نقظ:** غضب على، وفي الشحرية نقظ تعني غضب عليه معاتبًا أو لائمـًا وفي الدارجـة الظفـارية تصـبح نقـد بالدال بدل عن الضاد، وفي الفصحى البنقد والانتقاد، وكل هذه الألفاظ ذات

معنى متقارب، وذلك كله بتعاقب الذلقيين ر - ن وتعاقب غ
-ق وتعاقب ت - ظ وتعاقب النطعيين ت - د :
أ - إرغوت ــ إنغوت ــ إنقوت ــ أنقوظ ــ نقظ (شحرية) .
ب - إرغوت ــ إنغوت ــ أنقوت ــ انقود ــ نقد
(دارجة وفصيحة) .

١٧٧- **إكيض - اغتاظ**: غضب على، وهي في الفصحى اغتاظ من الغيظ، بتعاقب ك- غ، وتعاقب ض - ظ :
إكيض ــ إغيظ ــ اغتاظ .

١٧٨- **إزغ - دعّ** : نهر - طرد، وفي الفصحى دعّه: دفعه وطرده طرداً عنيفاً، ومن ذلك قول المولى عز وجل في سورة الماعون ﴿ فَذَلِكَ الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ ﴾. أي يعنفه انتهاراً، بتعاقب الزاي المفخمة والدال.

١٧٩- **أمقال- مقرارت**: العجز مؤخر الشيء، أما في الشحرية تلفظ (مقررات) معناه عجز الإنسان
أ - أمقال ــ أمقار ــ مقررات، بتعاقب الذلقيين ك - ر، وتكرار الراء وإضافة تاء التأنيث .

١٨٠- **أكابوب-الأقب**: العجز اليابس المهزول، وفي الفصحى الخصر الضامر الهزيل، وضمور الخصر هو القبب .
وذلك كله بتعاقب اللهويين ك - ق :
أكابوب ــ أقابوب ــ الأقب، ففي الأمازيغية هو الضمور في العجز، وفي الفصيح هو الضمور في الخصر .

١٨١- **أغنّو - الحنو**: الشفقة، وفي الفصحى الحنو والحنان وذلك بتعاقب الحلقيين غ - ح : أغنّو ــ أحنّو ــ الحنو .

١٨٢- **أفريغ - الفارع**: الطويل المضطرب من الناس والخيل والرماح، بتعاقب الحلقيين: غ - ع : أفريغ ــ أفريع ــ الفارع .
(ونسمع في الفصحى تعبير فارع الطول) .

١٨٣- **تاكازات-الخصية**: بتعاقب ك - خ وتعاقب الزاي المفخمة والصاد :
تاكازات ــ تاخازات ــ تاخاصات ــ خاصات ــ الخصية .

١٨٤- **أقلاو - القراقر**: الخصية، وفي لهجات الخليج العربي تأتي كلمة (القراقر) بصيغة جمع لا مفرد له من جنسه، بمعنى الخصية الواحدة فأكثر، بتعاقب الذلقيين ك - ر، وتكرار صوتي القاف والراء: أقلاو ـــ أقراو ـــ أقرار ـــ القراقر.

١٨٥- **إغرغر - غرغر**: تغرغر بالماء وغيره من السوائل، والتطابق واضح بين اللفظين شكلا ودلالة.

١٨٦- **أساكو - سكت**: الغرارة، والتاء تاء التأنيث في الكلمة الشحرية، وتنطق في بعض المناطق في جبال ظفار كست، وفي الدارجة الظفارية (كيسة مؤنث كيس) كنوع من أنواع الغرارة أو هي الغرارة نفسها.

١٨٧- **أخنا - آخر**: الاست، العجز، وفي الشحرية العجز يقال له آخر، بتعاقب الذلقيين ن - ر: أخنا - آخنا - آخرا - آخر. وفي الدارجة الظفارية يقال للعجز الموخّر - بتسهيل الهمزة على الواو - وفي الفصحى المؤخّرة، واللفظ مؤنث في الفصيح مذكر في الدارج الظفاري. وفي الدارجة القطرية الخر هو الاست أو العجز، وقد تكون موجودة في اللهجات الخليجية الأخرى لفظًا ومعنى.

١٨٨- **إسكورمت-كرفت**: سجنه، وتاكورمت هو السجن (إس) غير أصلية في الفعل، وفي الدارجة الظفارية نقول كرفت بمعنى أمسك وقيّد، بتعاقب الشفويين م - ف، وحذف الزائد في الفعل الماضي المازيغي: إسكورمت ـــ أكورمت ـــ كورفت ـــ كرفت ـــ، والتقارب في المدلول بين الحبس والإمساك لا يحتاج إلى شرح.

١٨٩- **أكرض - جرد**: حلق الشعر، وهي في الفصحى كذلك، الرجل أجرد أي حليق الرأس، وكذلك يؤدي اللفظ إلى ذات المعنى عند عرب ظفار (باجرد شعاري) سوف أحلق شعر رأسي كله.

١٩٠- **إنشف - إنشب**: خدش، وفي الفصحى أنشب أظافره أو أنشب البازي مخالبه في الفريسة، أي علقها ولم تنفذ، والتقارب الدلالي بين الخدش العام وبين الخدش الخاص بالأظافر والمخالب واضح ها هنا. والتقارب اللفظي واضح أيضًا بتعاقب الشفويين ف - ب، وتعاقبهما شائع في الكلام: إنشف ـــ إنشب ـــ أنشب.

١٩١- **أقرقور - القرة:** وفي الفصحى القرة، وهي كذلك في الدارجة العمانية، أما لهجة الشمال الشرقي فيطلق على الضفدع أو الضفدعة كرة، وهناك مرادفان آخران لكلمة أقرقرور في الأمازيغية وهما: أجرو، أمقرقور. ولا يحتاج الأمر إلى أدنى شرح أو توضيح التقارب بين هذه الألفاظ.

١٩٢- **أجرد - قارد:** صوت الباكي أو المغني أو القارئ، وتعني كذلك الحلق، ويفرق بين المعنيين حسب السياق. وفي الشحرية قارد، تعني الصوت البشري، وكذلك الحلق (مصدر الصوت) ويفرق بينهما حسب السياق، بل إن الحلق بمعناها الحقيقي وهو ذلك العضو في جسم الإنسان بالإضافة إلى معنى مجازي آخر له وهو الصوت الذي يصدر منه، موجود في دارجتنا الظفارية نقول: (حلق فلان زين) بمعنى أنه صاحب صوت جميل (وطبق شغنون في حلق فلان) أي بقي في حلقه عظم صغير بعد أن أكل سمكًا، وعظام السمك الدقيقة يقال لها شغانين.

١٩٣- **أماتا - الأمّة:** عامة الناس - أكثرهم، وفي الفصحى هي الأمة، ونحن في ظفار نقول أمة الله، بمعنى أناس كثير، ويحذف لفظ الجلالة أحيانًا فنقول ضمن تعابيرنا الدارجة: «سرت للعرس ولاقيت أمة هناك»، أو «لاقيت أمة من الناس» وكلا التعبيرين بمعنى الكثير من الناس.

١٩٤- **يوسّ - يحسو:** يوس، يوسس، يسوا، هذه الألفاظ الثلاث تعني شرب الماء، ويقول الدكتور محمد سعيد القشاط في كتابه القيم «التوارق عرب الصحراء الكبرى» أن اللفظ الأمازيغي يقابل حسا يسحو بمعنى شرب يشرب في العربية، وإما أن يكون ذلك بإسقاط صوت الحاء من الأمازيغية أو بإبداله سينا، وتعاقب الحاء والسين ويرد في الكلام بشكل ملحوظ.

١٩٥- **تانكات-تنكات:** في الفصحى نفس المعنى وهو العلبة من الصفيح وفي دارجتنا الظفارية هي التنكة وجمعها التنك، أما الشحرية فتنطقها تنكات أو تنكت وجمعها تنك، والكلمة موجودة في اللهجات العربية الدارجة الأخرى.

١٩٦- **أشرّاف-الشارف:** في المازيغية: السحاب الرفيق المرتفع (معنى خاص) وفي الفصحى الشارف أي شيء مرتفع (معنى عام).

١٩٧- **تاميزارت-المصّر:** بتعاقب الزاي المفخمة مع الزاي العادية، في المازيغية تعني الغطاء الذي ترتديه المرأة «الطرحة» عند عرب مصر. والمصّر عن عرب ظفار وعرب الصومال وعرب عمان هو غطاء الرأس وفقًا للرجل، وهو الذي يدعى بالكوفية عند الشعوب العربية، وفي الدارجة العمانية اشتق منه الفعل تمَصر بمعنى تعمم أي لف العمامة علي رأسه.

١٩٨- **أفاجو - فيقا:** الرداء واللباس، بتعاقب القاف والجيم المجهورة، في الشحرية الرداء هو فيقا: أفاجو ــــ أفاقو ــــ أفيقا ــــ فيقا (تنطق مفخمة).

١٩٩- **يوشكا- إشّيك:** في المازيغية: ذهب في البلاد وقد تفيد على حسب السياق الذهاب أو المجيء، وفي الشحرية تأتي بمعنى: «هج» أو ذهب متسكعًا في الشوارع أو ذهب لا هدف له إلا تمضية الوقت.

٢٠٠- **إجرِميض-القمدر:** الطويل من الناس، بتعاقب: ج - ق، ض - د:
إجرميض ــــ أقرميض ــــ أقرميد ــــ أقمريد ــــ القمدر.

٢٠١- **أقردال- القمدر:** الطويل من الناس: بتعاقب (ل - م):
أقردال ــــ أقردام ــــ أقمدار ــــ القمدر.

٢٠٢- **تابوت-الطابوق:** في المازيغية الطين، يكبس في قالب ويبنى به السور، والطابوق في ظفار وفي عمان، وقد يكون في بلدان الخليج بنفس المعنى: الإسمنت يكبس في قالب ويبنى به الجدران والمنازل ونحو ذلك، وذلك كله بتعاقب النطعيين ت-ط وتعاقب ت-ق.

٢٠٣- **إسكيزي-زقزق:** غرد العصفور بتعاقب الصفيريين س - ز واللهويين ك - ق وحذف القاف الأخيرة:
اسكيزي ــــ ازكيزي ــــ أزقيزي ــــ زقزق.

٢٠٤- **توزجوت- الزج:** بتعاقب الزاي المفخمة والزاي العادية والمعنى في المازيغي: الرائحة الكريهة والنتنة، وفي العربية: الغائط وخاصة فضلات الإنسان، ولفظ (الزج) منتشر في لهجات الخليج العربي المعاصرة بالمعنى المذكور.

٢٠٥- **تابوغت- غوب**: قلب مكاني أي حدث تغير في ترتيب الحروف:
تابوغت ـــ تاغوبت ـــ غوب، وفي المازيغي يعني الرائحة النتنة وفي الشحرية هو الغائط وخاصة فضلات الإنسان. وجاء في (اللسان) أغبّ اللحم وغب إذا أنتن، وفي حديث الغيبة: «فقاءت لحماً غابًا، أي منتناً...» وينطق اللفظ الشحري مفخماً ويكتب «غوب» وأحيانًا (غب) بضم على الغين.

٢٠٦- **أخاتار - المختار**: سيد القوم وكبيرهم، الزعيم - الرئيس، واشتق العرب الشوام اسم (المختار) من الفعل اختار، وهو بمثابة العمدة في بلدان وقرى مصر، وهناك في لهجات بلاد الشام الدارجة كلمة الختيار تعني الشيخ المسن. والعلاقة بين الشيخوخة وبين الرئاسة والمكانة المرموقة علاقة واضحة، فأمغار تحمل المعنيين في الأمازيغية. ويفرق بينهما بحسب السياق، والشيخ عند عرب الجزيرة العربية وخاصة عرب الخليج يحمل معنى سيد القوم أو القبيلة، أو صاحب المكانة الرفيعة في مجتمعه، وفي الفصحى تحمل معنى كبير السن.

٢٠٧- **أرمروم - رمرام**: لهيب النار - السعير، وفي الدارجة العمانية حطب رمرام تعني حطب صالح جدًا لإشعال النار وبقائها مشتعلة مدة طويلة. (هكذا سمعتها من شاب عُماني ولم أتيقن من حقيقة اللفظ).

٢٠٨- **إكحيّ - كحّ**: الفعل كح يكح في لهجات الخليج العربي الدارجة وكذلك في الدارجة المصرية، وقد يكون في لهجات دارجة أخرى بمعنى: سعل يسعل، والكحة هو السعال في تلك اللهجات: «دوا الكحة» أي دواء السعال.

٢٠٩- **إنزغ - نزغ**: اجذب، بتعاقب الحلقيين غ - ع:
إنزغ ـــ إنزع ـــ نزع.

٢١٠- **إنّغل - إنغيل**: سفح الدمع، وفي الشحرية إنغيل سفح العرق والمرجّح أن الأصل في الجذر (نغل) هو الإنصباب بمعناه العام واختصته الأمازيغية لانسكاب الدمع والشحرية لانسكاب العرق.

٢١١- **إسموزر – مصل:** ذرق الطائر وسائر الحيوان، بحذف (إس) غير الأصلية في الكلمة يصير الفعل الماضي موزر وفي الدارجة الظفارية وكذلك اللهجة الشحرية مصل تؤدي إلي نفس المعنى، بتعاقب الزاي المفخمة والصاد، والذلقيين ر – ل:
إسموزر ـــ موزر ـــ موصر ـــ موصل ـــ مصل.

٢١٢- **أشنتوف-المشنتف:** الشعر الأشوع، وفي الظفارية تشنتف شعاره: شوع رأسه، وصاحب الشعر الأشوع يقال له المشنتف وقد تطلق على هيئة الإنسان عامة خاصة لباسه، ويفرق بين المعنيين حسب السياق.

٢١٣- **إجم – شّف:** تشوق واشتاق، وفي الظفارية والشحرية شف: رغب بالشيء واشتاق إليه، ويقال أيضاً: اشتف، والشّفة هي الرغبة والميل، وذلك بتعاقب الشجريين ج – ش، وأيضاً الشفويين م – ف:
إجم ـــ إشم ـــ إشف ـــ شف ـــ اشتف.

٢١٤- **إعزا – عصى:** خرج عن الطاعة وهي في الفصحى عصى، بتعاقب الزاي المفخمة والصاد: إعزا ـــ إعصا ـــ عصى.

٢١٥- **إحّرق – خنق:** غضب – سخط، بتعاقب الذلقيين ر – ن:
إحّرق ـــ إحنق ـــ حنق.

٢١٦- **إكيس:** صار داهية وخبيث، اتصف بالدهاء وفي الفصحى الكيّس الذكي الداهية، والمصدر الكياسة.

٢١٧- **إغوغ – عقّ:** خرج عن الطاعة والفصحى عق: خرج عن طاعة والديه والمصدر العقوق، بتعاقب غ – ق:
إغوّغ ـــ إعوّغ ـــ إعوّق ـــ عق.

٢١٨- **توسيست-الشّصو:** الشدة، بتعاقب س – ش والصفيريين س – ص:
توسّيست ـــ توشيست ـــ توشيصت ـــ شيّص ـــ الشّصو.

٢١٩- **إفلا – فلّ:** انشق والمثل العربي المشهور (لا يفل الحديد إلا الحديد) يؤدي إلى معنى انشقاق أو كسر الحديد بوساطة الحديد، وفي العربية فرفر الشيء: كسره، بتعاقب الذلقيين ل – ر، وتكرار الفاء، وفي المازيغية مرادف آخر لكلمة إفلا وهو إفلي.

٢٢٠- **إشلخ - إنشرخ:** انشق وفي الفصحى الشرخ هو الشق بتعاقب الذلقيين ل - ر، وفي الدارجة العمانية والخليجية شرخ الورق (براء مضعفة وغير مضعفة) يعني مزقها وهذه الأفعال في الفصيحة والدارجة: شرخ، انشرخ وتشرخ تؤدي إلى معنى الانشقاق والتمزق:

إشلخ ـــ إشرخ ـــ شرخ.

٢٢١- **أغرف - العرب:** الجيل من الناس، وكلمة العرب عند البدو الذين يتكلمون الظنية (وهي إحدى اللهجات الظفارية) لا تعني العرب كجنس، وإنما يقصد بها الناس أيًا كان عنصرهم، بتعاقب الحلقيين غ -ع، والشفويين ق - ب:

أغرف ـــ أعرف ـــ أعرب ـــ العرب.

وتعني (أغرف) أيضًا القبيلة العظيمة، وفي لهجة الشمال الشرقي عندما تسأل: ويش من العرب أنت؟ إنما تسأل عن قبيلتك ليس غير.

٢٢٢- **يوزل - سرى:** سرى الدواء أو السم، بتعاقب الصفيريين: ز - س، وتعاقب الذلقيين ل - ز: يوزّل ـــ يوسل ـــ يوسر ـــ سرى.

٢٢٣- **أحماجّو-الجحيم:** لهيب النار، النار المشتعلة، وفي الفصحى هي الجحيم، قلب مكاني: إحماجو ـــ أجحامو ـــ أجحيمو ـــ جحيمو ـــ الجحيم.

٢٢٤- **أغاد - الوقاد:** النار المشتعلة، لهب النار، والفصحي الوقاد: المشتعل، تعاقب غ - ق.

٢٢٥- **أزنفر-الشنفرى:** غلظ الشفتين وبروزهما، وفي الفصحى الشنفرى هو الرجل الغليظ الشفتين، وذلك بتعاقب ز - ش: أزنفر، أشنفر، ويقال لفظ الشفتين في الفصحى الشفترة، والمشفر هو شفة البعير وهي غليظة بارزة، تجمع على مشافر.

٢٢٦- **تازاقا - السوق:** الدكان «الحانوت» وفي الفصحى السوق، وهو يتكون من العديد من الدكاكين، بتعاقب الصفيريين ز - س:

تازاقا ـــ تاساقا ـــ ساقا ـــ السوق.

٢٢٧- **أزرداب-السرداب:** المكان العميق الذي لا ينفذ إليه الضوء، بتعاقب الصفيريين ز - س: يكون اللفظ المقابل للمازيغي في الفصحى هو السرداب.

٢٢٨- **إركس - ركت**: داس الشيء، وفي الدارجة الظفارية واللهجة الشحرية ركت: داس الشيء، وطء بقدميه بتعاقب س - ت، وهما يتعاقبان في الكلام بوضوح:
إركس ــــ إركت ــــ ركت.

٢٢٩- **إنم - رئـــم**: ألف وأحبّ، والفصحى رئم تؤدي نفس المعنى، بتعاقب الذلقيين ن - ر، وقلب مكاني للحروف:
إنم ــــ نئم ــــ رئم.

٢٣٠- **يـانّـاي - رأى**: شاهد، بتعاقب الذلقيين ن - ر، وتسهيل الهمزة:
يانّاي ــــ ياراي ــــ يارأي ــــ رأي

٢٣١- **إسكاف-شخف**: ارتشاف الماء ونحوه، وفي الشحرية شخف: ارتشف اللبن، بتعاقب س - ش، وتعاقب ك - خ:
إسكاف ــــ إشكاف ــــ إشخاف ــــ شخف، فاللفظ في الأمازيغية له مدلول عام وفي الشحرية مدلول خاص.

٢٣٢- **إردغ - رصـــع**: طعنه، وفي الفصحى رصع تعني طعن، بتعاقب د - ص، والحلقيين: غ - ع:
إردغ ــــ إرصغ ــــ إرصع ــــ رصع، ويتعاقب صوتي الصاد والدال في الكلام كثيراً ومن أمثلة ذلك الإبدال:
١ - حاد عن الطريق، وحاص عنه، أي انحرف.
٢ - إدور في الشحرية رجع وفي المازيغية إدول، وفي الفصحى صار: رجع.

٢٣٣- **أفرنفر- منفرفر**: الريح التي لا تستقيم في هبوبها، وفي الشحرية يقال للشخص الطائش المضطرب الكثير الحركة والذي لا يستقيم على حال: منفرفر، والتقارب في المعنى واضح بين الكلمتين.

٢٣٤- **تاكنيفت-الكبّن**: الرغيف، وفي الفصحى الكبّن هو الخبز، بتعاقب الشفويين ف - ب مع قلب الحروف:
تاكنيفت ــــ تاكفينت ــــ تاكبينت ــــ الكبن.

٢٣٥- **إفـــل - فـــلّ**: زال وتباعد عن المكان وذهب، وفي دارجتنا فلَّ بلام مضعفة تعني باعد خوفاً أو ضيقاً أو غضباً. وفلل فلان بفلان، جعله

ينزح أو يبتعد، ولقد سمعت شيخًا يذكر عهد السلطان السابق ويعبر عنه بعبارة: «فلّل بالناس» أي جعلهم يهاجرون ديارهم طلبًا للرزق وهربًا من الأوضاع السيئة التي كانت سياساته سببًا لها، وفي الشحرية «إفلل» تؤدي نفس المعنى.

٢٣٦- **إرنا - نما**: زاد، بتعاقب الذلقيين ر - ن، وتعاقب النون والميم:
إرنا ـــ إنما ـــ نما.

٢٣٧- **إبضا - مضى**: فارقه وباينه، والفصحى مضى بمعنى ذهب وذلك كله بتعاقب الشفويين ب - م: إبضا ـــ إمضا ـــ مضى.

٢٣٨- **إرجم - رجم**: شتمه شتمًا وجيعًا، وفي الفصحى رجمه: لعنه، والشيطان الرجيم أي الشيطان اللعين. وتنطق الجيم في المازيغية معطشة ومجهورة ها هنا، وفي اللسان الظفاري الدارج واللسان الشحري رغم بمعنى أساء القول عن فلان في غيابه أو حضوره، وذلك كله بتعاقب ج - غ:
إرجم ـــ إرغم ـــ رغم.

٢٣٩- **إرعام - النعم**: الجمل، البعير، وله مرادف آخر هو ألغم، وفي الفصحى النعم بتحريك العين وتسكينها هي الإبل، ويجمع على نعمان، وذلك كله بتعاقب الذلقيين ر - ن:
إرعام ـــ أنعام ـــ النعم، وتجمع أرعام على إرعمان، ولها مرادف آخر هو ألغم كما ذكرنا، وبتعاقب الذلقيين ن - ل، والحلقيين غ - ع: ألغم ـــ أنغم ـــ أنعم ـــ النعم.
ويسقط صوت العين من أرعام في مرادف آخر هو أرام.

٢٤٠- **إغرص - غرض**: تعني ذبح، وفي اللسان اليمني القديم تعني ذبح حيوانًا، وللفظ اليمني مرادف آخر هو رضع بالعين المهملة بدلاً من العين المعجمة، وتغير في ترتيب الأحرف، وبتعاقب ص - ض اللذان يتعاقبان في الألسن بوضوح يكون الأمر على النحو التالي: إغرص ـــ إغرض ـــ غرض.

٢٤١- **إيدغ - إدع**: علم، عرف، بتعاقب الحلقيين غ - ع مع إشباع حركة الكسر في الفعل المازيغي: إيدغ ـــ إيدع ـــ إدع (شحرية).

٢٤٢- **داتاك - تيتيك**: أمامك، قدامك، وأما في الشحرية فمعنى تيتيك أمامك إلى الأعلى، أي أن يكون الشيء الذي تنظره أو تبحث عنه قدامك، على ربوة أو على رف مكتبة مثلاً فيجب أن يكون أعلى من مستوى النظر، وذلك كله بتعاقب النطعيين د - ت، وصوتي اللين الألف والياء: داتاك ـــ تاتاك ـــ تيتيك.

٢٤٣- **إزبا - سبى**: أسر العدو، وفي الفصحى سبى يسبي، أسر يأسر، بتعاقب الصفيريين ز - س:
إزبا ـــ إسبا ـــ سبى.

٢٤٤- **أنودم - ينود**: أول النوم «النعاس» وفي الفصحى، ناد ينود، مال يميل من غلبة النوم عليه، وفي الشحرية هونود يعني النعاس، وفي لهجة الشمال الشرقي ينود تعني غشاه النعاس، والميم من الأحرف الزوائد ومن أمثلة زيادتها: الحلقوم فالأصل فيها الحلق، والصلدم للناقة الصلبة الشديدة، والأصل فيها الصلد أي الصلب.

٢٤٥- **أكيفل - كفل**: المأسور، السبي، من الفعل أكفل وفي الدارجة اليمنية الكفلة: الإمساك بالهارب أو إلقاء القبض عليه، يقال كفل فلان فلاناً يكفله كفلا وكفله إذا هو فعل ذلك.

٢٤٦- **إمرش - مرس**: سحق الحشرة وما أشبهها، وعند عرب ظفار مرس، تؤدي نفس المعنى في ألسنتهم بتعاقب: ش - س:
إمرش ـــ أمرس ـــ مرس.

٢٤٧- **أنالا - اللون**: السحنة أي الهيئة واللون، وفي الفصحى تقابل اللون وحدث تغيير في ترتيب الحروف:
أنالا ـــ ألانا ـــ ألان ـــ اللون، ويقال في اللهجات الخليجية أيش لونك في السؤال عن حالك، وذلك لارتباط سحنة الإنسان ولون بشرته بحاله وخاصة في العلة والصحة.

٢٤٨- **إرجل - رجم**: الجيم مجهورة في الكلمتين، أغلق الباب ونحوه، وفي الدارجة العمانية رجم: أغلق الباب ونحوه وذلك كله بتعاقب ل - م، وهذان الصوتان يتعاقبان في الكلام بشكل ملحوظ:
إرجل ـــ إرجم ـــ رجم.

٢٤٩- **إدرف – تــرف:** أسـرع في.. وفي الشـحرية هناك فـعل ترف بمعنى تقدم وقـد تأتي بمعنى سبق أو تـقدم على أو انتـصر على، وذلك حسب السياق، بتعاقب النطعيين د–ت: إدرف ـــ إترف ـــ ترف.

٢٥٠- **إتــرب – تــرف:** سـرع، وفي الشـحـرية (ترف) وقـد سـبق شـرح مـعـانيـهـا، بتعاقب الشفويين ف – ب: إترب ـــ إترف ـــ ترف، وفي بعض لهجات المغرب العربي مازلنا نسمع الجذر زرب بمعنى السرعة والإسراع والاستعجال، وهي كلمة عربية فصيحة.

٢٥١- **إيـنـش – نـشّـن:** سدّد الرمح أو البندقية ونحو ذلك من الأسلحة، وفي الدارجة الظفارية نشن تحمل نفس المدلول، وهي عند عرب مصر أيضًا لفظًا ومعنى.

٢٥٢- **إفــرفــر – فــرّ:** طار الطائر، وفر: طار الطائر ونحوه في اللهجة الشحرية وفرّ طار أيضًا في الدارجة العمانية، أما فرفر في الفصحى واللهجة الدارجة الظفارية واللهجة الشحرية فلا تخرج عن معنى الحركة والطيش وسرعة التحرك في نزق، وعدم السكون والركود.

٢٥٣- **إدّهشر – إدّهدر:** تردد في الضـلال، وفي الدارجـة العـمـانيـة وكـذلك الدارجـة الظفـارية تعني ارتبك وتردد، وفي الشـحـرية إندهدير تؤدي نفس المعنى، بتـعـاقب ش – د. وهـمـا يتـعـاقـبـان في الكلام كثيراً: إدهشر ـــ إدّهدر.

٢٥٤- **أجرجوم–الحلقوم:** الحلق، بتعاقب الجيم المجهورة مع الحاء، وتعاقبهما وارد في الكلام، وإن كـان قليل الوقـوع، وتعـاقب الذلقـيين ر – ل، وكذلك الجيم والقاف:

أجرجوم ـــ أحرجوم ـــ أحلجوم ـــ أحلقوم ـــ الحلقوم.

٢٥٥- **إحنحن–حمحم:** حمحم الفرس وغيره، تعاقب م – ن، وتعاقب الميم مع النوم كثـير الحدوث، فعرب الصومال ينطقون آدم (علم مذكر) آدن، والعلم المرفرف (علن مرفرف) والحكومة: حكونة.

٢٥٦- **إغـبــا – الغب:** عمق، وفي الفصحى الغبّة وسط عمق البحر، وفي الدارجة الظفـارية الغب هو عـمق البحـر ووسطه، ونقول في دارجتنا أيضًا غم بمعنى عميق (خاص بالماء)، وهنا حدث تعاقب بين صوتين شفويين هما الباء والميم: إغبا ـــ إغما ـــ غم.

٢٥٧- **أنوغ – المناغاة**: صوت الباكي والمغني والقارئ، وفي الفصحى النغية مثل النغمة وما يعجبك من صوت أو كلام، والمناغاة المغازلة، والمناغاة تكليمك الصبي بما يهوى من الكلام كما تناغي الأم صبيها، والمناغاة المحادثة، ونحن في دارجتنا الظفارية نقول غنغن بمعنى تهيأ للبكاء، ولم يعد كلامه واضحًا بسبب ذلك، بقلب نغنغ فتصير غنغن.

٢٥٨- **إلف – العفر**: الخنزير البري، وذلك بتعاقب الحلقيين الهمزة المكسورة والعين المكسورة وتعاقب الذلقيين ر – ل، وحدوث قلب مكاني: إلف ــــ علف ــــ عرف ــــ عفر. والهلبة بالفصحى هي شعر الخنزير البري الذي يخزر به، وجمعه هلب، من باب تسمية الجزء بالكل، ويتضح ذلك بتعاقب الحلقيين غ – هـ وتعاقب الشفويين ف – ب:
إلف ــــ هلف ــــ هلب ــــ هلبة. وفي الدارجة المصرية يقال للخنزير البري حلّوف.

٢٥٩- **إزم – العزّام**: الأسد، بتعاقب الحلقيين الهمزة والعين:
إزم ــــ عزم ــــ عزام ــــ العزّام.

٢٦٠- **أيراد – الورد**: الأسد، بتعاقب الباء والواو الشفويين:
أيراد ــــ أوراد ــــ الورد.

٢٦١- **أكوري – أجار**: العبد، وفي الشحرية أجار (تنطق مفخمة وجيمها مجهورة ومشددة) تؤدي إلى نفس المعنى، وذلك كله بتعاقب ك – ج:
أكوري ــــ أجوري ــــ أجّار.

٢٦٢- **إدّ – دأدأ**: سار، ذهب، وفي الفصحى: دأدأ الهلال إذا أسرع السير، ودأدأ فلان في أثر فلان: تبعه مقتفيًا أثره، ودأدأت الدابة: عدت عدوًا فوق العنق، وذلك بتكرار الدال والهمزة في الفصحى، وفي الشحرية غد تعني اذهب والماضي منه: أغد.

٢٦٣- **إلغ – ولغ**: ولغ الكلب، والمصدر في الفصحى هو الولغ والولوغ وفي المازيغية ألوغ.

٢٦٤- **إفـــري - الماور**: الكهف على إطلاقه في المازيغيـة، وفي اللهـجة الظنيـة وهي لهجة بدوية ظفارية الماور تطلق على نوع من أنواع الكهوف، بتعاقب الشفويين ف - م:

إفري ـــ إمري ـــ فاور ـــ مري ـــ ماور.

٢٦٥- **تامغليت-مخير**: العجز، الاست، وفي لهجة الشمال الشرقي وهي لهجة بدوية في الغالب، مخير تعني عجز الإنسان، بتعاقب الحلقيين غ-خ والذلقيين ل - ر: تامغليت - تامخريت - المخير.

عبدالعزيز سعيد الصويعي

التماشق والتيفيناغ
رصيد حضاري هام
وإرث ثقافي كبير
لكل العرب
من مشرق الوطن إلى مغربه



لا يحتاج الدارس لتاريخ الكتابة الليبية الأولى إلى الآلية التي استعملها كلٌّ من : (شامبليون) الفرنسي الذي فك رُموزَ الكتابة الهيروغليفية المصرية، و(غروتفند) الألماني الذي فك رُموزَ الكتابة المسمارية السومرية، بقدر ما يحتاج إلى تأمل الرسوم المنحوتة على الصخور وتخيل معانيها، ورغم أن تلك الصخور لم تحتو على كتابة بمفهومها الحرفي، إلا أن المستكشفين الفرنسيين يسمونها (Les pierres ecrités) أي الحجارة المكتوبة، استناداً على بعض النقوش التي تركها أجداد التوارق على الصخور. أما اللوحات المرسومة التي تعود إلى ما يزيد عن سبعة آلاف سنة من الآن فيمكننا تصنيفها في إطار ما يسمى بالكتابة التصويرية (Pictography)، ثم تطورت مع الزمن إلى أن بلغت مستوى الكتابة الرمزية (Logography)، ولكنها لم تصل إلى مرحلة الكتابة الأبجدية أو الألفبائية، باستثناء بعض المحاولات التي قام بها سكان وادي جبّارين (بالقرب من مدينة غات، جنوب ليبيا الحالية)، وتمثلت تلك المحاولات في اللوحات التي اكتشفها الفرنسي (هنري لوت)، الذي حدد عُمر محتوياتها بزمن ما قبل تأسيس الأسرات المصرية. وقد وجدنا أثراً شبيهاً بالهيروغليفية المصرية دون تمكننا من قراءته. ويشير اسم هذا الوادي (جبّارين) إلى أن سكانه كانوا من الكنعانيين (الجبابرة) القادمين - على ما يبدو - مباشرة من فلسطين. وبعد أن تصحرت منطقتُهم صعدوا إلى وادي النيل وسكنوا الدلتا والصعيد في الألف الرابع قبل الميلاد، وتركوا منازلهم لتصير - فيما بعد - مرتعاً خصباً للمستكشفين والعلماء ومتتبعي الحضارات الحجرية القديمة بكافة مراحلها.

بقي المؤرخون وعلماء الكتابات الشرقية وخبراء اللسانيات عاجزين عن الحديث عن أي نوع من الكتابات الليبية، إلى أن بدءوا ينقلون تاريخ الحروب البونيقية، فاضطروا للحديث عن الوجود الفينيقي في الشمال الأفريقي وبناء مدينة قرطاجة خلال القرن الثامن قبل الميلاد. ومن ثم تحدثوا عن استخدام قدماء الليبيين لكتابة أبناء عمومتهم من الكنعانيين القادمين من الشمال العربي. والمعروف أن الفينيقيين (الكنعانيين) هم أصحاب الكتابة الأبجدية الأولى في التاريخ الإنساني. وكان لهؤلاء الكنعانيين دور كبير في الشمال الأفريقي أكثر مما كان عليه حالهم في موطنهم الأصلي

بجبال لبنان، الشيء الذي أثار حفيظة روما التي كانت تبحث عن دور لها في المنطقة. فقامت بينها وبين قرطاجنة حروب عنيفة، عرفت تاريخيًا بالحروب البونيقية، وربما كان لتلك الحروب كبير الأثر في دمج الشعبين (الليبي والفينيقي) في بوتقة واحدة وشعب واحد أطلق عليه المؤرخون اسمًا مركبًا (ليبونيقي) ويختصر أو يخفف أحيانًا إلى (بونيقي) أو (بوني) وربما أسموه في فترة ما (القرطاجني) نسبة لعاصمتهم المشهورة، وهذا ما حصل أيضًا بالنسبة للغة والكتابة المتداولتين وقتذاك. فتحدثوا عن اللغة البونية والكتابة البونية اللتين كتبت بهما الوثائق وألفت الكتب.

من خلال ذلك ظهرت بعض بوادر الكتابة الليبية، عرفت بـ (الكتابة النوميدية). نسبة إلى تلك القبائل التي كانت منتشرة بالجزائر (حاليًا) والتي كان لها شأن سياسي وثقافي كبير خصوصًا في العهد البونيقي سالف الذكر. ويذكر أن أحد أغاليدها أو زعمائها وهو (ماسينيسا) أمر بتطوير تلك الحروف، وكانت قبله لا تزيد عن عشرة حروف، أطلق عليها اسم (تيفيناغ) ترجمه بعضهم إلى (المنزلة من عند الله) أو هكذا اعتقدها قدماء الليبيين والحروف العشرة هي (ن ل م ر س ي ت د ج ب) وتنفيذًا لأمر مسينيسا زيدت بعض الحروف، سميت (تيدباكن) ومعناها (الدليل على العمل والتوسع)، وهي خمسة حروف (و غ ق ك هـ) أضيفت إليها - فيما بعد - أربعة حروف هي (ز ث ش ومخرج صوتي بين السين والزاي). ثم أضيف حرف مهم يقابل الهمزة العربية التي تمنع الابتداء بساكن (وهي ظاهرة لهجية لا زالت تعاني منها اللهجات المغاربية عمومًا)، وأسموها (نقطة تاغريت). وقد حاولنا شرح هذه العبارات الثلاث، فكانت كما يلي:

أولا تيفيناغ: التي قيل أنها تعني (المنزّلة من عند الله): بعد إزالة تاء التأنيث وقلب الغين قافًا - على عادة العرب القدماء، مثل: (غرغرة = قرقرة، وغامر = قامر، وغُرة = قُرة، وغيرها) يصير لفظُنا هكذا: (فيناق) أو (فينق)، أي (الحروف الفينيقية) وليست المنزلة من السماء كما كان يُعتقد.

ثانيًا تيدباكن: والتي قيل أنها تعني (العمل والتوسع): بعد إزالة تاء التأنيث في أولها ونون الجمع في آخرها تصير هكذا: (يدباك) وهو لفظ يشبه اللفظ العربي (يؤدبك) لأن التصريف في بعض اللهجات الأمازيغية (يدب، أيدب، أيداب) يقابل تمامًا التصريف العربي (أدب، يؤدب، تأديبًا)، ولا زال المغاربةُ يسمون معلم القرآن

الكريم وكتابته (المدّب)، أي الذي يؤدب ويوسع مدارك الطلاب، وهو أيضًا مطابق للشرح المذكور: (العمل والتوسع).

ثالثًا تاغريت: التي هي (نقطة تمثل الهمزة): بعد إزالة تاءي التأنيث من أولها وآخرها تصير هكذا: (اغري)، وهو لفظ أمازيغي يصرف هكذا: (يغرو، يغّار، تغري)، وبعد قلب الغين قافًا للعلة المذكورة آنفًا يصير تصريفُه عربيًا هكذا: (قرأ، يقرأ، قراءة)، أي أن نقطة تاغريت تعني فعلا نقطة القراءة، وحقيقة إن كلا من الهمزة ونقطة تاغريت يسهل قراءة السواكن، وربما سُميت الهمزة همزة لأنها تهمز اللفظ الساكن وتلكزه لتخرجه من سكونه وانغلاقه فيُقرأ ويُسمع ويُفهم، والمفارقة الغريبة هنا أن الهمزة هي أول حرف في القرآن الكريم نزل من السماء في لفظ (اقرأ) كما لو كان قُدماء الليبيين ينتظرون حروفًا منزلة من عند الله منذ زمانهم ذاك! يا للعجب!

لا نعتقد أن قدماء الليبيين استعملوا فقط هذا العدد من الحروف، لأن الآثار المكتشفة لهذه الكتابة لم تكن على هيئة نصوص طويلة مثلما هو الحال بالنسبة للحروف البونيقية فكل ما عثر عليه لا يتعدى كتابات قصيرة على مشاهد القبور في الغالب، أهمها لوحة وجدت على قبر الإغليد النوميدي (ماسينيسا) بدقة بتونس، إذ يبدو أن كتابة التيفيناغ انتهت بانتهاء النفوذ النوميدي بالمنطقة، وبقيت آثارُها لوقتٍ ليس ببعيد عند التوارق، حيث كانت مجرد صنعة تحذقها النساء وبعض الخدم.

غير أن التيفيناغ الذي استعمله التوارق يختلف قليلا عن الكتابة النوميدية، وقد يعود السبب في ذلك - في رأينا - إلى واحد من هذين الأمرين الهامين التاليين:

١- إما أن تكون بوادر تلك الكتابة ظهرت في الجنوب، وذلك عندما تعرف الكنعانيون التجار على نفائس أفريقيا بواسطة قبائل الجرمنت، ثم صعدت كتابة (التيفيناغ) مع أصحابها إلى الشمال عبر طرق الهجرة المعروفة دائمًا (من الجنوب إلى الشمال، ومن الشرق إلى الغرب)، فاحتفظت مدينة جرمة (عاصمة الجرمنتيين) بآثار تلك الكتابة إلى الآن.

٢- وإما أن التوارق استطاعوا أن يطوروا الكتابة النوميدية، ربما استعاروا لها حروفًا من كتابة المسند اليمني عن طريق الحبشة، حيث وجدنا آثاراً أثيوبية على كتابة (التيفيناغ).

وهذا يقودنا إلى مسألة أخرى تتعلق بهوية الكتابة الليبية القديمة المتمثلة في

التيفيناغ التارقي :

نحن نعلم أن الكتابة العربية التي وصلت إلينا هي خلاصة تجارب أصحاب الحضارات العروبية القديمة التي ابتدأت مسيرتها الأولى عند السومريين والأكاديين وقدماء المصريين وغيرهم. وقد كان لسكان أوغاريت (قرب اللاذقية السورية) مهارة فريدة في استخراج حروف أبجدية مستقلة من مسماريات سكان ما بين النهرين. فقام الفينيقيون بتطويرها وتخليصها من أشكالها المسمارية المعقدة وغير الواضحة، ومثلوها برموز صوروها تصويراً مجرداً من الأشياء المعلومة عندهم، كالرأس واليد والعين والبيت والجمل والدلو وغيرها من الرموز التي بلغت عندهم (اثنين وعشرين حرفًا)، هذا في الشمال، أما في الجنوب فقد كان لقدماء اليمنيين طريقتهم الخاصة في اختراع الأبجدية المستقلة، إذ ظهر عندهم حرف المسند، وهو عبارة عن حروف أنيقة مسندة إلى بعضها البعض، بلغت (ثمانية وعشرين حرفًا) أي تزيد عن الكتابة الشمالية بستة حروف معجمة، وهي (ث خ ذ ض ظ غ)، أطلق عليها العرب اسم (الروادف) كاعتراف منهم بإضافتها إلى الحروف الفينيقية التي وصلتهم عن طريق الأنباط واستخدموها مجتمعة في خطوطهم التي انتشرت في شبه الجزيرة العربية عن طريق الأنبار، ومن بين تلك الروادف حرفُ الضاد، الذي سُميت به اللغة العربية ومُيزت عن غيرها من لغات العالم.

والملاحظُ على كتابة التيفيناغ التارقية المستمدة جذورُها الأولى من الكتابتين الشمالية (الفينيقية) والجنوبية (اليمنية) كما ذكرنا، أن معظم الروادف التي أضافها العرب إلى كتابتهم في العصر الجاهلي موجودة في التيفيناغ، وهي (خ ض ظ غ) أي أربعة من أصل ستة، وأهم ما يلفت النظر في هذه الإضافة أنها تحتوي على حرف الضاد الذي مُيزت به اللغة العربية.

ورغم بعض الاختلافات الطفيفة في نطق حروف التيفيناغ عن مثيلاتها العربية مثل الحاء التي تستبدل بحرف الخاء، فإن بعضها الآخر يتفق في نطقه مع اللهجات العربية التي هي في الأساس ظواهر لغوية أو عادات لهجية كانت سائدة عند عرب ما قبل الإسلام، مثل نطق الجيم (Ga) والظاء (Za). أما طريقة نطق الحروف العربية المنفردة هكذا: باء - قاف - ضاد - سين.. تنطق حروف التيفيناغ هكذا: يب - يق - يض - يس.. وهي أضمن طريقة في تبيان حقيقة المخرج الصوتي وإظهاره، حيث يُستعان

بحرف الياء كتمهيد للتركيز على الصوت وتأكيده، وهذه الطريقة نفسها نجدها في علوم تحفيظ تلاوة وتجويد القرآن الكريم والحفاظ على سلامة نطق حروفه، وهي استعارة حرف الألف لتأكيد وضوح المخرج الصوتي، هكذا: أبْ - أقْ - أضْ - أسْ.. ولا يوجد فرق صوتي كبير بين الألف (العربية) والياء (الأمازيغية).

هذا التطابق والتوافق والتشابه الكبير بين الكتابة الليبية القديمة والكتابة العربية الحالية قد لا نظفر بها بكل سهولة عند استطلاعنا أشكال وصور حروف التيفيناغ، فقد يشعر الإنسان - عند الوهلة الأولى - بفارق كبير بين أبنية حروف كلتا الكتابتين، ولكننا إذا عاملناها من زاوية مقارنتها بأشكال وصور الكتابات العروبية القديمة التي أخذت منها العربية صور كتابتها الحالية لوجدنا أنفسنا أمام دراسة معقدة تنتهي بنا إلى نتيجة أن حروف التيفيناغ تحتفظ بآثار قديمة لحروف كل من الفينيقية الكنعانية والهيروغليفية المصرية والمسند اليمني خصوصاً فيما يتصل بالأثر الأثيوبي الأمهري (أي الحميري) الذي يعطينا دلالة على أن شيئاً من هذه الحروف جاء مباشرة من اليمن عن طريق الحبشة. وقد يؤكد رأينا هذا عدم وجود هذه الآثار أساساً على الكتابة النوميدية التي كنا نعتقد أنها أسبق من التيفيناغ إلى التأثر بالفينيقية، وعلى هذا الأساس يمكننا تصنيف الكتابة الليبية القديمة إلى (شمالية = كتابة نوميديا) و(جنوبية = كتابة التوارق) تماماً مثلما صنف الأولون الكتابة العربية إلى (شمالية = كتابة فينيقيا) و(جنوبية = كتابة اليمن).

قد نتهم بالانحياز إلى الكتابة العربية والتشيع لأصالتها وتفوقها على حساب الكتابة الليبية القديمة، إلا أن الواقع الذي يفرض نفسه على الجميع يحتم علينا الاعتراف بأن الكتابة العربية التي وصلت إلينا بوضعها الحالي قد لقيت من العرب والمسلمين كل الرعاية والعناية والاهتمام بفعل الدين الإسلامي وكتاب الله العزيز ونبيه الكريم، فازدهرت وتحسنت وصارت قبلة العلماء والفنانين الذين قننوها وهندسوها وجودوها وحسنوها حتى حافظت على قوتها ومتانتها وجمالها منذ أن كتب بها المصحف الشريف في خلافة عثمان بن عفان إلى أن استقبلتها حواسيب العصر واستوعبتها بكل تركيباتها وأنواعها، بينما لم تحظ الكتابة الليبية القديمة بمثل هذا الزخم، فلم تشهد أي تطور يذكر إلى أن اندثرت وصارت وثيقة تاريخية، خصوصاً بعد دخول الإسلام إلى المغرب العربي، فاستعيض عنها بالحرف العربي، حتى التوارق -

وهم آخر من حافظت نساؤهم على التيفيناغ - تناسوه واستعملوا الحرف العربي في كتابة وثائقهم ومذكراتهم ورسائلهم التي كانت تصاغ عادة بلهجاتهم المحلية المعروفة بالتماشق.

وعلى ذكر لهجة التماشق التي تشتهر حاليًا بمصطلح (الأمازيغية)، ولا فرق هنا بين (تماشق) و(تمازغ) لأن البعض ينطق الزين شينًا والقاف غينًا بحسب اختلاف المواقع والمناطق - يمكننا - الآن - أن نعرج قليلا على هذه اللهجات، بعد أن تحدثنا عن أداتها المتمثلة في كتابة التيفيناغ، وهذه اللهجات العديدة والمتنوعة تعرف تاريخيّا باسم (اللغة الليبية القديمة) بحكم أن شمال أفريقيا أو ربما القارة بأكملها كانت تعرف - في زمن من الأزمان - باسم (ليبيا) ولهجات التماشق أو الأمازيغية التي تعد بالآلاف، كان لها أيضًا مع لهجات العرب قبل الإسلام صلات وثيقة وقواسم مشتركة متعددة على كافة الأصعدة اللغوية، وبصرف النظر عن الناحية اللفظية المعجمية التي تندرج ضمن علم اللغة المقارن واسع المجال، يمكننا - في هذه العجالة - أن نستشهد ببعض الظواهر اللغوية أو العادات اللهجية الشائعة بين العامة والتي تُظهر - ليس فقط أوجه الشبه بين ما كان متداولا في لهجات سكان شبه الجزيرة العربية سابقًا وبين ما هو متداول بين سكان الشمال الأفريقي حاليّا - بل تظهر الشيء نفسه بدون منازع، ونأخذ على سبيل المثال لا الحصر بعض الظواهر التي لم تُدرس بعد على حد علمنا:

١- **ظاهرة الوتم التي في ربيعة**: وهي جعلُ السين تاء أو العكسِ مثل: (النات) أي (الناس)، والمعروف في العربية أن التاء المربوطة تُنطق هاءً في حالة السكون، ويصيران من نفس الفصيلة، وتبعًا لظاهرة الوتم تُنطق الهاء المربوطة سينًا، مثل (بيتس) أي (بيتُه)، وفي بعض اللهجات الأمازيغية تُستبدل الهاء الأخيرة بسين أيضًا مثل (باباس وماماس وعيالس) أي (باباه وماماه وعياله) = (أبوه وأمه وعياله)، وهكذا للمؤنث.

٢- **ظاهرة الكشكشة التي في ربيعة ومضر**: وهي جعل كاف الخطاب شينًا، مثل (منش وعليش) أي (منك وعليك)، وفي الأمازيغية يقولون أيضًا (ماماش وباباش وعيالش) أي (أبوك وأمك وعيالك).

٣- **ظاهرة إبدال الزاي بغيرها**: والتي يقول فيها السيوطي: (ومن الزاي والصاد يقال: جاءتنا زمزمة من بني فلان وصمصمة، أي جماعة، ونشزت المرأة

ونشصت). وفي اللهجة العامية عموماً يقولون (ازغار، أي الصغار ومزدوم أي مصدوم ولزقة أي لصقة)، كذلك في الأمازيغية : (اتزاليت) أي الصلاة و (أزومي) أي الصوم و (أزعلوك) أي الصعلوك : الكبير.

٤- **ظاهرة الجمع** : وهي النون في العربية، وفي الأمازيغية تشمل النون كل أصناف الجمع، مثل : (إيّارن) أي الشهور، ومفردها (إيّار) = الشهر. (أجناون) = السماوات، ومفردها (أجنة) = السماء.

٥- **ظاهرة التثنية** : رغم أن التثنية الأمازيغية بعيدة عن التثنية العربية لأنها إما أن تكون متأثرة باللهجة العامية المغاربية عامة أو مؤثرة فيها، إلا أن لها شيئًا من التأثير اليمني القديم، لنر : في العامية نقول : (زوز رجالة = رجلان، وزوز نساوين = امرأتان، وزوز حمامات = حمامتان)، وبعضهم يقولْ (جوج) بدل (زوز) وكلاهما أصله (زوج) أي اثنان. وفي بعض اللهجات المشارقية المتأثرة بالظواهر اليمنية القديمة ينطقون الثاء سينًا ويقولون : (اسنان) أي اثنان. وفي الأمازيغية أيضًا ينطقون الثاء سينًا، مثل : (سن = ثن) أي (اثنان)، فيقولون (سَن إتران) أي (نجمتان) أو اثنتان من النجوم، أو زوز نجمات بالعامية، كذلك (سن إيّارن) أي (شهران) أو اثنان من الشهور، أو زوز شهور بالعامية.

وغير ذلك كثير من الشواهد والدلالات والبراهين التي تثبت وترسخ وتؤكد وتوحد النبع الأول والمعين الرئيسي لكل لهجات العرب مشارقة ومغاربة قديمًا وحديثًا.

وفي العصر الحديث، خصوصًا بعد دخول الاستعمار الغربي إلى الشمال الأفريقي وجد الفرنسيون في ثقافة القوم المتراكمة عبر آلاف السنين ما يمكن النفاذ من خلاله لمعاودة تطبيق الشعار الروماني القديم (فرّق تسد) فركزوا على إحياء اللهجة الأمازيغية وحروف التيفيناغ كشرخ في الصف الواحد الذي وقف كالبنيان المرصوص في وجههم، وقد سجل التاريخ عنهم صفحة سوداء تؤكد أنهم شجعوا بطريقة - لا تخلو من الخبث المقصود والمكيدة المبيتة - بعض الأهالي على ممارسة حقهم الثقافي في استعمال لهجاتهم وحروفهم وكرسوا جهدهم في إبعادها وفصلها عن لغة وحروف الدين الإسلامي، فقاموا - مثلا - بترجمة قصة (الأمير الصغير) للكاتب الفرنسي (سانت إيكزبيري) إلى لهجة التماشق وطبعوها بحروف التيفيناغ

كمحاولة منهم لمخاطبة عقول الناشئة ودغدغة مشاعر آبائهم وأمهاتهم وإقناعهم بحرص الفرنسيين على ثقافة أجدادهم الأوائل بعيداً عن العرب القادمين لنشر الدين الذي وقف من أجله وباسمه كل المغاربة في وجه الغزاة، ولكن يبدو أن تلك المحاولة قد باءت بالفشل الذريع وماتت قبل ميلادها فليحفظ الله مغربنا ومشرقنا من الحاقدين على العروبة والإسلام.

أحمد شحلان

التراث اللغوي القديم
واللغات العروبية (السامية)
في القرآن الكريم



أطلق الباحثون الغربيون على مجموعة اللغات التي عرفها الشرق القديم «اللغات السامية» وهي تسمية غير سليمة لكثير من الأسباب، أبسطها علمي. ونحن نميل إلى تسميتها باللغة العربية الأولى، أو ما يمكن أن نستعمل فيه، مع باحثين عرب مرموقين، اسم «اللغات العروبية» ذلك أن هذه التسمية هي أقرب إلى الحقيقة من الوجهة الفيلولوجية، ولأن القرآن الكريم احتفظ لنا بكثير من الأصول المشتركة العروبية الدالة على ذلك والمؤيدة له ونحن في هذا البحث المتواضع، لا نريد بهذه النماذج التي نقدمها، أكثر من حث الهمم على التفكير المصر، في الشروع في مشروع المعجم التاريخي الذي يتخذ من لغة القرآن الكريم لبنته الأولى والمباركة، فلغته دليل على عراقة اللغة العربية وعلى تمثيلها للعائلة العروبية التمثيل الصادق، ودليل على تمثيلها لحضارة عريقة لم يستطع المنهاج التاريخي التقليدي التعبير عنها بوضوح، واللغة القرآنية في مبناها ومعناها وتركيبها وصوغها وتناغمها مع سياق الأحداث المُعبر عنها، والمغازي الدينية والأخلاقية المتكررة في جماع النص القرآني، كلها تدل على واقع حال عاشته أرض النهرين وامتداد الشام الكبير واليمن والجزيرة السعيدتين وبلاد فارس وكثير من البلاد التي شملتها رحلة الشتاء والصيف، لم يستطع التاريخ المتيسر الآن تصوره، ولم يستطع المؤرخون التقليديون تمثله، ولغة القرآن كما وردت في النص، وبحمولتها التاريخية والمعرفية، جاءت أبلغ من تحبير المؤرخين، بما هي عليه من عراقة بعيدة الغور، وتأثيل يمتد في التاريخ العربي امتداداً لم تستطع أخبار الأخباريين، ولم يستطع الشعر العربي القديم التعبير عنه، إذا ما أبعدنا عن الذهن دعوى النحل وقصة الاختلاق، ولغة القرآن أومأت إيماء إلى أحداث تاريخية في صوغ لغوي عريق لم يكن في مقدور فصحاء العرب معرفتها، ولم يؤيدها العلم إلا بعد أن تهيأت أسباب التقصي وسبل البحث.

ونحن لا ندعي أننا في نماذجنا التي سنقدمها في هذا البحث سننظر في كل اللغات العروبية القديمة في القرآن الكريم، فهذا عمل جبار، ولا يعرف عواصته إلا من يعاني الحفر في اللغة وتاريخها وإنما يعني، كما قلنا أعلاه، الحث على الشروع في العمل، اعتماداً على اللغات القديمة التي ظلت زمناً طويلا حكراً على غير أهل لغة الضاد،

بالمفهوم الذي يريدون والنتائج التي يتوخون، إنه عمل علمي أكاديمي يفرض تضافر جهود عالم القراءات، والمفسر ذي البصيرة والبديهة النفاذة، والبلاغي المتذوق، والأصولي الحاذق، واللغوي المتضلع، وفقيه اللغة العارف باللغة العربية واللغات العروبية في أصولها وأسرها وحضاراتها وتطورها، ونحن نكتفي في هذا البحث بتقديم نماذج من لغة القرآن، تمثل أحسن تمثيل ما نسميه «قوة اللغة» التي توارت عن «مجهود الفعل» بسبب تفسير لغة القرآن تفسيراً أهمل فعل التاريخ والتطور وما يجري في مسار اللغات، في حين أن نوعًا من إعجاز القرآن تمثل بالضبط، في استعماله اللغة في سياق الأحداث التي عرج عليها والمقاصد التي رمى إليها وهي في مسارها ذاك، وهذا ما خفي عن فصحاء العرب الذين عجزوا عن الإتيان ببعض مما جاء في القرآن، ونقدم لدراستنا بنظرة موجزة عن الدرس اللغوي المقارن، نمهد بها لما نروم تبيين أهميته في هذا النوع من الدراسات.

ارتبطت اللغة العربية بأهلها الذين تحدثوا بها عن سليقة ثم عن تدبر أو هما معًا، ولا نجدنا في حاجة إلى الوقوف عند لفظ «عرب»، وهو الاسم الذي سمي به الذين تحدثوا بهذه اللغة، أو التعريف بهم. فقد كتب في هذا الكثير وبلغات متعددة. والذي يعنينا هنا هو هذه اللغة التي تحدث بها هؤلاء العرب في ماضيهم السحيق وفي أرض تعدت حدود ما يعرف بالجزيرة العربية وفاقتها مساحة أضعافًا مضاعفة، وفي سياق حضارات متعددة لم يتعود الباحثون أن يدرجوا فيها اللغة العربية أو على الأصح «العروبية»، باعتبارها اللسان التاريخي المشترك الذي عبر به أولئك الناس عن عواطفهم ونتاج عقولهم: مكتوبات «سومارية»، أو قصائد «آشورية»، أو قوانين «بابلية»، أو حوادث «أوغاريتية»، أو قواميس «إبلية»، أو رسائل «فينيقية»، أو وصايا «عبرية»، أو صلوات «آرامية»، أو تراتيل «سريانية»، أو مقطعات «حبشية»، أو قصائد معلقة «عربية»، لغة تفرعت إلى لغات، وفات الناس صلاتها وعلائقها، ولم يعرفوا عنها شيئًا على الرغم من أنها كانت لغة استعمالهم في غابر أزمانهم، فنقل لنا من ذلك القرآن بعضًا مما صار نسيًا منسيًا وأصبح «قوة لغة» لا «مجهود فعل».

وقد شعر عبدالله بن عباس، رضي الله عنه، وهو يفسر القرآن، بهذه الصلات العريقة بين اللغات العروبية، كما شعر بغياب معانيها عنه، وهو المفسر الكبير، ففي تفسير كلمة «حطّة»، في تفسير الجلالين والقرطبي وابن كثير، كلام طويل مبني على

الفهم من السياق لا من حقيقة اللغة. ولم تُرْضِ تفاسيرُ التأويل ابنَ عباس، فقد جاء في تفسير ابن كثير لهذه الكلمة، قال: «قال الأوزاعي: كتب ابن عباس إلى رجل قد سماه، فسأله عن قوله تعالى: (وقولوا حطة)، فكتب إليه (أن أقروا بالذنب)»[1]، وهذا هو المعنى المقصود. وكان المهتمون باللغة منذ العهود الأولى الإسلامية يعرفون تداخل هذه اللغات، فقد جاء في كتاب المسالك والممالك للبكري[2]: «وروى الثقات عن عبدالرحمن بن زياد بن أنعم قال: كنت وأنا غلام مع عمي بقرطاجنة نمشي في آثارها ونعبر (نعتبر) بعجائبها، فإذا بقبر مكتوب عليه بالحميرية: «أنا عبدالله بن الأواس رسول رسول الله صالح»[3].

الأمر الذي لم يتنبه إليه القائل هو حقيقة هذه اللغة، وإلا فالمقصود بالحميرية في الرواية، هو اللغة الفينيقية التي كانت لسان أهل «القرية الحديثة» (قرطاجنة)، وهي فرع لغوي غربي شمالي، في حين أن الحميرية فرع لغوي غربي جنوبي مثلها مثل العربية، وقد يشفع للقائل تشابه الخط الفينيقي بكتابة العربية الجنوبية اليمنية.

توالت التآليف اللغوية التي اهتم أصحابها بغريب العربية، وفيها الكثير من العروبي المشترك الذي لم يعد مستعملا رائجًا، لذلك سموا تآليفهم «الغريب..»، غير أنهم أدخلوا في هذا الغريب العادي من لغة الاستعمال، والحوشي وما خرج عن القواعد

---

(١) وردت الكلمة مرتين في القرآن، مرة في سورة البقرة، آية ٥٨، ومرة في سورة الأعراف، آية ١٦١، وجاء تفسيرها في معظم كتب التفسير تأويلا مستخرجًا من السياق، ومن هذه التفاسير: «حط عنا خطايانا»، «قولوا لا إله إلا الله»، «احطط عنا ذنوبنا»، وأن الكلمة «حطة» عندما يقولها بنو إسرائيل «تحط عنهم أوزارهم»، وهذه طبعًا معانٍ تحوم حول المعنى وليست المعنى الحقيقي للفظ العبري الذي نقله القرآن كما هو في سياقه وحكاية عن أصحابه، فكلمة «حطئ» في العبرية، تعني الخطيئة، ويتمثل فيها التغير الصوتي الذي يمكن أن يحدث في اللغات العروبية، ذلك أن حرف الخاء، بوصفه حرفًا ثابتًا مستقرًا لا يتغير، لم يعد له وجود فصوته في العبرية هو متغير صوتي لـ«الكاف» فقط، فهذه إذا كانت مشددة تنطق «ك» وإذا كانت رخوة تنطق «خ» تبعًا لقواعد صوتية عبرية خاصة، وبالتالي «حطي» هو «خطء» وأورده القرآن في سياقه ليبين أنه كان يراد من بني إسرائيل أن يعترفوا بأنهم خطاة ثم يغفر لهم، فهُم «حطة»: خطاة، ومن المحتمل أن يكون مستفسر ابن عباس يهوديًا أو يهوديًا أسلم يعرف العبرية، لذلك شعورًا من ابن عباس بعبرية اللفظ، أرسل من يفسره له، فكان جوابه «أن أقروا بالذنب» وهو المعنى الحقيقي للفظ الذي أتى به القرآن في سياق الحدث.

(٢) كتاب المسالك والممالك لأبي عبيد البكري، تحقيق أدريان فان ليون وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢، ج١٠، ص٧٠٣-٧٠٤.

(٣) ورد ذكر عبدالرحمن هذا عند البكري، في حديثه عن الجهاد في إفريقية، حيث قال: «وروى ابن أبي العرب قال: حدثني فرات حدثني عبدالله بن أبي حسان عن عبدالرحمن (بن زيد بن أنعم عن أبي عبدالرحمن) الجبلي قال: قال رسول الله ﷺ: ينقطع الجهاد من البلاد كلها فلا يبقى إلا بموضع في المغرب يقال له إفريقية»، أوردنا هذه الرواية للتأريخ بها لعبدالرحمن بن زياد ومعرفة زمانه.

النحوية المشهورة، ولم ينهجوا نهجًا موحداً في الوضع، كما لم يتخذوا لهم مدونة لغوية ذات مواصفات موحدة فقد اعتمد البعض منهم الشعر واعتمد البعض النثر أو جمعوا بين الاثنين، ولم يأبهوا مطلقًا بزمن لغة التدوين، وهو أمر مهم لتاريخ الاستعمال، فهذا أبو عبيدة القاسم بن سلام، المتوفى سنة ٢٤٤ / ٨٣٨ الذي يمثل كتابه الغريب المصنف أول وثيقة تصلنا في هذا الباب، يختار غريبه من خلق الإنسان ذكراً وأنثى، جسمًا وعقلا وأخلاقًا، وصحة وعلة، وعادات وصنائع وتحضراً. ومن خلق الحيوان والطير وطبائعهما، ومن صفات الأرض ونباتها وما يجري عليها، ومن الأنواء وتقلباتها، والزمن وما يطرأ عليه، ثم يختتم بالمعاني المرتبطة بالصيغ اللغوية وما يتبع ذلك من غنى لغوي تكاد تختص به العربية دون غيرها، وابن سلام في هذا العمل الرائع لم يخطر على باله ذلك التداخل العروبي المشترك في تطور معاني اللغة. وغرابتها التي تمثلت لديه هي في معظمها تعود إلى تقادم العهود على كثير من المستعملات اللغوية التي حفظتها ذاكرة المدون في تلك الأيام(٤).

وهذا كتاب النوادر في اللغة لأبي سعيد بن أوس بن ثابت الأنصاري المتوفى سنة ٢١٥ / (٨٣٠)، يعتمد مدونة الشعر القديم وبعض شعر المخضرمين ليستخرج نوادره اللغوية. فشرح في عمله هذا ألفًا وثلاثمائة وثلاثة وأربعين لفظًا، لم يقف فيها عند غرابة اللغة التي أتته من مشترك قديم، وإنما أهمه في كثير من الأحيان القضايا الإعرابية والنحوية، مع أنه أورد كثيراً من الدخيل الفارسي وغير الفارسي، الذي كان من الضروري أن يلفت باله ويعتبره من غير العائلة العربية(٥).

وفي نفس الفترة تقريبًا يضع أبو يوسف يعقوب بن إسحاق بن السكيت، الذي توفي ٢٤٣ (٢٤٦) / (٨٥٧، ٨٦٠)، كتبه اللغوية التي منها إصلاح المنطق وكنز الحفاظ في كتاب تهذيب الألفاظ، ويجري فيها نفس المجرى مع كثير من التوسع والرجوع في بعض الأحيان إلى المعاني العروبية القديمة دون التنبيه على ذلك بطبيعة الحال(٦).

(٤) انظر كتاب الغريب المصنف لأبي عبيدة القاسم بن سلام، (تحقيق محمد المختار العبيدي)، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٩، (الكتاب في ثلاثة أجزاء ولم نطلع منه إلا على الأول والثاني).

(٥) انظر كتاب النوادر في اللغة، لأبي زيد الأنصاري، (علق عليه وصححه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني)، دار الكتاب العربي، بيروت ١٣٨٧ / ١٩٦٧. ألحق الكتاب بكتاب مسائية للمؤلف، وينهج فيه الأنصاري نفس النهج، إنما أكثر الأخذ فيه من الأقوال النثرية، مثل «يقال...» نصه من صفحة ٢٣١ إلى ٢٦٢.

(٦) حقق تهذيب إصلاح المنطق للخطيب التبريزي، فخر الدين قباوة، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣ / ١٩٨٣، وعني بطبع كنز الحفاظ، الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت ١٨٩٥ [١٨٩٦ ١٨٩٨].

ونعتبر كتب لحن العوام مصدرًا من المصادر التي رصدت العروبي القديم في اللغة العربية، دون الانتباه إلى ذلك أيضًا، باعتبار القراءات المختلفة للفظ، والتغيرات الصوتية التي تلحق الكلمة وترتبط بمكان ما أو زمان ما، لا تمثل إلا صورة من صور تطور اللغة الأم، احتفظت بها الذاكرة، ثم اعتُبرت فيما بعد، خارجة عن عرف المستعمل الذي يعاصره اللغوي الجامع المدون للغة، فيعده لحنًا، ومن أمثلة هذا النوع كتاب لحن العوام لأبي بكر بن حسن بن مذحج الزبيدي المتوفى سنة ٣٧٩ / ٩٨٩، الذي اعتمد فيه صاحبه الموروث الشعري والأقوال المتداولة، ولم يكتف فيه بتصويب النطق، وإنما صوب المعاني وحقق في الدلالات. وهذا بالضبط أمر يدخل في باب التطور اللغوي والبحث عن الصلات العروبية التي خفي أمرها في مخزون المستعمل الذي يستعمل اللغة عن سليقة وفطرة[٧].

وبعد أن نضج البحث اللغوي وتحققت كثير من المعجمات العربية، وأصبحت مكونات الحضارة الإسلامية بارزة المعالم، بما رُفِدت به أقطارُ الأمة الإسلامية التي ملأت مضارب الآفاق، من ثقافات غير الناطقين أصلا بلغة العرب، وبعد أن صارت أَلْسُنٌ كثيرة من مستعملات المسلم الذي كان يتعامل بتلك اللغات المتقاربة أو المتباعدة، صار وقع الفروع اللغوية العروبية البعيدة، أو بنات اللغات ذات الأصول المختلفة شديد الجرس، قوي التميز، بارز المعالم، فظهرت في التأليف اللغوي تلك الكتب التي اهتمت بالدخيل والأعجمي والمعرب، ومن هذه كتاب أبي منصور موهوب بن أحمد بن الخضر الجواليقي، المتوفى سنة ٥٤٠ / ١١٤٥، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، الذي جمع فيه مؤلفه ما ظنه من غير العربية، وفيه الكثير من محير العربية المتداولة عندها، من أعجمي، ولكن فيه أيضًا كثير مما هو من صلب اللغات العروبية، وعطل استعماله، فعده الجواليقي أعجميًا، أي من غير لغة العرب، وفيه ما هو رومي فعده فارسيًا، وفيه ما هو عروبي (أرامي) فعده فارسيًا، وهكذا، غير أن هذه الملاحظات السريعة لا تنقص من جلال الكتاب، فهو ديوان، على المهتم بالنظر في اللغات العروبية أن يعود إليه وأن يقرأه بمعطيات علم المقارنات اليوم وسيستفيد ويفيد[٨].

ظل الشعور بالصلات العروبية في اللغة الفصحى أو في غيرها من اللغات الأخوات،

(٧) لحن العوام، [تحقيق رمضان عبدالتواب]، مكتبة دار العروبة، ١٩٦٤.

(٨) انظر المقدمة التي وضعها عبدالوهاب عزام لتحقيق المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، لأبي منصور الجواليقي، الذي عني به أحمد محمد شاكر، نشر مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب، ط. ثانية، ١٣٨٩ / ١٩٦٩.

شعوراً ذوقيًا تفتي فيه السليقة أكثر مما تفتي فيه المعرفة الفقه لغوية، حتى أينعت الدراسات المقارنة في الأندلس لأسباب مفسرة علميًا، من ذلك الواقعُ الجغرافي، والامتزاج الاجتماعي، وتداول الأعراق المختلفة على التدبير السياسي والإنتاج الاقتصادي، بل والمشاركة في الإبداع الأدبي والكتابات العلمية الحق. وأدى التداخل الاجتماعي الكامل، المتمثل في مقاعد الدرس ومجامع القضاء والتعامل في الأسواق، ومنافسة المهنيين والحرفيين، والمشاركة في السكن، بين مكونات المجتمع الأندلسي المختلفة المؤتلفة، إلى إيجاد لغة واحدة، هي لغة التعامل المشتركة بين كافة الأجناس، وهي بطبيعة الحال، لغة جمعت بين الأصول العروبية واللهجات اللاتينية التي لم تَزُلْ من لسان السكان الأصليين ولم تسلم من دخيلها ألسنة الفصحاء، حتى قال أبو العلاء المعري: «وكان كلام أهل الأندلس الشائع عند الخواص والعوام، كثير التحريف عما تقتضيه أوضاع العربية»[٩]، كما شهد بذلك أيضًا ابن حزم الأندلسي، المتوفى سنة ٤٧٦ / ١٠٦٤، وهو شاهد من أهل الديار، حيث قال: «ومن سمع لغة فحص البلوط، وهي على ليلة واحدة من قرطبة، كاد يقول إنها لغة أخرى غير لغة قرطبة»[١٠].

في مقابل هذا التداخل اللغوي المختلف الأصول، تمكنت اللغة الرومية في الألسن، وصار الجهل بها أمراً ملحوظًا، وهذا مرة أخرى ابن حزم، العالم اللغوي، وعالم مقارنة الأديان، يشير إلى هذا حيث يقول: «ودار بَلِي بالأندلس: الموضع المعروف باسمهم بشمال قرطبة، وهم هناك إلى اليوم على أنسابهم لا يحسنون الكلام باللطينية، لكن بالعربية فقط»[١١]. مما يدل على أن جهل هؤلاء باللاتينية كان نشازاً ومما يدل أيضًا على شيوع اللغة العجمية في لسان الخاصة والعامة، ما نقله صاحب البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، من أن الخليفة الناصر أتم لوزيره أبي القاسم بن لب، بيتًا من الشعر بلفظ أعجمي لما عجز الوزير عن ذلك[١٢]. ونقل لنا الونشريسي، فتوى يسأل فيها صاحبها عن رأي الشرع فيْمن حلف بالعجمية أو طلق بها زوجه[١٣]. وتحدث

---

(٩) عن كتاب عامة قرطبة في عصر الخلافة، أحمد الطاهري، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨، ص١٧٢.

(١٠) كتاب الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، ١٣٤٥هـ، ج١، ص٣١.

(١١) جمهرة أنساب العرب، [تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر]، ١٤٠٣ / ١٩٨٣، ص٤٤٣.

(١٢) البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، لابن عذاري المراكشي، [تحقيق كولان ولفي بروفنسال]، ج٢، ص٢٢٧.

(١٣) الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١، ج٢، ص٥٦-٦٠.

السقطي في كتابه آداب الحسبة، عن حيل بعض باعة الرقيق، حيث كانوا يتفقون مع نساء مسلمات «يحكمن اللسان الأعجمي والزي الرومي» لتجري الحيلة على بعض البسطاء فيظنون أن الجارية أعجمية[١٤]. وكثرة استعمال «الخرجات» الأعجمية في الموشحات وتردد ألفاظ أعجمية في كتب النبات، دليل على انتشارها الواسع، كما أشار إلى ذلك الدكتور محمد بن شريفة في كتابه أمثال العوام في الأندلس[١٥]. والمتصفح لكتب لحن العوام، أو لما استخرجه Dozy في ملحق المعاجم، يقف على حقيقة الاختلاط الحاصل في لغة الأندلسيين الخاصة والعامة[١٦].

ومعرفة ابن حزم بأسرار اللغات، وهو المحقق في علم الأديان، المحاور المجادل مع الأحبار والرهبان، الكَلِف بالتأليف في اللغة والنحو والمنطق، جعلته يتحقق، في هذه الأندلس التي جمعت بين العرب والأمازيغ والعجم، من الأصول المشتركة للغة العروبية، فيقول في كتابه إحكام الأحكام، عندما ناقش مسألة «هل اللغة وقفًا أم اصطلاحًا» وهي مسألة لم تخل منها كتب التفسير واللغة، قال: «قال قوم هي [لغة الوقف] السريانية، وقال قوم هي اليونانية، وقال قوم هي العبرانية، وقال قوم هي العربية، والله أعلم[١٧]. إلا أن الذي وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانية والعربية هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير.. لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها فحدث بها جرش كالذي يحدث من الأندلسي إذا رام نغمة أهل القيروان، ومن القيرواني إذا رام نغمة الأندلسي.. وإذا تعرب الجليقي أبدل من العين والحاء هاء، فيقول مهمدًا إذا أراد أن يقول محمدًا، ومن هذا كثير فمن تدبر العربية والعبرانية والسريانية أيقن أن اختلافها إنما هو من نحو ما ذكرنا من تبديل ألفاظ الناس على طول الزمان، واختلاف البلدان، ومجاورة الأمم، وأنها لغة واحدة في الأصل. وإذ قد تيقنا ذلك فالسريانية أصل للعربية والعبرانية»[١٨].

حكم من عالم وقف كثيرًا على نصوص الكتب السماوية وتأمل في لغاتها، بنفسه

---

(١٤) أبو عبدالله السقطي، آداب الحسبة، [تحقيق كولان وبروفنسال]، باريس، ص٥٤.

(١٥) محمد بن شريفة، أمثال العوام في الأندلس، فاس، ١٩٧١، ج١، ص٢٧٧.

(١٦) هذه الفقرة من بحث لنا نشرناه بعنوان «الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط» في ندوة نشرت أعمالها بعنوان «الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣، ص١٦٩-٢١١.

(١٧) نذكر بأن هذه هي اللغات التي كانت تتداول بها الكتب المقدسة: الأناجيل والتوراة والقرآن.

(١٨) الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، ١٣٤٥، ج١، ص٢٨-٣٠.

أو بمساعدة من يحسنها، وتيقن بمنهاج بحثه الدقيق، أن لا يمكن أن تكون هذه اللغات العروبية إلا من أصل واحد، واضح أن ابن حزم لم يستطع تصنيف العروبيات كما نفعل نحن اليوم، فقد وضع العبرية والسريانية، وهما غربيتان شماليتان، في صُنافة العربية الفصيحة، وهي غربية جنوبية، وأبعد لغة حمير، وهي غربية جنوبية من صنافة العربية الفصيحة، ومع ذلك فهو بهذا قد ميز بين فرعين متقاربين متباعدين، نتيجة وصل إليها فيما بعد بكثير، طه حسين، في مؤلفه الشعر الجاهلي، إن طه حسين في كتابه هذا، لم يزد على أن تناول نفس ملاحظة ابن حزم بكثير من التفصيل والإيضاح، بناء على ما وصل إليه علم الاستشراق أيامه، وليس الموضوع هنا مكان التفسير والإطالة، ومن البين اليوم أن أسس هذا المنهاج المقارن المقارب المباعد بين اللغات العروبية، كانت قد وضعت موثقة بشواهد نصية، أيام ابن حزم بعناية أناس عايشهم ابن حزم وخاصمهم عندما تعلق الأمر بالعقيدة، وحاورهم عندما تعلق الأمر بحسن الجوار واحترام الآخر بوصفه أخًا في الإنسانية.

كان يعايش ابنَ حزم في الأندلس أناسٌ آخرون مكن لهم وضعهم أن يكونوا أقدر على تمييز الأسر اللغوية، وأعني بهم اليهود، فقد مكنت لهم الدولة الإسلامية في الشرق والغرب الإسلاميين، أسباب الترقي والمعرفة، وفتحت لهم أبواب العلم في مساواة منعدمة النظير، خصوصاً في الأندلس، فساروا بعيداً في مجال المقارنة وتقريب الصلات اللغوية، وقد مكنهم وضعهم الاجتماعي والديني، من أن يقوموا بهذه المهمة عن وعي وغير وعي. فثقافة علمائهم الاجتماعية، ثقافة عربية لا تقل عن ثقافة أي مسلم مشتغل بعلوم التفسير والتشريع واللغة والشعر والأدب. وكتابهم هو التوراة، وهم أكثر الناس علماً بتوراتهم بوصفهم علماء في ملتهم، ولغة التوراة هي في معظمها عبرية وبعض منها آرامي، ولغة تلمودهم آرامية بابلية، واللغة السريانية فرع من اللغة الآرامية، وكان بعض من هؤلاء يشغلون مناصب في الدولة جعلت منهم السفراء والمفاوضين والوسطاء التجاريين، بل جعلت من بعضهم وزراء، وهذا وضع مكنهم من معرفة اللغات الرومية المحيطة أو البعيدة، وبعض من هؤلاء الذين نالوا حظوة في جهاز الدولة، قلدوا الخلفاء والأمراء والقادة المسلمين في حماية العلم وتهييء أسباب رواجه. وهكذا اكتملت ليهود الأندلس الأداة للتنقل بين اللغات العروبية وغير العروبية بيسر وعن معرفة كاملة، فهم أول من وضع للغة العبرية أصح مؤلفاتها في الصرف والنحو

والمعجم، وذلك لأنهم ثقفوا النحو والمعجم العربيين، وتمرسوا بأساليب الكتابة العربية، وشعروا بالاختلاف والائتلاف، ومن أوائل هؤلاء أبو زكرياء يحيى بن داود الفاسي ثم القرطبي، المنبوز بحيوج، المولود بفاس قريبًا من سنة ٩٧٠م. وهو صاحب كتاب الأفعال ذوات حروف اللين، وكتاب الأفعال ذوات المثلين، وكتاب النتف وكتاب التنقيط ومنهم مناحم بن سروق الطرطوشي ثم القرطبي، ولد ٩١٠م، وهو مؤلف كتاب الكناشة في النحو، وكتاب الحل، في النحو أيضًا، ومنهم دوناش بن لبراط البغدادي الأصل، الفاسي المولد، القرطبي النشأة، ولد بفاس سنة ٩٢٠م. هو صاحب كتاب الأجوبة[١٩].

ذكرت هؤلاء، لأن اختلاف نظرهم في بنية الجذر العبري (أحادي ثنائي ثلاثي)، كان السبب في التنافس والمقارنة والعود إلى اللغة العربية ثم اللغات العروبية الأخرى للبحث عن الجواب الشافي في أمر الجذر.

وفي هذه العهود كتب يهودا بن قريش التاهرتي (الجزائر اليوم)، الذي كان يعيش في المنتصف الثاني من القرن التاسع الميلادي، رسالة إلى يهود فاس، وتعتبر هذه الرسالة المؤلف المقارن الأول في تاريخ العروبيات، حيث قارن بين اللغة الآرامية والعبرية والعربية، لفظًا ومبنى، بل قارن بين ألفاظ عبرية وأخرى أمازيغية، باعتباره كان يعيش في محيط يستعمل اللغة الأمازيغية[٢٠]. وتمثلت قمة هذه الجهود في مؤلفات أبي الوليد مروان بن جناح القرطبي، المولود حوالي ٩٨٥م. التي هي المستلحق، ورسالة التنبيه، وكتاب التقريب والتسهيل وكتاب التسوية وكتاب التشوير وكتاب التنقيح.

والكتب الخمسة الأولى تدخل ضمن الجدل النحوي اللغوي المشار إليه، أما أهم مؤلفاته فهو الأخير: التنقيح، وقسمه قسمين، أولهما سماه اللمع وخصه بالنحو والصرف، على غرار كتاب سيبويه، بل كان كتاب سيبويه الذي ذكره بالاسم، أمام ناظريه وهو يؤلف كتابه، وسمى جزأه الثاني الأصول، ويعني بها جذور اللغة التي

---

(١٩) وضعت كتب الكناشة والحل والأجوبة باللغة العبرية، أما كتب حيوج فكتبت بالعربية بحرف عبري، ونشرت هذه الكتب نشرات أوروبية قديمة، للتفاصيل، انظر تحقيقنا للفصل الخامس من كتاب المحاضرة والمذاكرة، لموسى بن عزرا، وهو المعنون بـ «شفوف جالية الأندلس في قرض الشعر وتحبير الخطب والرسائل العبرانية، على غيرهم»، نشر النص في «أبحاث مهداة إلى الدكتور عباس الجراري»، مطبعة دار المناهل، ١٩٩٧، ج٣، ص٨٨١-٩١٣.

(٢٠) نشرت الرسالة مرارًا بالحرف العبري، وبه كتبت أصلا، ثم نشرت في بحث أكاديمي نشرة علمية بعناية دن بقر، جامعة تل أبيب، ١٩٨٤.

تنبني عليها المعاني، وفي هذا الجزء، الذي شرح فيه ٢١٤٨ جذراً، في صيغها وتراكيبها، برع في المقارنة العروبية، بل في مقارنة العبارات بالعبارات، واللهجات باللهجات، والعادات بالعادات[٢١].

وفي أواخر القرن الحادي عشر وبداية الثاني عشر الميلاديين، عاش في سرقسطة ومالقة، أبو إبراهيم إسحاق بن برون، صاحب كتاب الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية، وكتبه بلغة عربية وحروف عبرية، على عادة اليهود أيامها، وقد قسم هو الآخر كتابه إلى قسمين، قسم قارن فيه بإيجاز بين النحو والصرف العبريين ونظيريهما العربيين، وقسم خاص بالمعجم، ويعتبر هذا القسم ذا أهمية قصوى، إذ من خلاله يصحح ابن برون كثيراً من القراءات التوراتية ويتهم الأحبار بعدم فهم التوراة لأنهم يشرحونها من تأويل وليس من الفهم اللغوي المعتمد على الأصول المشتركة التي يعتبر اللغة العربية مصدرها وخزانها، ولعله لهذه النظرة اللغوية العميقة المشككة في فهم اللغة العبرية، لم يجد كتابه ذيوعاً لدى اللغويين والمفسرين اليهود الذين كانوا يعتبرون لغتهم أكمل اللغات، وضياع نسخ الكتاب دليل على ذلك، إذ لم يصلنا منه حتى اليوم، إلا نسخة يتيمة توجد بمكتبة سان بترسبورك (لنين كراد)[٢٢].

تعتبر هذه الأمهات اللغوية العربية - العبرية، التي بناها أصحابها بذهنية النحوي اللغوي المعجمي العربي ومنهاجه، وبمعارف هي بنت ثقافتهم العقدية الخاصة، التي مكنتهم من التعامل بلغات متعددة كلها من منبت واحد اتسعت رقعته وترامت آثار تأثيره، بسبب الهجرة والرحلة والمجاورة وانتشار العقيدة والتسامح والمساواة في مكان العلم وأخذه، أقول تعتبر هذه أسّ البناء لكل المدارس المقارنة التي ظهرت في القرن التاسع عشر. وعليها انبنت النظريات التي ترجع كل الناطقين بهاتيك اللغات العروبية المشار إليها إلى أصل واحد ومنبت واحد. بل عليها أسست نظريات كثير من مؤرخي الشرق القديم، قبل أن يضيفوا إلى أدواتهم ثمار علم الأركيولوجيا، وهو علم قويت أسبابه، واستمد شرعيته من إشارات وإيماءات ما ورد في الكتب الدينية القديمة

---

(٢١) انظر التفاصيل حول ابن جنح وكتبه ونشراتها في كتابنا «ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة الوطنية - مراكش، ١٩٩٩، ج١، ص١٢١-١٣٤.

(٢٢) نشرت النسخة اليتيمة بعناية باولو قاقاوصاو، في بتروسبورك سنة ١٨٩٠، وأعيد نشرها مصورة في القدس سنة ١٩٧١، مع زيادة أوراق عثر عليها فيما بعد، ويحتاج النص المنشور إلى جهد كبير لتظهر فائدة الكتاب، وقد أعدنا تحقيقه ونأمل إخراجه قريبا.

أو الكتب السماوية التي كتبت أو نزلت باللغات العروبية وبينت نتائج هذه الأبحاث أن العرب لم يظلوا منحصرين في حيز محدود خلال تاريخهم الطويل، فقد توسعوا منذ العهود السحيقة، بسبب ما طرأ على بلادهم نتيجة فعل تقلبات المناخ، «فذهب الهكسوس إلى مصر، وزحف الأكاديون والآشوريون إلى العراق»[٢٣]. وبعد أن استقر بهم الأمر واعتدل المناخ وتوفرت أسباب البناء الحضاري، ظهرت لهم حضارات هي:

١ - حضارات الشمال: السومارية والأكدية البابلية الآشورية، والكلدانية والفينيقية والمصرية والتدمرية.

٢ - حضارات الوسط: النبطية والتموذية الجندبية والتيماوية والحجازية والنجدية والتهامية.

٣ - حضارات الجنوب: المعينية والسبئية والحضرموتية والواسانية[٢٤].

وفي نفس المسار، يقول كارل بروكلمان، في كتابه تاريخ الشعوب الإسلامية: «ولقد اختلط العرب في الشمال، بالجنس المعروف بجنس الشرق الأدنى الذي ساد في وقت من الأوقات في آسية الصغرى وفي غربي النجاد الإيرانية أيضاً، والذي حُفظ في أصفى أشكاله بين الأرمن المعاصرين الذين يتميزون بالانحدار الشديد في مؤخرة الجمجمة، وبالأنف الضخم المتقوس، ولا بد من أن يكون هذا الجنس، فيما يظهر، قد انتشر في زمن ما، في اتجاه الجنوب، لأننا نقع منذ القديم على خصائصه المميزة عند العرب اليمنيين، وابتداء من الألف الثالث ق.م، شرعت جماعات من شعوب الجزيرة العربية تندفع نحو الشمال، في فترات من القحط بالغة الخطورة، فإذا بالبابليين يغشون العراق ويقتبسون فيه ثقافة السوماريين، وإذا بالكنعانيين واليهود والآراميين يهبطون سورية وفلسطين، ويستعيرون، مع الفينيقيين، ثقافة الجنس المعروف بجنس الشرق الأدنى، ذلك الجنس الذي أورثهم كذلك بعض صفاته الجسمانية، أما لغتهم التي ندعوهم من أجلها «ساميين» فقد احتفظت بخصائصها الرئيسية التي يربطها بالعربية نسب وثيق، على الرغم مما طرأ عليها من تعديل كبير[٢٥].

كونت هذه المجموعات البشرية المشتركة الأصل، المهاجرة والمساكنة والمجاورة

---

(٢٣) تاريخ العرب، محمد أسعد طلس، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط. ثانية، ١٣٩٩، ١٩٧٩، ج١، ص١٣.

(٢٤) نفسه ص١٤.

(٢٥) تاريخ الشعوب الإسلامية، كارل بروكلمان، [ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي]، دار العلم للملايين، ط عاشرة، ١٩٨٤، ص١٥.

والمستقرة والمعيرة والمستعيرة، لغة واحدة في أصولها، وهي اللغة التي أطلق عليها اصطلاحًا «سامية» (عروبية). والعرب، في باب التسمية الواسع، هم سكان عالمهم ذاك منطلق الهجرة، الذي حالت أحواله فأصبح صحراء قاحلة هي «العربة»، والمتأثلون فيه هم العرب، وهم الذين عانوا البقاء وعانوا القحط الذي آلت إليه أرض كانت عامرة زرعًا وعمارة وماء. وتكلموا لغة فرعًا من أصل مشترك.

ومما تقدم فإن تاريخ العربية تاريخ عريق مغرق في القدم، وإن الذين تحدثوا بها في صورها المختلفة كونوا حضارات زاهية مشرقة، وإن الحيز الجغرافي القديم الذي شغلته، ضم بين جناحيه الأرض الخصب المعطاء والجبال الشاهقة، والمغارس المتنوعة الفيحاء، والصحراء العربة الجدباء[٢٦].

ومن سوء حظنا أن هذا التاريخ العريق لم يكتب كله كتابًا واحدًا رتبت فصوله وبوبت أبوابه، لكنه وصلنا شذرات نقلتها كتب الأديان أو كشفت عنها حفريات المنقبين، أو جاءت حوادث في مسارد الأمم المجاورة، أو إشارات تضمنتها مدلولات اللفظ والكلم.

ومن سوء حظنا أيضًا، أن كتابات تلك الشعوب ومآثرها الأدبية لم تصلنا كاملة لتكون تاريخًا نعرف بواسطته كيف أصبحت اللغة العربية الأم هذه التي في أفواهنا اليوم.

أشرت أعلاه إلى «قوة اللغة» و«مجهود الفعل»، فما المقصود بـ«قوة اللغة»؟ يعني كيان الأمر بالقوة أنه ممكن الوجود وإن لم يخرج من حيز العدم إلى حيز الوجود. ويعني وجوده بالفعل أو «مجهود الفعل»، تحقق الفعل وخروجه من التصور والوهم إلى الوجود المكاني والزماني وتعدد الأبعاد.

فإذن ماذا يعني كيان اللغة بالقوة؟ إن الخليل بن أحمد الفراهيدي عبر عن كيان اللغة بالقوة بمصطلح آخر سماه «المهمل»، فكل جذر عند الخليل بن أحمد الفراهيدي، وهو الرياضي الموسيقي، يتضمن صيغًا تعرف العرب معانيها ومدلولاتها، (المستعمل)، وصيغًا لم تضع لها العرب معاني ومدلولات للتداول، (المهمل). وإذا كانت اللغة تتكون من ألفاظ (أسماء وأفعال وحروف)، فإن هذه ترجع إلى أبسط مكوناتها، وهي الحروف الثمانية والعشرون. وعليه فإن نظم هذه الحروف الثمانية

(٢٦) انظر في باب هذا التوسع، كتاب أصول اللغة الليبية القديمة، عبدالعزيز سعيد الصويعي، دار الملتقى للطبع والنشر، قبرص ٢٠٠٣.

والعشرين نظمًا متواليًا في تقاليب، يبدأ بالثنائي وينتهي بالخماسي، في تقاليب محصورة معدودة، يتضمن اللغة العربية «قوة» و«فعلا»، فالجذر: (ك.ل.م) يتضمن ست صيغ، خمس منها صيغ أو لغة بـ«الفعل» هي: كلم، كمل، لكم، ملك، ولمك[٢٧]، وصيغة واحدة بـ«القوة» غير أنها بدون معنى، وهي مكل، فالأولى مستعملة والثانية مهملة، أو الأولى بـ«الفعل» والثانية بـ«القوة».

هذا ضرب من «القوة» و«الفعل» يتمثل في اللغة العربية القرشية، أي اللغة الفصيحة التي تداولناها منذ فجر الإسلام، أو نتداول اليوم متفرعاتها.

غير أن هناك ضربًا آخر من «القوة» و«الفعل» أو «الإهمال» و«الاستعمال»، يتمثل في صيرورة اللغة العروبية من النشأة الأولى وإلى الاستعمال القرآني، وهذا هو الذي لم ينتبه إليه الخليل بن أحمد أو من جاء بعد من اللغويين العرب والمسلمين، ومن انتبه إليه منهم لم يتصرف فيه تصرف المتمكن العليم بخفايا الأمور، إذ اعتبروا اللغة العربية الفصحى لغة فريدة من نوعها لا ترتبط بغيرها، بل أبعدوا من المعجم المستعمل أيام النبي ﷺ، الكثير من لغة الجزيرة العربية، واعتبروه غير فصيح، اعتمادًا على قياس عاطفي أكثر منه عقلي، فصار «مهملا» = (لغة بالقوة بعد أن كانت فعلا)، فجاء متن معاجمنا العربية عبارة عن تأويل فيها الكثير من التمحل والبعد عن سلامة التأثيل والنظر الفقه اللغوي المنطقي، وفسروا اللغة العربية بالعربية التي عاصروها، دون أن يدخلوها في باب العروبيات، فخفي عليهم المدلول اللغوي الذي كان «فعلا» باعتباره كان مستعملا في الفروع العروبية الأخرى، مثل الآشورية والأوغاريتية والإبلية والفينيقية والعبرانية والآرامية والسريانية، وكلها فروع للغة أصل، وأصبح «قوة» في لغتهم لم ينتبهوا إليه، ولم يدخله الخليل في «مهمله»، واستعمله القرآن المعجز في سياقه الاجتماعي والتاريخي الذي لم يكن لهم به علم، متحدثين ولغويين.

ولعل أكثر لغويينا شعورًا بارتباط اللغة العربية بغيرها، أو الأصح شعورًا بوجود غيرها فيها، نسبيًا، هم أصحاب كتب «الدخيل والأعجمي والمعرب»، وهؤلاء استطاعوا في تآليفهم هذه أن يستخرجوا الفارسي والرومي، ولكنهم لم يستطيعوا تلمس وجود العلاقات الموجودة بين اللغة العربية وأخواتها العروبية، لجهلهم بها من جهة، ولأن أمرها

---

(٢٧) لمك: «لمك العجين: أنعم عجنه تلمك البعير: لوى لحييه وتلمظ، اللماك: السيئ مما يذاق.. اللمك واللماك: الإثمد تكحل به العين، اللميك: المكحول العين (انظر المنجد، مادة لمك).

خفي عليهم لكون بنيتها هي نفس بنية اللغة العربية من جهة ثانية، وهذا أبو منصور الجواليقي، في كتابه «المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم»، المشار إليه أعلاه، لم يستطع على الرغم من جمعه الكثير، أن يضع منهاجًا علميًا واضحًا به يتوصل إلى معرفة الفارسي الحق والرومي والعروبي الحق. بل مع وقوفه على هذه، فإنه لم يتعد في ذلك عد وشرح هاتيك الألفاظ، ولم يرجع «دخيله» إلى أصوله، خصوصًا العروبي منها، بل جل ألفاظه التي جمع هي من الفارسي أو من أسماء الأعلام.

كان لطبيعة اللغة العربية هذه، أن تجعل الذين فسروا القرآن أو نظروا في لغته، أن يكونوا على بينة من هذه الخاصية العروبية التي كان لا بد لها من أن تفرع معانيه وتعود بها إلى قديم المستعمل، كما أشرنا. وقد ألمحنا إلى أن ابن عباس، رأس المفسرين، كان يشعر بذلك، وقد وضع محمد فؤاد عبدالباقي، «معجم غريب القرآن مستخرجًا من صحيح البخاري، وفيه ما ورد عن ابن عباس من طريق ابن أبي طلحة خاصة» (٢٨). أورد فيه الواضع ألفًا وتسعًا وخمسين لفظة في أماكنها من القرآن، ثم وضع هو شرحها في الهامش، والألفاظ بهذا الوضع لا تدل على بنية معجمية لغريب القرآن ارتضاها ابن عباس وبنى صوغها، فهو اجتهاد من الواضع ألحق به مسائل نافع بن الأزرق، في نفس الموضع، وتضمنت مائة وأربعًا وثمانين لفظة في مواضعها في القرآن، مع شرح لها في الهوامش.

ومن المؤلفات التي اهتمت بغريب القرآن، نذكر غريب القرآن وتفسيره، لأبي عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي المتوفى سنة ٢٢٧هـ(٢٩). وياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، لأبي عمر محمد ابن عبدالواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، المتوفى سنة ٣٤٥هـ(٣٠). وتفسير غريب القرآن، لأبي محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ(٣١). وتفسير المشكل من غريب القرآن، للإمام مكي بن أبي طالب القيسي المتوفى ٤٣٧هـ(٣٢). والعمدة في غريب القرآن له أيضًا(٣٣). ومعجم مفردات ألفاظ

---

(٢٨) الناشر دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، ط ثانية، ١٩٥٠.

(٢٩) تحقيق عبدالرازق حسين، مؤسسة الرسالة، بيروت، ١٤٠٧/ ١٩٨٧.

(٣٠) حقق الكتاب وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢.

(٣١) حققه السيد أحمد صقر، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨/ ١٩٧٨.

(٣٢) حقق الكتاب علي حسن البواب، مكتبة دار المعارف، الرياض، ١٤٠٦/ ١٩٨٥.

(٣٣) حققه وعلق عليه وخرج نصه، يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ثانية، ١٣٠٤/ ١٩٨٤.

القرآن، للراغب الأصفهاني المتوفى ٥٠٣هـ[٣٤]. وتحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، للشيخ أثير الدين أبي حيان الأندلسي المتوفى سنة ٧٤٥هـ[٣٥]. وبهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، لعلي بن عثمان التركماني المتوفى سنة ٧٥٠ هـ[٣٦]. وتفسير غريب القرآن، لمحمد إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢هـ[٣٧]. والتحفة القليبية في حل الحمولية في غريب القرآن الكريم، لموسى بن محمدابن موسى بن يوسف القليبي العمري المالكي المتوفى سنة ١٣٣٢هـ[٣٨]. وندرج في هذا النوع كتاب التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء الأعلام، لمؤلفه عبدالرحمن السهيلي الأندلسي المغربي المتوفى عام ٥٨١هـ[٣٩]. وتميز هذا الكتاب عن سابقيه بجرأة صاحبه في البحث عن جذور المبهم التاريخي في القرآن الكريم، وبمحاولته تفسير الأعلام القرآنية تفسيراً مقارناً ينبش في الجذر العروبي بما تيسر له.

ومن الكتب الحديثة في معجم لغة القرآن قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، لمحمد إسماعيل إبراهيم[٤٠]. ويقتصر شرحه على إيراد اللفظ وشرحه بالمألوف من اللغة، وكان من المفترض أن يستفيد المؤلف من المقارنات العروبية المتوفرة في الدراسات الأجنبية، وخصوصاً فيما يخص الأعلام، غير أنه اقتصر في شرحه على الأخبار دون التحاليل اللغوية المقرنة.

ولعبدالعال سالم مكرم، كتاب بعنوان المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم[٤١]، وقد يوحي العنوان بأنه من صنف معاجم لغة القرآن، وهو في حقيقته، دراسة لمجموعة من كتب التراث التي اهتمت بالأشباه والنظائر في اللغة وفي القرآن،

---

(٣٤) حققه نديم مرعشلي، دار الكتاب العربي، (دون تاريخ).

(٣٥) حققه سمير طه المجذوب، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨/ ١٩٨٨.

(٣٦) حققه علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤٢٠/ ٢٠٠٠.

(٣٧) حققه وعلق عليه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق - بيروت، ١٤٢١/ ٢٠٠٠.

(٣٨) حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٠/ ١٩٩٩.

(٣٩) دراسة وتحقيق عبدالله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ١٤٠١/ ١٩٩٢.

(٤٠) دار الفكر العربي، ١٣٨١/ ١٩٦١.

(٤١) صدر الكتاب في مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.

ولم يتعد فيه تقديم نماذج محدودة من كتبه التي درسها في حدود الدراسة التقليدية المعروفة(٤٢).

ووضع مجمع اللغة العربية بالقاهرة معجم ألفاظ القرآن الكريم(٤٣). اكتفى المعجم بالشروح اللغوية المبسطة دون الإشارة إلى الدخيل أو الأعجمي أو المعرب، يقول الشارحون مثلا في «أباريق»: «أباريق جمع إبريق: وهو إناء له خرطوم وقد تكون له عروة»(٤٤). وفي «سندس»: «السندس: رقيق الديباج، وهو الحرير المنسوج الذي يتلون ألوانًا»(٤٥). ووقفوا وقفات مختصرة عند أسماء البلدان والمدن، فهم يقولون في «مصر» مثلا: «المصر: البلد العظيم فيه الأسواق والحكام. ويجمع على الأمصار. ومصر: القطر المحروس حماه الله»(٤٦). وأشاروا إشارات خفيفة في تفسير الحيوان، يقولون مثلا في «النون»: الحوت. وذو النون من الأنبياء يونس عليه الصلاة والسلام، سمي بذلك لأن الحوت التقمه ثم أخرجه من جوفه»(٤٧). ولم تورد هذه الطبعة أسماء الأعلام، وهي مظنة للبحث الفقهي اللغوي المقارن، الذي يبحث في اللغة العروبية القديمة، ملاحظتنا هذه لا تروم التنقيص من هذا العمل الجليل، ولعل هدف المجمع من عمله هذا، أن يقرب لغة القرآن للقارئ العادي، ونأمل من مجمع القاهرة الذي بدأ هذا العمل الجليل، أن يضع اليد في اليد، مع المجامع العربية الأخرى، وهي اليوم والحمد لله، مرصعة بعلماء من ذوي المعارف المتعددة، ويتحلون بمفهوم جديد للبحث اللغوي، لوضع موسوعة القرآن العظيم، في تصور يتعدى ذاك الذي كان يستقل به المستشرقون بدعوى أنهم الأقدر على التعامل مع اللغات العروبية القديمة التي كانوا يسمونها «سامية» نسبة إلى سام بن نوح.

---

(٤٢) جاء في تاريخ التراث اللغوي ذكر لكتب تدخل في باب لغة القرآن، منها: كتاب الأشباه والنظائر لمقاتل بن سليمان (ت١٥٠هـ) وغريب القرآن لأبي فيد السدوسي (ت١٩٥هـ) وغريب القرآن لأبي محمد يحيى اليزيدي (ت٢٠٢هـ) وغريب القرآن للنضر بن شميل (ت٢٠٣هـ) ومجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى (ت٢١٠هـ) وغريب القرآن للأصمعي (ت٢١٣هـ) وغريب القرآن لمحمد بن سلام الجمحي (ت٢٣١هـ) وغريب القرآن لأبي عبيدة بن محمد الهروي (ت٤٠١هـ).

(٤٣) الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط ثانية، ١٣٩٠ / ١٩٧٠. (جزءان، ج١، من الهمزة إلى السين، ٦٤١ صفحة ج٢ من الشين إلى الياء، ٩١٨ صفحة).

(٤٤) ج١، ص٢.

(٤٥) نفسه، ص٦٢٣.

(٤٦) نفسه، ج٢، ص٦٣٧.

(٤٧) نفسه، ج٢، ص٧٧٧.

وكما لم يهتم معجم المجمع باللغات العروبية القديمة، لم يهتم أصحاب الكتب المذكورة أعلاه، بالعروبي القديم في القرآن، وكثير من «غريبهم» كان معروفًا مستعملا رائجًا، ومع ذلك فمادة هذه الكتب - ولهذا أشرنا إليها - غنية جدًا، وتصلح لتكون مدونة للعروبي القديم في «العربية الفصحى» عامة، وفي القرآن خاصة، إذا ما درست بهذا المفهوم، واستعان الدارسون لها بأدوات فقه اللغة المقارن ونتائج الأبحاث اللسانية المقرنة، ومناهج التأثيل، ونأمل أن تسمح لنا الفرصة بدراسة مناهج هذه المؤلفات وطرق اختيار مصادرها وإلى أي حد تبين مدونوها هذا الامتداد الزمني البعيد في أرض لم تكوّن فيها الجزيرة العربية إلا جزءًا، ولم يمثل فيها المتكلم بالعربية إلا فصيلا ورث حضارة عريقة في الزمن والمكان.

ومن المؤلفات التي بحثت في «عروبي» لغة القرآن كتاب الدكتور علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم[48].

الكتاب مقدمة تناولت قضية المعرب والدخيل والمولد، وما قيل فيها وبعض من تعرض لها رفضًا وقبولا. مع إيراد آي القرآن المستشهد بها في الحالين، وأقوال القدامى والمحدثين، ويخلص هو، بعد عود إلى عوائل اللغات العروبية، إلى أن ما في القرآن مما فسر بالفارسي أو الرومي أو غير ذلك، إنما هو عربي لم تتضح معالمه للدارسين، لأنه من قديم القديم، ثم قسم المؤلف محتوى الكتاب قسمين: أولهما جمع فيه «أشهر ما زعمت عجمته من ألفاظ قرآنية، نسبت إلى الفارسي أو الرومي (= اليونانية اللاتينية) وبيان عروبتها مرتبة ترتيبًا هجائيًا)، ودرس في هذا القسم ثمانية وثلاثين لفظًا مما ورد في القرآن، أولها إبريق وآخرها ياقوت، وأرجعها كلها إلى العروبي القح مما تحركت به ألسن العرب القدامى، ودرس في القسم الثاني المفردات القرآنية التي أوردها الأب أدي شير، في كتابه الألفاظ الفارسية المعربة، وعددها واحد وخمسون لفظًا، أولها «أبد» وآخرها «هاد» فأرجعها هي الأُخرى إلى أصولها العروبية القديمة، جهد محمود وجريء، ستكون له قيمته الأكاديمية عندما تعد العدة لـ «المعجم التاريخي العربي وموسوعة القرآن الكريم».

ونحن من هذا المنفذ ننظر في اللغة العروبية الواردة في القرآن، ونبدأ بملاحظتين: أولاهما: أن وجود اللفظ العروبي في القرآن، هو دليل آخر على إعجاز هذا الكتاب

---

(٤٨) صدرت الطبعة الأولى عن دار الشرق، بيروت، ١٩٩٧.

العظيم الذي لم ينحصر إعجازه في قوة تشريعه وعلو تمدن مراميه بقوانين الأخلاق الراقية، كما لم ينحصر في إشاراته التاريخية البعيدة في تاريخ الإنسان مما لا يستطيع معرفته إنسان عادي. وإنما هو إعجاز آخر تمثل في استعمال اللغة في سياقات تاريخية ما كان للعربي العادي أن يعرفها، وتمثل في ترجمة كثير من الكلم الذي صار نسيًا منسيًا عند فصحاء العرب، وكان من لسان آل إبراهيم أو آل موسى أو آل جرهم، فأعاد القرآن استعماله، لأنه أورده في سياق أحداث تاريخية هي من عهود الأسماء المشار إليها، وما كان العرب قادرين على معرفته في حالهم التي كانوا عليها، فعجزوا عن الإتيان بمثله بل عن فهمه، إن «الصرافة»، أي عجز العرب عن الإتيان بمثل القرآن بفعل إلهي وليس من قصور لغوي، غير كافية وحدها لتفسير الإعجاز، إن الذي يدل على الإعجاز هو العجز الحقيقي الذي وقع للعرب الفصحاء وهم يقرءون لفظًا عربيًا في بنيته، غريبًا في مفاهيمه وما يخفيه من معان هي نتاج تسلسل تاريخي طويل، لا قبل لهم بمعرفة مجرياته وأحداثه التاريخية.

وثانية الملاحظتين: أن العروبي القرآني المشترك، اشترك في أصول معانيه، لأن الوطن الأصل للناطقين باللغة العروبية كان واحدًا، وكان محدد الرقعة صغيرها، ثم اتسعت أرجاؤه، وتباعدت آفاقه، بسبب تغير المناخ، وشح الطبيعة، وتكاثر الخلق وعجز الأرض، فحدثت الهجرة وتباعدت الأنساب[٤٩]. وفي حال مثل هذه تتعرض اللغات لثلاثة تغيرات:

١- فقد يمحى مسمى من مسميات الموطن الأصل، إذا لم يوجد ما كان يدل عليه في الموطن الجديد، فيصير نسيًا منسيًا ثم يموت.

٢- يصطلح الناس على مسميات جديدة لم يكن ما تدل عليه موجودًا في وطنهم القديم، فينمو وعاء اللغة.

---

(٤٩) كتب حول موضوع المنبت البشري الأول واللغة الأولى أو اللغة الأم، الكثير والكثير، ونحيل في مسألة المنبت الأصل على كتاب «تاريخ العرب قبل الإسلام»، لجواد علي، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد، ١٩٦٨، الجزء الأول، وفي موضوع اللغة الأصل واللغات العروبية نحيل على «اللاتينية العربية»، دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، علي فهمي خشيم، مركز الحضارة العربية، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٩-٢٢، وملامح في فقه اللهجات العربيات، من الأكدية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، محمد بهجت قبيسي، دار شمأل، دمشق، ط. ثانية، ٢٠٠٠ ص١٠-١١ والكتابان يتميزان بجدة وبكثير من التأمل الفقه لغوي والتاريخي، ويمتعان برحلتهما اللغوية التي تنم عن هم معرفي يريدان به تعدي ما قد تفيد به اللغة إلى ما تفيد به الحضارة، ومؤلفات المؤلفين غير هذه، كلها تنحى هذا المنحى.

٣- قد يجاور المهاجرون متكلمين بلغات من عوائل أخرى لغوية، قد تكون قريبة النسب وقد تكون بعيدته، فيستعيرون منها ما يصير عندهم دخيلا، وقد يتأثرون في نطقهم بأصواتهم، خصوصاً إذا اضطروا إلى استعمال رموز كتابتهم، كما حدث بين السومارية واللغة الأكدية بسبب استعمال المقطع المسماري.

في هذه الهجرة القصيرة نسبيّاً، تظل بعض المسميات حية دون أن تتغير من الوجهة المعجمية وأصل الدلالة، تلك هي مسميات أعضاء جسم الإنسان، وأدوات استعماله البدائية، ووسائل عده أو وزنه، وبعض حيواناته وما اتصل بها، وبعض سكنه وما اتصل به، وبعض عاداته في العيش والتدبير، فهذه كلها تدخل في العروبي المشترك، فاليد ستظل دوماً يداً، والذئب سيظل دوماً ذئباً، والواحد سيظل دوماً واحداً، واليم سيظل دوماً يمّا، والماء سيظل دوماً ماء، والمثقال يظل دوماً مثقالا، والحرث والزرع والجذع، ستظل دوماً كذلك. فهذه ومئات من أشباهها هي هي في معظم اللغات العروبية، والضمائر التي بها يتصرف المتكلم في هذه اللغات هي هي، ف «أنا» و«أنت» و«هو» و«نحن» و«أنتم» و«هم»، ومتفرعاتها هي هي، اللهم إلا بتغيير صوتي بسيط، يحدث مثله اليوم بين متكلمي مدننا القريبة في المكان والزمان، فالضمير «أنا» في العربية الفصيحة يصير في العبرية «أني»، وتستعمله اللهجة المصرية اليوم بنفس نطق اللغة العبرية ويقال نفس الشيء في «أنت» و«أت»، ولن نشغل أنفسنا بمثل هذا في هذه النماذج التي سنقدمها، فهو من باب السائر المعروف، والقرآن مليء به، ولا يختلف عن العروبي القديم إلا بتغير مخارج الحروف فلفظ «الأرض» في العربية الفصيحة يقابله في العبرية لفظ «إرصْ» وفي الآرامية «أرعا» أو «أرقا» وفي بعض الأمازيغيات «أرفَوْان» التي تصبح في اللهجة المغربية «أرگية» و«ملك» في العربية الفصيحة يقابله في الأكادية «ملكو» وفي الآرامية «ملكا» وفي العبرية «مِلِخ»، وهكذا دواليك[٥٠].

نماذجنا في هذه الدراسة، ستقف عند بعض أسماء الأعلام، وبعض الكلمات التي وردت في القرآن بمعناها القديم وفهمها اللغويون بفهمهم السائر أيامهم، فجاء معناها كما فهموه، خارجاً عن سياق الحدث والقرائن البلاغية، وتقف عند نماذج ترجم النص القرآني معانيها العروبية القديمة إلى اللغة القرشية، دون أن يفطن الناس إلى ذلك، ونورد نموذجاً نهى عنه القرآن مستعمليه من صحابة الرسول، لأن معناه العبري الذي

(٥٠) انظر نماذج من العروبي المشترك: آشورية بابلية، إبلية، الكنعانية الفينيقية، الكنعانية الأوغاريتية، الآرامية، العربية السريانية، الآرامية المعاصرة، السبئية، الثمودية، من صفحة ٤٠٥ إلى ٦٩٦.

لم يعرفوه، يدل على شتم كان يبطنه أصحابه، وهم يستعملونه مرادفًا لفعل عربي قريبًا صوتًا.

أ- أسماء الأعلام:

ورد في القرآن من أسماء الأعلام إبراهيم وأبو لهب وأحمد وآدم وآزر وإسرائيل وإسماعيل وإلياس وأيوب وجبرئيل وجالوت وإدريس وداود وزكرياء وإسحق وسليمان وشعيب وطالوت ويعقوب وعيسى ولقمان ولوط وماروت ومريم ومحمد وميكائيل وموسى ونوح وهاروت وهارون وهامان وهود ويسع ويوسف ويونس، وورد فيه من الصفات: العزيز وفرعون، وكلها لها معانٍ لغوية إما مفردة وإما مركبة[٥١].

وننتقي من هذه للشرح في هذا البحث، اسم إبراهيم.

ورد اسم إبراهيم في القرآن اثنتين وستين مرة، أولها في سورة البقرة: ﴿ وَإِذِ ابْتَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ بِكَلِمَاتٍ فَأَتَمَّهُنَّ قَالَ إِنِّي جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا قَالَ وَمِن ذُرِّيَّتِي قَالَ لَا يَنَالُ عَهْدِي الظَّالِمِينَ ﴾ (آية ١٢٤)، ولم تهتم جل التفاسير بالمعنى اللغوي للاسم، فلم يفسره ابن كثيراً ولا الزمخشري مثلا، وقال فيه القرطبي: «وإبراهيم تفسيره بالسريانية، فيما ذكر الماوردي، وبالعربي، فيما ذكر ابن عطية: أب رحيم، قال السهيلي: وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ ألا ترى أن إبراهيم تفسيره أب راحم لرحمته بالأطفال»[٥٢].

ولم تهتم أيضًا جل الكتب اللغوية التي أشرنا إليها أعلاه بمعناه اللغوي، والذين عرفوا بإبراهيم عرفوا به بوصفه أعجميًا أو عرفوا به تاريخًا ولم يعرفوا به لغة وخصوصًا المحدثين منهم[٥٣].

من ذلك مثلا ما جاء في المعرب للجواليقي، في باب الهمزة التي تسمى الألف:

---

(٥١) شرحنا بعض أسماء الأعلام العروبية في بحث لنا عنوانه الأسماء الأعلام ودلالتها التاريخية في التوراة، نشر ضمن أعمال ندوة التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التأويل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط ١٩٩٢، ص٤٩-٦٦، لم نورد في هذا السرد أسماء المعبودات والأصنام.

(٥٢) مصدرنا فيما أخذناه من استشهادات أو تفاسير، هو القرص المدمج لصخر، أشار ابن كثير إلى شرح السهيلي لاسم إبراهيم، ولعل ذلك في تفسيره للقرآن، أما كتابه التعريف والإعلام فيما أبهم في القرآن من الأسماء الأعلام، فقد اكتفى فيه، في شرحه لاسم إبراهيم في تفسيره لـ: «وإذ قال إبراهيم لأبيه ءازر» (سورة الأنعام، آية، ٧٥)، بقوله: «اسم أبيه تارح بن ناحورا، وآزر اسم صنم كان يعبده، أي دع آزر...». (ص١٠٢-١٠٣).

(٥٣) انظر مثلا قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، ص١٢.

«أسماء الأنبياء صلوات الله عليهم، كلها أعجمية، نحو «إبراهيم» و«إسماعيل» و«إسحق» و«إلياس» و«إدريس» و«إسرائيل» و«أيوب»، إلا أربعة أسماء، وهي: آدم وصالح وشعيب ومحمد، فأما إبراهيم ففيه لغات، قرأتُ عن أبي زكرياء عن أبي العلاء، قال: «إبراهيم اسم قديم ليس بعربي، وقد تكلمت به العرب على وجوه، فقالوا: «إبراهيم» وهو المشهور، وإبراهام»، وقد قرئ به، و«إبراهم» [بهاء مثلثة الحركات = ُ َ] على حذف الياء، و«إبْرَهَمُ»، ويروى أن عبدالمطلب قال:

عذت بما عاذ به إبراهم مستقبل القبلة وهو قائم

ويروى لعبدالمطلب أيضًا:

نحن آل الله في كعبته لم يزل ذاك على عهد ابْرَهَم»[٥٤]

وكأن ابن منصور في لسانه، استقى مادة شرحه من المعرب للجواليقي أو استقيا معًا من مصدر واحد، فقد قال ابن منظور في مادة «برهم»:

و«إبراهيم: اسم أعجمي وفيه لغات: «إبراهام» و«إبراهَم» و«إبراهِم»، بحذف الياء، وقال عبدالمطلب:

عـذت بما عـاذ به إبراهم
مستقبلَ القبلة، وهو قائم
إني لك اللهم عـانٍ راغِم

وتصغير إبراهيم أُبَيْرَهٌ، وذلك لأن الألف من الأصل، لأن بعدها أربعة أحرف أصولا، والهمزة لا تلحق بنات الأربعة زائدة في أولها، وذلك يوجب حذف آخره، كما يحذف من سفرجل فيقال سفيرج، وكذلك القول في إسماعيل وإسرافيل، وهذا قول المبرد، وبعضهم يتوهم أن الهمزة زائدة إذا كان الاسم أعجميًا فلا يعلم اشتقاقه فيصغره على بُريهيم وسُميعيل وسُريفيل، وهذا قول سيبويه وهو حسن، والأول قياس، ومنهم من يقول بُرَيْهٌ بطرح الهمزة والميم»[٥٥].

والواضح من تفسير الجواليقي وابن منظور، أنهما لم يهتما بأصول الاسم وتركيبه، واكتفيا بالإشارة إلى أعجميته، مع العلم أن الأولى أن تطلق صفة الأعجمي على الدخيل الفارسي أو الرومي، ومركبات اسم إبراهيم كلها عروبية وردت بعروبيتها في التوراة العبرية.

---

(٥٤) المعرب للجواليقي، ص٦١، يتابع الجواليقي هنا شرح بقية أسماء الأنبياء التي اعتبرها أعجمية.

(٥٥) انظر لسان العرب، مادة «برهم».

جاء اسم إبراهيم في التوراة بصيغتين: الصيغة الأولى هي «أبْرَامْ» (تكوين ١١ / ٢٦)، ولم تفسر التوراة معناه، مع أن له معنى لغويّا، إذ الاسم مركب من «أب» وهو نفس المعنى العربي أو العروبي، أي أنه ورد في كل اللغات القديمة، بما فيها الهندو أوروبية[٥٦]. و«رم» ومعناه في اللغات العروبية «العالي»، وجاء هذا المعنى في القرآن في وصف «إرم» (المدينة العالية)[٥٧]. فيكون المعنى اللغوي هو «الأب الأعلى»، وأطلقت هذه التسمية على إبراهيم من بداية ذكره في التوراة حتى الإصحاح السابع عشر من سفر التكوين، حيث غير الاسم وأصبح «أبراهام» ومعلوم أن اسم إبراهيم غير في التوراة بعد تجربة المحنة، أي بعد أن أمره الرب بذبح ابنه وامتثاله للأمر على عظيم الفعل، وعندها جاء في التوراة: «فلا يدعى اسمك أبرام، بل يكون اسمك أبراهام، لأنـ[ك] أب جمهور، منك أمم تتناسل»، (التكوين، ١٧ / ٥)، وتفسيره اللغوي، كما جاء في التوراة نفسها، أنه سمي بذلك «لأنه صار أبًا لجمهور»، ولفظ جمهور بالعبرية هو «همون»، فيكون الاسم مركبًا كالآتي: أب+«ر» من ر«رم» = عال، + «هم» من لفظ «همون»[٥٨] = جمهور. أي أب أعلى لجمهور[٥٩].

وورود الاسم في اللغة العبرية، هو استعارة لألفاظ قديمة جاءت في النصوص الأكدية القديمة بصيغة «أبي رامو»، وفسرت بـ«محبوب أبيه»، أو «الأب الراحم»[٦٠]، كما جاء في كتب التفسير المشار إليها، ونحن نميل إلى المعنى الذي أخذناه من سياق التوراة، لأن هذه أوردت اللغة والحدث المفسر لها، وهما معًا يوافقان المعنى العروبي وسياقه التاريخي، وهذا ما ترجمته إليه اللغات الهندو - أوروبية، فقد جاء في معجم الأعلام الفرنسي "Abraham: Patiarche biblique": Petit Robert2 ثم تابع المعجم التعريف بالأحداث التاريخية مستقاة من العهد العتيق.

---

(٥٦) انظر كتاب

Démonstration de la parenté des Langues indo-européennes et sémitiques, Michel Honnrat, Paris, Librairie orientaliste Paul Geuthner, 1933, pp.100-101.

(٥٧) سنعود لـ«إرم» في حديثنا عن لفظ «عير».

(٥٨) نعتقد أن أصل لفظ «همون» العبري، هو «عمون»، (تداخل حروف الحلق) مجموع شعوب = عم (العامة + ون علامة الجمع، أو التنوين القديم).

(٥٩) يرى بعض الأحبار تفسيرًا آخر، إذ في رأيهم، لا تمثل «الهاء» جزءًا من «همون» وإنما هي «الهاء» الموجودة في اسم الله، وزيادة هذه الهاء في «أبرم» عندهم، دليل على مباركة الله إبراهيم وعهده معه بعد امتحان ذبح ابنه.

(٦٠) حول رموز القرآن، قاموس أصل اللغات، لغات قوم نوح، (العرب البائدة)، سومرية - أكدية، بهاء الدين الوردي، دار وليلي للطباعة والنشر، ١٩٩٦، ص١٢٦.

وكلمة Patriarche من اللاتينية patriarcha، استعيرت من الإغريقية Patriarkhês، وهذه مركبة من Pater التي تعني في الإغريقية «أب» وarkhein التي تعني قاد، حكم. أي الأب القائد، وإذا أرجعت المعاجم الأكاديمية Pater إلى الأصل العروبي «أب»، فإنها أغفلت أصول arkhein: القائد، ونحن نجد فيها لفظ «رشون» العروبية التي تعني الرأس، المقدم (القائد)، فيكون لفظ Patriarche يعني الأب الأعلى، كما بيناه قبل[٦١].

ونورد معاني بعض أسماء الأعلام القرآنية الأخرى مختصرة للاستئناس، تاركين التفصيل إلى دراسة أخرى أشمل.

آدم: ورد الاسم في السومارية والأوغاريتية، بمعنى أبي البشر.

آزر: قد تكون «آ» منقلبة عن «ع»، ويكون الأصل «عازر» واللفظ آرمي عبري. ومنه جاء في القرآن و«عزروه»، أي أعانوه. ويكون معنى اسم هذا المعبود: «المعين»[٦٢].

إسرائيل وإسماعيل وجبرائيل وميكال: هذه الأسماء مركبة من لفظين هما «إسر» و«إ+سمع» و«جبرا» و«ميكا»+إل.

فـ«إسرا» من الأسر في العروبي المشترك، بمعنى «وثق» (من الوثاق)، أسر (الأسر). والقصة التوراتية التي تحدثت عن أسباب تغيير اسم إسرائيل بيعقوب، تنحو هذا المنحى، أي سمي يعقوب إسرائيل من (إسرا+«إل» (من إلهيم = «الرب»)، لأنه أسر (صارع) «إلهيم»[٦٣].

---

(٦١) Dictionnaire étymologique, J.Mathieu-Rosay, Les nouvelles Editions marabout, Alluer Belgique, 1985, p381. Petit Robert 2, (Paris 1975), p.5.
Démonstration de la parenté des Langues indo -européennes et sém itiques, p.101.

(٦٢) اختلف المفسرون فمنهم من رأى أنه اسم لأب إبراهيم، ومنهم من اعتبره اسم معبود كان قوم إبراهيم يعبدونه، وتفسيرنا هنا ينحى هذا المنحى.

(٦٣) «إل» اسم من أسماء الربوبية في العبرية وكذا في اللغات العروبية الأخرى، وورد في القرآن في صيغة تأنيث «اللات»، ويعني الاسم: إسرائيل حرفيًا في التوراة: «الذي صارع (أسر) الرب «تعالى الله عن ذلك علوًا كبيراً، فقد جاء في قصة طويلة في التوراة، أن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم، صارع ذات ليلة «شخصاً» = «إلهيم»، ودام الصراع الليل كله، فلما قرب الصبح، رجا، «إلهيم»، من يعقوب أن يفكه، فقال يعقوب لا أفعل حتى تباركني، قال «إلهيم» ليعقوب: «ما اسمك؟» قال: «يعقوب»، فقال: «لا يدعى اسمك بعدها يعقوب، بل إسرائيل، لأنك تصارعت مع الرب (مع إلهيم) = والناس وقدرت..» (سفر التكوين، إصحاح ٣٢، عدد ٢٨-٣٠)، ولأن هذا مخالف للعقيدة والعقل، زعم مفسرو التوراة أن المأسور (المصارع) هو «ملاك» على الرغم من أن لفظ «إلهيم» لا يعني إطلاقًا في اللغة العبرية «ملاكًا»، فهو اسم من أسماد الربوبية بشهادة اللغة العبرية، والسهيلي في كتابه التعريف والإعلام، يقول في قوله تعالى: «يا بني إسرائيل» (البقرة آية، ٤٦)، يعقوب بن إسحاق، وسمي إسرائيل، لأنه أسرى ذات ليلة حين هاجر إلى الله.. فسمي إسرائيل، أي أسرى إلى الله أو نحو هذا، فيكون بعض الاسم عبرانيًا وبعضه موافقًا للعربي، وكثيراً ما يقع الاتفاق بين السرياني والعربي أو يقاربه في اللفظ..» ص٥٩-٦٠.

و«إسمع» مركب من «سَمِعَ»، وهو مشترك الدلالة في اللغات العروبية، و«إل»: «سمع+ إل». والهمزة العربية في مزيد[٦٤].

و«جبرئيل» مركب من «جبرا»، وهو لفظ أكدي «گبْرو» وآرامي، ويعني القوة، ومنه في السريانية «جبروت» بصيغته الآرامية السريانية، فمعنى الاسم «جبرا+إل» قوة الله.

و«ميكا» مركب من «مكك»، وهو لفظ آرامي وعبري، بمعنى احتاج وافتقر، ومعنى الاسم «ميكائيل» المفتقر إلى الله.

وشبيه بهذه الأسماء «إسراف+إل»: نار الرب. «رفأ+إل»: شفاء الله. «عزرا+إل» عون الله[٦٥].

ب- كلمات وردت في القرآن بمعناها القديم (نموذج)

١- العير:

وردت لفظة العير في القرآن الكريم ثلاث مرات: ﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهَازِهِمْ جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَّنَ مُؤَذِّنٌ أَيَّتُهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَارِقُونَ ﴾. (يوسف، ٧٠).

﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾. (يوسف، ٨٢).

﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلا أَن تُفَنِّدُونِ ﴾. (يوسف ٩٤).

لم يشر ابن كثير في شرحه للفظ عير، واكتفى صاحب تفسير الجلالين بقوله: «القافلة». أما القرطبي فقال: (العير ما امتير عليه من الحمير والإبل والبغال. قال مجاهد: «كان عيرهم حميراً». قال أبو عبيدة: «العير الإبل المرحولة والمركوبة، والمعنى يا أصحاب العير، كقوله «واسأل القرية»)[٦٦].

وجاء في الكشاف للزمخشري (تـ ٥٣٨): «العير: الإبل التي عليها الأحمال، لأنها تعير: أي تذهب وتجيء. وقيل هي قافلة الحمر، ثم كثر حتى قيل لكل قافلة عير، كأنها جمع عير.. والمراد أصحاب العير»[٦٧]. ولم يزد على هذا. بينما قال في أساس

---

(٦٤) وسبب تسمية إسماعيل في القصة التوراتية أن سارة آذت جاريتها «هاجر» التي زوجتها زوجها إبراهيم لتلد له بعد ظهور حبلها، ففرت هاجر، ولاقاها ملاك الرب، وأمرها بالعودة إلى سيدتها وقال لها: «لأكثرن نسلك حتى لا يحصى.. هو ذا أنت حابل، وستلدين ابنًا تسمينه شِمَعْئيلْ، لأن الرب («يهوه» = إل) سمع تضرعك = الرب سمع (إل سمع، سمع إل)، وردت القصة في سفر التكوين، إصحاح ١٦، بالأخص الفقرة ١١.

(٦٥) لا يتسع لنا المقام لشرح كل أسماء الأعلام الواردة في القرآن بهذه الطريقة، وقد أوردنا نماذج منها في مقالنا «أسماء الأعلام ودلالتها التاريخية في التوراة»، المشار إليه.

(٦٦) القرص المدمج صخر.

(٦٧) الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ، ج.٢، ص٣٣٤.

البلاغة: «عير: يقال للموضع الذي لا خير فيه: «هو كجوف العير». وهو الحمار لأنه ليس في جوفه ما ينتفع به. وقيل: رجل خرب الله واديه، قال:

لقد كان جوف العَيْر للعين منظرًا أنيقًا وفيه للمجاور منفس
قد كان ذا نخل وزرع وجامل فأمسى وما فيه لباغ مُعرسُ

وفلان نسيج وحده وعُيير وحده. وفعل ذلك قبل عير وما جرى. أي قبل عير وجريه: يراد السرعة. وقيل: العير: إنسان العين أي قبل لحظة[٦٨]. وسهم عائر: غرب. وفرس عائر وعيار. وقصيدة عائرة: سائرة. وما قالت العرب بيتًا أعير منه. وهمة عائرة. وتعاير القوم: تعايبوا. ويقال: إن الله يغير ولا يعير. وعاير المكاييل والموازين»[٦٩].

وورد للفظ العير في بعض كتب الغريب والمعاجم التي أشير إليها، معان كالتالي:

فقد قال غلام ثعلب في سورة يوسف: «القرية: أهل القرية والعير: أهل العير»، ولم يزد[٧٠]. وقال عبدالله بن مسلم بن قتيبة: «العير: القوم على الإبل»[٧١]. وقال الراغب الأصفهاني: «العير: القوم الذين معهم أحمال للميرة. وذلك اسم للرجال والجمال الحاملة للميرة، وإن كان قد يستعمل في كل واحد من دون الآخر. (أورد الآيات الثلاثة) ثم قال: والعير يقال للحمار الوحشي وللناشز على ظهر القدم، ولإنسان العين، ولما تحت غضروف الأذن، ولما يعلو الماء من الغثاء، وللوتد، ولحرف النصل في وسطه، فإن يكن استعماله في كل ذلك صحيحًا، ففي مناسبة بعضها لبعض منه تعسف. والعيار تقدير المكيال والميزان. ومنه قيل عيرت الدنانير. وعيرته ذممته من العار. وقولهم تعاير بنو فلان، قيل معناه تذاكروا العار. وقيل تعاطوا العيارة، أي فعل العير في الانفلات والتخلية. ومنه عارت الدابة تعير، إذا انفلتت. وقيل فلان عيار[٧٢].

ومما جاء فيه عند ابن منظور: «العير الحمار، أيا كان أهليًا أو وحشيًا، وقد غلب على الوحشي، والأنثى عيرة.. والجبل الذي بالمدينة اسمه عير.. فأما قول الشاعر:

أفي السلم أعيارًا جفاء وغلظة وفي الحرب أشباه النساء العوارك

---

(٦٨) يظهر لنا هنا بعض النقص في الجملة، ولم يشر إلى ذلك الناشر.

(٦٩) أساس البلاغة، دار صادر، دار بيروت، بيروت، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م، ص٤٤٢.

(٧٠) غريبه المذكور أعلاه، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٧١) في كتابه المذكور أعلاه، ص٢١٩.

(٧٢) المفردات، ص٣٦٦-٣٦٧.

فإنه لم يجعلهم أعياراً على الحقيقة لأنه إنما يخاطب قوماً، والقوم لا يكونون أعياراً وإنما شبههم بها في الجفاء والغلظة.. وأما قول سيبويه: «لو مثلت الأعيار في البدل من اللفظ بالفعل لقلت: أتعيرون، إذا أوضحت معناه. فليس من كلام العرب. إنما أراد أن يصوغ فعلا، أي بناء كيفية البدل من اللفظ بالفعل. وقوله: لأنك إنما تجريه مجرى ما له فعل من لفظه، يدلك على أن قوله: «تعيرون» ليس من كلام العرب.. والعير العظم الناتئ.. والعير: الوتد. والعير: الجبل. وقد غلب على جبل بالمدينة والعير: السيد المالك. وعير القوم سيدهم.. والعير: الطبل وعار الفرس والكلب يعير عيراناً: ذهب كأنه منفلت من صاحبه.. ورجل عيار: إذا كان كثير التطواف والحركة ذكيّا.. والعيرانة من الإبل: الناجية في نشاط.. والمعيار من المكاييل.. وعيرت تعييراً إذا وزنت واحداً واحداً. يقال هذا في الكيل والوزن.. والعير مؤنثة، القافلة، وقيل، العير: الإبل التي تحمل الميرة، لا واحد لها من لفظها.. العير: كل ما امتير عليه من الإبل والحمير والبغال، فهو عير.. وقيل: هي قافلة الحمير، وكثرت حتى سميت بها كل قافلة، فكل قافلة عير، كأنها جمع عير.. [و] هم يتعيرون من جيرانهم الماعون والأمتعة.. وعير القوم بعضهم بعضاً.. والعارية المنيحة.. والمُستعير: السمين من الخيل. والمعار: المسمن، يقال أعرتُ الفرس أسمنته.. والعير:.. اسم موضع خصيب غيره الدهر فأقفر، فكانت العرب تستوحشه وتضرب به المثل في البلد الوحش...»[73].

وفي تحفة الأريب لأبي حيان الأندلسي: «العير: الإبل تحمل الميرة»[74]. وفي بهجة الأريب للتركماني: «العير: القوم على الإبل، وقيل: إبل تحمل الميرة»[75]. وفي غريب الصنعاني: «العير: الإبل تحمل الميرة»[76]. وفي قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية لمحمد إسماعيل إبراهيم: «العير: القافلة»[77]. وجاء في معجم ألفاظ القرآن الكريم، لمجمع اللغة العربية[78]: «العير: قد تدور المادة حول الظهور الحسي ثم المعنوي، ومنه القوة

(٧٣) لسان العرب، مادة «عير».

(٧٤) ص٢٢٣.

(٧٥) ص١١٠.

(٧٦) ص٢٣٩.

(٧٧) ص٢٦٩.

(٧٨) الطبعة المشار إليها أعلاه، ج٢، ص٢٦٥.

والحمل، فالعير : نتوء في الصخرة. والعير : الوتد. ثم العير : سيد القوم. وعار يعير : سار واشتهر. وقصيدة عائرة : أي سائرة. ومن هذا العير : القوم معهم حملهم من الميرة، يقال للرجال وللجمال معًا، ولكل واحد منهما دون الآخر. وقد ورد في القرآن كذلك في : (أيتها العير إنكم لسارقون) (يوسف ٧٠) هو للرجال. ومثله. (والعير التي أقبلنا فيها) (يوسف ٨٢) هو للقافلة»[٧٩].

ومن هنا، فإن المفسرين واللغويين الذين فسروا كلمة «العير» الواردة في سورة يوسف، فهموها بمعناها الرائج عندهم، أي «الحيوان» (حميراً أو إبلا أو بغالا). ومن أزعجه أن يُؤمر الإنسانُ في الآيات القرآنية، في مسمى حيوان، بحث عن طرق الحذف وغيره (أصحاب الإبل)، ليخرج من حرج الاستعمال. والواضح أن أصحاب هذه النماذج التي أوردناها بحرفها قصداً، كانوا يؤولون ويستخرجون المعاني من السياق لا من حقيقة اللغة. وواضح أيضًا أن التحرج كان باديًا في تفاسيرهم هذه، وهم يجدون في تلك الآيات، الخطاب موجهًا إلى أناس جاءوا ليكتالوا وليس إلى حمر أو إبل أو قوافل. والواقفون عند اللفظ مطولا في هذه النماذج، فرعوا المعاني تفريعًا، وجل المعاني التي استخرجوها، تجمع بين طرفي نقيض، من الحيوان إلى صاحبه وفعل صاحبه. وفي مستخرجاتهم ما ارتبط بالبداوة المحضة، وبأسماء الأماكن، وفيه ما هو من صور التحضر والعمران. من ذلك الرياسة، والتبادل التجاري، واستعمال معايير النقد ومقاييس المساحة، ومنازعات التمدن، وبديع القول المرتبط بالرخاء. ولم يقعوا على المعنى الذي كان يدل عليه اللفظ العروبي : «المدينة»، مع أن الزمخشري قرب منه قربًا كبيراً في استشهاده الشعري الذي أتى به :

لقد كان جوف العير للعين منظراً	**أنيقًا وفيه للمجاور منفس**
قد كان ذا نخل وزرع وجامل	**فأمسى وما فيه لباغ مُعرسُ**

فجوف العير هنا يدل على عمران كان جميل المنظر، يعج بالحركة غراسة وزرعًا، وبالتجارة ينشطها الجمالون وذوو الركائب[٨٠]. وهذا ما أشار إليه ابن منظور أعلاه حيث قال : «... اسم موضع خصيب غيره الدهر فأقفر، فكانت العرب تستوحشه

(٧٩) يلاحظ أن الكثير من الكتب التي اهتمت بالغريب وبالمعجم القرآني، مما أوردناه أعلاه، لم يهتم بالوقوف عند لفظ «عير».

(٨٠) لقد بعد المعنى العمراني للفظ عير عند اللغويين حتى فسروه بما هو مخالف للعقل واللغة، وهذا ما يتضح في تأويل الزمخشري لمعنى جوف العير، حيث قال : «يقال للموضع الذي لا خير فيه : «هو كجوف العير»، وهو الحمار لأنه ليس في جوفه ما ينتفع به، مع أن البيتين الشعريين المستشهد بهما أزالا كل التباس.

وتضـرب بـه المثل في البـلد الوحش...» فـهل يعني هذا أن ذلك «الموضع» هو تلك الحضارات العروبية التي استعملت لغة أصلا أو من أصل مشترك، كانت العربية الفصيحة هي وريثتها، ونسي الناس بعض مستعملها فصار مهملا إهمالا قد يدخل في مصطلح الخليل وقد يخالفه؟ المهم أن القرآن استعمل «مستعملاً» كان قد «أهمل»، وهو «العير» في سورة يوسف (آية ٧٠ وآية ٨٢) اسماً يعني «المدينة»، في مجاز أصبح من خاصية العربية، وهو المعروف في البلاغة بـ«علاقة الحالية والمحلية»، فكثرة المكتالين جعلت مؤذن (منادي) الملك، يتخيل هذه الجموع من البشر الذين دفع بهم القحط إلى أرض مصر ليكتالوا، مدينة كاملة، فصاح فيهم «أيتها العير إنكم لسارقون»، يريد: «يا أهل المدينة إنكم لسارقون». وهذا هو المجاز الذي تؤكده الآية ٨٢، حيث جاء ﴿ وَسْئَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ ﴾. فالمقابلة هنا هي مقابلة عمرانية. إذ لا يعرف جمع من الحيوان يسمى «قرية» ليقارن بين مفهوم قرية = حيوان ومفهوم «عير» حيوان. إن المقارنة عمرانية اجتماعية حضارية محضة. مقارنة أهل قرية بمقارنة أهل «عير» - مدينة. وهذا ما يدل عليه فقه اللغة المقارن. فلفظ عير لفظ عروبي مشترك قديم. فهو في السومارية «أورو» و«إري»[٨١]. وفي الأوغاريتية «عر» جمعه «عرم»[٨٢]. وفي العبرية «عير». ويعني عامة: المكان الممتلئ. وكل ما ينتج عنه حراك أو يحدث فيه نشاط جماعي أو يقظة. ومن هذه صار يعني مجمع النشاط البشري ثم المدينة في اللغات المذكورة. وخصصت العبرية اللفظ بـ«المدينة حتى اليوم»[٨٣]. ولا ننسى أن إبراهيم (عليه السلام)، كان قد خرج من «أور» التي هي «عير»[٨٤]. فاللغة الأكدية

---

(٨١) ورد اللفظ مفرداً أو مركباً منسوباً في عديد من النصوص السومارية، انظر هذه النصوص، وهي كثيرة في
Inscriptions ROYALES sumeriennes et akkadiennes, E. Sollberger, Jean-Robert Kupper, Les Editons du CERF, PARIS, 1971.

(٨٢) ورد اللفظ في النصوص الأوغاريتية، انظر:
Textes ougarituques T.1, Mythes et Légendes, Introduction, Traduction, Commentair, A.Caquot, M. Sznycer, A. Herdner, Les Editons du CERF, Paris, 1974, pp.215, 473.
وانظر ملامح في فقه اللهجات العربيات، محمد بهجت قبيسي، ص٥٥٢.

(٨٣) Langue hébraïque restituée, Fabre-d'Olivet, C. Delphica, l'Age d'Homme, suisse, 1975, (Premiére partie, Racines hébraïques, p.98.

(٨٤) كانت تقع مدينة «أور» في جنوب مدينة بابل، وقد عثر على موقعها في ردائم المقير، انظر
Luce BOTTE, Encyclopédie de la Bible, Srquoia-Elsevier, Paris-Bruxelles, 1961-1967, p.246.

استعارت رموز الكتابة السومارية، ولم يكن فيها صوت يمثل (ع). فكانوا يكتبون هذا الصوت بـ(أ). ومن هنا نقلت لنا النقوش والنصوص الدينية القديمة اسم المدينة هكذا «أر»[٨٥] التي صارت في الحرف اللاتيني (UR)، وهي «العير». وبالمناسبة نشير إلى الآية ٧ من سورة الفجر، ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِعَادٍ إِرَمَ ذَاتِ الْعِمَادِ﴾، فقد أورد جواد علي في تاريخ العرب قبل الإسلام، أقوال المفسرين والمؤرخين والمستشرقين، وذكر من بين اختياراتهم «لإرم» أنها مدينة في «تيه أبين» بين عدن وحضرموت»، أو «دمشق» أو «الإسكندرية»[٨٦]. ونحن هنا لا تهمنا هذه المناقشات التاريخية وإنما يهمنا ربط لفظ «عير» بـ«إرم»، كما نتصوره بعد التحليل الذي قدمنا. ذلك أنا نعتقد أن «إرم» مركبة من كلمتين: «إر» و«رم». فـ«إر» هي «عر» (عير)، كتبت في الأصل بالكتابة السومارية التي ليس فيها صوت «ع» كما سبق أن بينا. وهي «المدينة» و«رم» تعني العالية فتكون إرم = (عير رم): هي المدينة العالية، وهي المعاني التي أشار إليها جواد علي في المصدر السابق دون أن يربط هذه المعاني بالتطور اللغوي والصوتي. وفي اللغة تراكيب شبيهة لهذه، مثل «هرم»، فاللفظ مركب من: «هر»: جبل و«رم»: عالي: الجبل العالي[٨٧].

ولا غرابة أن نجد لفظ «عير» ينتقل إلى اللغات الهندو أوروبية في صيغة URBAIN، التي أرجعتها المعاجم الفرنسية التأثيلية إلى اللاتينية في urbanus من urbs,is التي تعني المدينة (عير). ولم تنبه هذه المعاجم إلى الأصل البعيد العروبي. فلم تشر إلى علاقة UR(bain) بـ«عير» = المدينة، كما بينا. ولم تلحظ في urBANUs البناء والبنيان[٨٨]. وعليه فالمعنى اللاتيني أخذ اللفظ العروبي بنصه ومعناه: بناء المدن وعمارتها، واشتق منه مشتقات أخرى هي: Urbanisation, urbaniser, urbanisme, urbanité.

ونتساءل ما العلاقة بين مفهوم «العير» = المدينة المتداول في اللغات العروبية، والعير الحيوان عامة أو خاصة، في اللغة العربية الفصحى، كالحمر والإبل والقوافل، مع العلم

---

(٨٥) بدون حركات، إذ لم يكن في اللغات العروبية - باستثناء الأوغاريتية - رموز تمثل الأصوات أوالحركات.

(٨٦) تاريخ العرب قبل الإسلام، ج١، ص٣٠٠ وما بعدها.

(٨٧) ورد اللفظ «رمه» بمعنى المدينة وبمعنى العلو، وخصوصاً في وصف المدن، كثيراً في العهد القديم، سفر راعوث ٤ / ١٩، سفر يهوشع ١٨ / ٢٥، الملوك الأول ١٥ / ١٧، سفر إرميا ٣١ / ١٥، سفر صموئيل الأول، ٧ / ١٧. وفي أسفار أخرى.

(٨٨) أشار الدكتور علي فهمي خشيم، في كتابه «اللاتينية العربية»، ص٢٢٨، إلى العلاقة المعنوية التي بين urbs. urbis والدوران، «إحاطة السور بالمدينة أو البلدة والقرية قديماً خشية الهجوم وللدفاع عنها...» ولم يشر إلى هذه العلاقة اللغوية الواضحة.

أن هذه اللغات هي أيضا استعملت لفظ «العير» للحيوان. فـ«العير» في اللغة المصرية القديمة يعني الحمار. فنقول: إن الأصل في الحيوان أن يعيش مستوحشا دون تهذيب، فهو في فيافيه وصحاريه وغاباته غير مستأنس ولا متآلف، ولما أراد الإنسان استخدامه دجنه وألفه وأصبح يساكنه في المدينة = «العير»، وصار يعرف بـ«العيري»، العير، تمييزا له عن المتوحش غير المستأنس. ثم نسي العربي (في فُصْحاه) هذا الاستعمال العربي القديم، (صار مهملا)، وتعامل مع الوصف (المجاز)، على أنه الحقيقة. فخفي عن الناس الاستعمال القرآني الحضاري، الذي لا يسمح لمؤذن الملك المتحضر، أن ينادي الناس بأسماء أو صفات الحمر وما أشبه، فاستعمل هو لفظا عروبيا قديما هو «العير» «المدينة»، التي تعني في الأصل تجمعا بشريا صار الواحد منهم يقضي حوائج الآخر أو المجموع، في تبادل وتراتبية هي أصل العقد الاجتماعي، فالمعنى القرآني إذن معنى عمراني حضاري ينادي فيه المنادي: «أيتها المدينة إنكم لسارقون»، يا أهل المدينة... أو ما سماه الزمخشري: «أصحاب العير»، وما كان معنى المناداة بصفة الحمر أو الإبل ليستقيم، وإلا لكانت قد حدثت أزمة سياسية شبيهة بما يحدث عندنا، عندما تهين أمة أمما أخرى. فالمكتالون قد وردوا من كيانات سياسية أخرى مختلفة. وما كان أولئك الأقوام يعيشون بدون أعراف وقوانين، لأنهم لو كانوا كذلك، ما كان يوسف ليبحث عن أسباب شرعية بها يأخذ أخاه، فابتدع سيناريو سرقة صواع الملك، ليحاكم «السارق» بقوانين هو يعرفها مقدما، لأنه منهم طبعا ويعرف قوانينهم، ﴿قَالُوا فَمَا جَزَاؤُهُ إِن كُنتُمْ كَاذِبِينَ قَالُوا جَزَاؤُهُ مَن وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ﴾(٨٩).

ج- تعبير عروبي قديم وترجمة القرآن له

نورد نموذجا من هذا الاستعمال القرآني في سورة إبراهيم، الآية ٣٩ ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي وَهَبَ لِي عَلَى الْكِبَرِ إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ﴾، أوردنا أسباب تسمية إسماعيل، عندما شرحنا معنى هذا الاسم، وقلنا بأن معناه في سياقه العبري، استجابة الله لدعاء هاجر وسماع تضرعها. وعليه فقوله تعالى «إن ربي لسميع الدعاء» هو ترجمة للاسم في تركيبه العروبي القديم: «شِمَعْئِلْ» «سمع ئل» «سمع الرب».

(٨٩) سورة يوسف ٧٤-٧٥.

د- تعبير عروبي قديم أورد القرآن ترجمته فقط

ورد التعبير في سورة سبأ آية ١٦ ﴿فأعرَضُوا فأرسَلنَا عَلَيهِمْ سَيلَ العَرِمِ....﴾ وفسر ابن كثير اللفظين قال: «المراد بالعرم المياه، وقيل الوادي، وقيل الجرذ، وقيل الماء الغزير...» - ثم نقل عن مفسرين آخرين - قال: «إن الله لما أراد عقوبتهم [قوم عاد] بإرسال العرم عليهم، بعث على السد دابة من الأرض يقال لها الجرذ نقبته، قال وهب ابن منبه: وقد كانوا يجدون في كتبهم أن سبب خراب هذا السد هو الجرذ، فكانوا يرصدون عنده السنانير برهة من الزمان، فلما جاء القدر غلب الفأر السنانير وولجت إلى السد فثقبه فانهار عليهم. وقال قتادة وغيره: الجرذ هو الخلد، نقبت أسفله حتى إذا ضعف ووهن وجاءت أيام السيول صدم الماء البناء فسقط، فانساب الماء من أسفل الوادي وضرب ما بين يديه من الأبنية والأشجار وغير ذلك، ونضب الماء عن الأشجار التي في الجبلين، عن يمين وعن شمال، فيبست وتحطمت...».

وجاء عند القرطبي: «العرم فيما روى ابن عباس: السد. فالتقدير: سيل سد العرم. وقال عطاء: العرم اسم الوادي. قتادة: العرم وادي سبأ، كانت تجتمع إليه مسايل من الأودية، قيل من البحر وأودية اليمن، فردموا ردمًا بين الجبلين، عن يمين وعن شمال، فيبست وتحطمت...».

وجاء عند القرطبي: «العرم فيما روى ابن عباس: السد. فالتقدير: سيل سد العرم. وقال عطاء: العرم اسم الوادي. قتادة: العرم وادي سبأ، كانت تجتمع إليه مسايل من الأودية، قيل من البحر وأودية اليمن، فردموا ردمًا بين الجبلين، وجعلوا في ذلك الردم ثلاثة أبواب بعضها فوق بعض، فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الثاني ثم من الثالث على قدر حاجتهم، فأخصبوا وكثرت أموالهم، فلما كذبوا الرسل سلط الله عليهم الفأر فثقب الردم.. ثقبت السد [فأرة] حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون، فلما جاء السيل دخل تلك الخلل حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم.. وقال الزجاج: العرم اسم الجرذ الذي ثقب السد عليهم، وهو الذي يقال له الخلد فنسب السيل إليه لأنه بسببه، وقال ابن الأعرابي: العرم من أسماء الفأر، وقال مجاهد: العرم ماء أحمر أرسله الله تعالى في السد فشقه وهدمه. وعن ابن عباس أيضًا أن العرم المطر الشديد. وقيل العرم بسكون الرآء. وعن الضحاك، كان في الفترة بين عيسى ومحمد عليهما السلام. وقال عمر بن شرحبيل: العرم: المسناة. وقاله الجوهري. قال ولا واحد من لفظه. ويقال

واحدها عرمة. وقال محمد بن زيد: العرم كل شيء حاجز بين شيئين، وهو الذي يسمى السد، وهو جمع عرمة. النحاس، وما يجتمع من مطر بين جبلين وفي وجهه مسناة، فهو العرم. والمسناة هي التي يسميها أهل مصر الجسر، كانوا يفتحونها إذا شاءوا، فإذا رويت جناتهم سدوها. قال الهروي: المسناة الضفيرة تبنى للسيل ترده، سميت مسناة لأن فيها مفتاح الماء وروي أن العرم سدّ بَنَتْه بلقيس صاحبة سليمان، عليه الصلاة والسلام، وهو المسناة بلغة حمير. بنته بالصخر والقار، وجعلت له أبوابًا ثلاثة بعضها فوق بعض، وهو مشتق من العرامة، وهي الشدة»[٩٠].

وواضح من هذين النصين اللذين نقلناهما حرفًا، عن قصد، أن الفهم اللغوي المدقق كان غائبًا عند المفسرين وعند من نقلوهما عنهم، بل غاب عن بعضهم التمييز فخلط بين النقول، حتى جعل الجرذ هو نفسه العرم. وهذا مخالف للفهم اللغوي البسيط.

وقد كان جلال الدين الحلي والجلال السيوطي، أقرب إلى منطق اللغة من الآخرين، إذ اكتفيا بتفسير التعبير بـ: «سيل عرم: جمع عرمة، وهو ما يمسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته...»[٩١].

ونعتقد نحن، والأمر يتعلق بسد اليمن، أن السد المقصود هو سد مأرب، ونعتقد أيضًا أن هذا الاسم «مأرب» لم يكن اسم السد وهو قائم عال يجود بالخصب والنماء، وإنما أطلق عليه الاسم، بعد أن نزل المقدور، فصار «ماء» «رب»: أي ماء كثر وتعاظم وزاد على الحد، فأتى على المنشأة المبنية ليعوض الله رخاء آل عاد وجنتيهم أثلا وسدرًا قليلا[٩٢]. وعليه يكون القرآن قد ترجم «ماء» بـ«سيل»، و«رب» بـ«عرم»: مأرب = سيل عرم. ويكون قد أتى بمهمل في الاستعمال القرشي، مما أوقع المفسرين واللغويين في كثير من الخلط والتأويل. وعلى المؤرخين أن يعيدوا النظر في هذا الاسم «مأرب» الذي اعتبروه اسم السد لا صفة ما وقع له بعد أن حم القضاء.

هـ- نموذج لفظ عبري نهى القرآن عن استعماله

جاء في سورة البقرة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَقُولُوا رَاعِنَا وَقُولُوا انظُرْنَا وَاسْمَعُوا وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ (آية ١٠٤).

---

(٩٠) تفسير القرطبي من قرص صخر.

(٩١) نفسه.

(٩٢) من الربو الذي يعني الزيادة في جل اللغات العروبية، ومنه الربا.

وفي سورة النساء: ﴿الَّذِينَ هَادُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَن مَّوَاضِعِهِ وَيَقُولُونَ سَمِعْنَا وَعَصَيْنَا وَاسْمَعْ غَيْرَ مُسْمَعٍ وَرَاعِنَا لَيًّا بِأَلْسِنَتِهِمْ وَطَعْنًا فِي الدِّينِ وَلَوْ أَنَّهُمْ قَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَاسْمَعْ وَانظُرْنَا لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ وَأَقْوَمَ﴾ (آية ٤٦).

شرح ابن كثير «راعنا» وقال: لفظ يورون به الرعونة، فهي شتم وسب.

ويقول القرطبي: «راعنا في اللغة ارعنا ولنرعك، لأن المفاعلة بين الاثنين، فتكون من رعاك الله، أي احفظنا ولنحفظك وراقبنا ولنراقبك، ويجوز أن يكون من أرعنا سمعك، أي فرغ سمعك، وفي المخاطبة بهذا جفاء قال ابن عباس كان المسلمون يقولون للنبي ﷺ، راعنا على جهة الطلب والرغبة من المراعاة، أي التفت إلينا، وكان هذا بلسان اليهود سبًّا، أي اسمع لا تسمع، فاغتنموها وقالوا كنا نسبه سرًّا فالآن جهراً، فكانوا يخاطبون بها النبي ﷺ، ويضحكون فيما بينهم، فسمعها سعد بن معاذ، وكان يعرف لغتهم، فقال لليهود: عليكم لعنة الله، لئن سمعتها من رجل منكم يقولها للنبي ﷺ، لأضربن عنقه، فقالوا ألستم تقولونها؟ فنزلت الآية، ونهوا عنها لئلا تقتدي بها اليهود في اللفظ وتقصد المعنى الفاسد»[٩٣].

وفسره الجلالان قالا: «أمر من المراعاة. وكانوا يقولون له ذلك، وهي بلغة اليهود سب، من الرعونة، فسروا بذلك، وخاطبوا بها النبي، فنهي المؤمنون عنها»[٩٤].

هذا اللفظ الوارد هنا، والذي لم يفهمه بدقة وجلاء بعض المفسرين واللغويين، دليل على استعمال القرآن اللفظ العروبي القديم، عندما يقتضي السياق ذلك، وقد توصل بعضهم إلى القريب من معناه العبري، فالجذر العبري هو (ر.ع.ع) (رع)، ويدل على الأمر السيئ، الشرير. والصفة منه «رَعْ»: شرير، وهي الصفة التي كان يلصقها اليهود بالرسول، يورون بها لفظ «رائنا» التي كان فيها لغة «راعنا»، كما يدل عليه السياق، وأمر القرآن أن تبدل بمرادف آخر هو «انظرنا» دفعًا للالتباس، فيخاطب النبي بـ «انظرنا» بدل «راعنا» التي تعني في العبرية في هذه الصيغة «يا شريرنا»، وأورد القرآن ألفاظًا أخرى عبرية مثل: (صياصيهم) (الأعراف آية ٢٦)، من «صيصيت» العبرية،

---

(٩٣) هذا نوع من اللغة التي أهملت بعد استعمالها، فـ«راع» جذر كان لغة في «رأى» وبمعناها، مثل «جذع» التي من لغاتها: «جزع» و«جزأ»، فصوت العين يصير ألفا مهموزًا تعاورٌ صوتي سائر، وهذا نوع من المهملات المستعملات في اللغة العربية (العروبية).

(٩٤) القرآن الكريم، قرص صخر.

ومن معانيها ناصية الشعر ، وأهداب اللباس الذي يرتديه اليهود وهم يصلون . و«مكاء» (الأنفال آية ٣٥) ، من لفظ «مخه» ومعناه البكاء. و«حطة» ، وقد رأينا معناها أعلاه ، ومنسأته (سبأ آية ١٤) من «نسأ» : رفع ، والرافعة هي العصا ، وكل هذه الألفاظ جاءت في سياقها الاجتماعي والعرقي ، فهي تدور في فلك الجدل مع بني إسرائيل أو تتعلق بسليمان .

نكتفي في هذا البحث بهذه النماذج التي نأمل أن تكون دالة ، ونرجو من العلي القدير أن يمكننا من القوة والعزم ، لنتابع البحث ضمن المعجم التاريخي للغة العربية ، إذا رأى النوى ، أو ضمن أعمال الموسوعة القرآنية ، إذا قدر لها أن تكون . وعليه المعتمد ومنه التوفيق .

مصادر ومراجع البحث

القرآن الكريم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، مراقبة الإنتاج رقم ٨٩، رقم النسخة ٠٠٤٧٠٨ (اعتمدناها في القراءة والمراجعة).

القرآن الكريم، القرص المدمج لشركة صخر. (الإصدار السادس، ٣١، ٦ [١٩٩١-١٩٩٦].

العهد العتيق، النص العبري، BIBLIA HIBRAICA, Edidit RUD KITTEL, Textum masoreticum curavit p. KAHLE. 1937 by Württembergische Bibelanstlt Stuttgart, Gesamtherstellung 1973 durch die Württembergische Bibelanstlt Stuttgart. Pinted in Germany

- محمد إسماعيل إبراهيم؛ قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، دار الفكر العربي، ١٣٨١ / ١٩٦١.. المقرنة.
- الراغب الأصفهاني، معجم مفردات ألفاظ القرآن، (حققه نديم مرعشلي)، دار الكتاب العربي، (دون تاريخ).
- أبو زيد الأنصاري، كتاب النوادر في اللغة، (علق عليه وصححه سعيد الخوري الشرتوني اللبناني)، دار الكتاب العربي، بيروت، ١٣٨٧ / ١٩٦٧، ألحق الكتاب بكتاب مسائيه للمؤلف.
- إسحق بن برون، الموازنة بين اللغة العبرانية والعربية، (تحقيق باولو قاقاوصاو، بترسبورك سنة ١٨٩٠، (١٩٧١).
- كارل بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، (ترجمة نبيه أمين فارس ومنير بعلبكي)، دار العلم للملايين، ط عاشرة، ١٩٨٤.
- أبو عبيد البكري، كتاب المسالك والممالك تحقيق أدريان فان ليون وأندري فيري، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢.
- الخطيب التبريزي، تهذيب إصلاح المنطق (فخر الدين قباوة)، منشورات دار الآفاق الجديدة، بيروت، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- علي بن عثمان التركماني، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، حققه علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤٢٠ / ٢٠٠٠.
- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، بيروت، ومكتبة النهضة، بغداد ١٩٦٨.

- أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (عني به أحمد محمد شاكر)، نشر مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب، ط ثانية، ١٣٨٩ / ١٩٦٩.
- ابن حزم الأندلسي، كتاب الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، ١٣٤٥هـ.
- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر)، ١٤٠٣ / ١٩٨٣.
- علي بن عثمان التركماني، بهجة الأريب في بيان ما في كتاب الله العزيز من الغريب، حققه علي حسن البواب، مكتبة الثقافة الدينية، بورسعيد، ١٤٢٠ / ٢٠٠٠.
- جواد علي، تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين بيروت ومكتبة النهضة بغداد، ١٩٦٨.
- أبو منصور الجواليقي، المعرب من الكلام الأعجمي على حروف المعجم، (عني به أحمد محمد شاكر)، نشر مركز تحقيق التراث ونشره، مطبعة دار الكتب، ط ثانية، ١٣٨٩ / ١٩٦٩.
- ابن حزم الأندلسي، كتاب الإحكام في أصول الأحكام، القاهرة، ١٣٤٥هـ.
- ابن حزم الأندلسي، جمهرة أنساب العرب، (تحقيق لجنة من العلماء بإشراف الناشر)، ١٤٠٣ / ١٩٨٤.
- أثير الدين أبو حيان الأندلسي، تحفة الأريب بما في القرآن من الغريب، (حققه سمير طه المجذوب)، المكتب الإسلامي، ١٤٠٨ / ١٩٨٨.
- علي فهمي خشيم، اللاتينية العربية، دراسة مقارنة بين لغتين بعيدتين قريبتين، مركز الحضارة العربية، القاهرة ٢٠٠٢.
- علي فهمي خشيم، هل في القرآن أعجمي؟ نظرة جديدة إلى موضوع قديم، الطبعة الأولى عن دار الشرق، بيروت، ١٩٩٧.
- أبو بكر بن حسن بن مذحج الزبيدي لحن العوام، (تحقيق رمضان عبدالتواب)، مكتبة دار العروبة، ١٩٦٤.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، الكشاف، عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل، دار المعرفة، بيروت، دون تاريخ.
- أبو القاسم محمود بن عمر الزمخشري، أساس البلاغة، دار صادر، دار بيروت، ١٣٨٥هـ ١٩٦٥م.
- أبو عبدالله السقطي، آداب الحسبة، (تحقيق كولان وبروفنسال)، باريس.
- أبو يوسف يعقوب بن إسحق بن السكيت، كنز الحفاظ في تهذيب كتاب الألفاظ، الأب لويس شيخو اليسوعي، المطبعة الكاثوليكية، بيروت، ١٨٩٥، ١٨٩٦-١٨٩٨.

- أبو عبيدة القاسم بن سلام، كتاب الغريب المصنف (تحقيق محمد المختار العبيدي)، بيت الحكمة، قرطاج، ١٩٨٩.
- عبدالرحمن السهيلي الأندلسي المغربي التعريف والإعلام فيما أبهم من الأسماء الأعلام، دراسة وتحقيق عبدالله محمد علي النقراط، منشورات كلية الدعوة الإسلامية ولجنة الحفاظ على التراث الإسلامي، طرابلس، ١٤٠١ / ١٩٩٢.
- أحمد شحلان، ابن رشد والفكر العبري الوسيط، فعل الثقافة العربية الإسلامية في الفكر العبري اليهودي، المطبعة الوطنية - مراكش، ١٩٩٩.
- أحمد شحلان، الحياة العامة في أندلس العصر الوسيط، ندوة «الحضارة الإسلامية في الأندلس ومظاهر التسامح»، مطبعة النجاح الجديدة، الدار البيضاء، ٢٠٠٣.
- أحمد شحلان، شفوف جالية الأندلس في قرض الشعر وتحبير الخطب والرسائل العبرانية، على غيرهم»، أبحاث مهداة إلى الدكتور عباس الجراري، مطبعة دار المناهل، ١٩٩٧.
- أحمد شحلان، الأسماء الأعلام، ودلالتها التاريخية في التوراة، ندوة التاريخ واللسانيات، النص ومستويات التأويل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، الرباط، ١٩٩٢.
- محمد بن شريفة، أمثال العوام في الأندلس، فاس، ١٩٧١.
- عبدالعزيز سعيد الصويعي، كتاب أصول اللغة الليبية القديمة، دار الملتقى للطبع والنشر، قبرص، ٢٠٠٣.
- محمد إسماعيل الأمير الصنعاني، تفسير غريب القرآن، حققه وعلق عليه وضبط نصه محمد صبحي بن حسن حلاق، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ١٤٢١ / ٢٠٠٠.
- أحمد الطاهري، كتاب عامة قرطبة في عصر الخلافة، منشورات عكاظ، الرباط، ١٩٨٨.
- محمد أسعد طلس، تاريخ العرب، دار الأندلس للطباعة والنشر والتوزيع، ط ثانية، ١٣٩٩ / ١٩٧٩.
- أبو عبدالرحمن عبدالله بن يحيى بن المبارك العدوي البغدادي المعروف بابن اليزيدي غريب القرآن وتفسيره (تحقيق عبدالرازق حسين)، مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٧ / ١٩٨٧.
- ابن عذاري المراكشي، البيان المغرب في أخبار الأندلس والمغرب، (تحقيق كولان ولفي بروفنسال)، (دون تاريخ).
- أبو عمر محمد بن عبدالواحد البغدادي الزاهد المعروف بغلام ثعلب، ياقوتة الصراط في تفسير غريب القرآن، (حقق الكتاب وقدم له محمد بن يعقوب التركستاني)، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٢.
- محمد بهجت قبيسي، ملامح في فقه اللهجات العربيات، من الأكدية والكنعانية وحتى السبئية والعدنانية، دار شمأل، دمشق، ط ثانية، ٢٠٠٠.

- أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة، تفسير غريب القرآن، (حققه السيد أحمد صقر)، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٣٩٨ / ١٩٧٨.
- يهودا بن قريش، رسالة يهود فاس، (تحقيق دن بقر)، جامعة تل أبيب، ١٩٨٤.
- موسى بن محمد بن موسى بن يوسف القليبي العمري المالكي، التحفة القليبية في حل الحمولية في غريب القرآن الكريم، حققه وعلق عليه الشيخ كامل محمد محمد عويضة، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت ١٤٢٠ / ١٩٩٩.
- مجمع اللغة العربية (القاهرة)، قاموس الألفاظ والأعلام القرآنية، الهيئة المصرية العامة للتأليف والنشر، ط ثانية، ١٣٩٠ / ١٩٧٠.
- عبدالعال سالم مكرم، المشترك اللفظي في ضوء غريب القرآن الكريم، مطبوعات جامعة الكويت، ١٩٩٤.
- الإمام مكي بن أبي طالب، تفسير المشكل من غريب القرآن، (حقق الكتاب علي حسين البواب)، مكتبة المعارف، الرياض، ١٤٠٦ / ١٩٨٥.
- الإمام مكي بن أبي طالب، العمدة في غريب القرآن، حققه وعلق عليه وخرج نصه، يوسف عبدالرحمن المرعشلي، مؤسسة الرسالة، بيروت ط. ثانية ١٣٠٤ / ١٩٨٤.
- بهاء الدين الوردي، حول رموز القرآن، قاموس أصل اللغات، لغات قوم نوح، (العرب البائدة)، سومرية - أكدية، دار وليلي للطباعة والنشر، ١٩٩٦.
- الونشريسي أبو العباس أحمد بن يحيى، المعيار المعرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل إفريقية والأندلس والمغرب، أشرف على تحقيقه محمد حجي، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٨١.
- A.Caquot, M.Szycer, A.Herdner, Textes ougarituques T.1 Mythes et Légendes, Introduction, Traduction, Commentaire, Les Editons du CERF, Paris, 1974.
- Fabre-d'Olivet, Langue hébraïque restituée, C.Delphica, l'Age d'Homme, Suisse, 1975. (premiére partie, Racines hébraïques).
- J.Mathieu-Rosay, Dictionnaire étymologique, Les nouvlles Editions marabout, Alluer, Belgique, 1985. Petit Robert 2, (Paris 1975).
- Michel Honnrat, Démonstration de la parenté des Langues indo-européennes et sémitiques, Librairie orientaliste Paul Geuthner, Paris, 1933.
- E. Sollberger, Jean-Robert Kupper, Inscriptions ROYALES sumeriennes et akkadiennes, Les Editons du CERF, Paris, 1971.

محمد المختار العرباوي

موقع العربيّة في
الواقع اللغويّ العربيّ القديم

محاور البحث

ظهور اللغة

اللغة الأمّ أو العربية الأولى

كلمة «عرب»:

أ- معناها الأصلي القديم

ب- أصل التسمية بها

الهجرات والتوزّع اللغويّ:

أ- التطورات المناخية والهجرات

ب- اللغات أو اللهجات العربية القديمة

العربية

الفصحى: اللغة القديمة - الحديثة.

الفصحى: لسان العرب ولغتهم المشتركة

اللهجات والاختلافات اللغوية:

أ- اختلافات موروثة أو من لغات أخرى

ب- الاختلافات في الفصحى

١- اختلافات نحوية

٢- اختلافات في البنية

٣- اختلافات أخرى متنوّعة

عرف وطننا العربي الكبير من مشرقه إلى مغربه، في عصوره القديمة واقعًا لغويًا متنوعًا، تم رصده والتعرف عليه، من خلال البحث اللغوي المقارن، سواء في العراق أو في الشام، أو في الجزيرة العربية، أو في مصر، أو في شرق أفريقيا وشمالها، واستُبعدت في الأول اللغة المصرية القديمة واللغة البربرية، بإدماجها في مجموعة لغوية وهمية، سميت «الحامية» إلا أن افتقار هذه المجموعة إلى الوحدة الداخلية، واكتشاف أوجه الشبه بينها وبين اللغات العربية القديمة، أدى إلى إخراج المصرية من المجموعة الحامية ودمجها في المجموعة العربية (المسماة بالسامية)، بالرغم من بعض الأصوات التي ما تزال تصرّ على فصلها عن شقيقاتها العربية. أما البربرية، فإن المدرسة التاريخية الفرنسية الاستعمارية أصرت على عزلها ونفي أي انتماء شرقي لها، معتبرة البربرية من جنس مختلف لا يمت إلى العرب بصلة، لكن الأبحاث العلمية الموضوعية من أجنبية (خاصة الألمانية)(*) وعربية، أكدت على الانتماء الشرقي العربي لهذه اللغة.

هذا الواقع اللغوي العربي القديم، مكننا البحث اللغوي المقارن، منذ القرن التاسع عشر من التعرف عليه، فأصبحنا بفضله نملك اطلاعًا واسعًا على مختلف لغاته المكونة لأسرة لغوية واحدة، أجمع الباحثون على تفوّقها على الأسر اللغوية الأخرى، لقوة القرابة بين فروعها ولوحدة مجالها الجغرافي، إذ هي أكثر تماسكًا من الأسرة الآرية الموزعة على مساحات جغرافية واسعة ومنفصلة عن بعضها، وأكثر تشابهًا منها أيضًا في البنية والأصوات والضوابط الصرفية والنحوية وأصول الكلمات.

والدراسات اللغوية عمومًا شأنها شأن الدراسات الأخرى، لا تخلو أبدًا من التداعيات، والآراء المتناقضة، والأحكام المختلفة، إلا أنه، وبفضل البحث العلمي، بات من المتفق عليه الآن:

١ – أن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لما سمي سابقًا باللغات السامية أي اللغات العربية القديمة، ومن هذا الموطن هاجرت تباعًا إلى مواطنها الثانية.

٢ – وأن هذه اللغات تنتمي كلها إلى أصل لغوي مشترك، سمي اللغة الأولى أو اللغة الأم.

(*) روسلر: O.Rossler-Tübingen على سبيل المثال الذي يعد من كبار علماء البربريات. من دراساته:
(الأفعال الأكّدية واللوبيّة) Akkadisches und libyshes Verbun - orientlia Volume 20 Roma 1951
(السمات السامية في اللوبيّة) Des semitische charakter der libyschen sprache - in Z 50-1952

ومن المعروف أن دراسة الواقع اللغوي العربي القديم ارتبطت منذ انطلاقها بمصطلح «السامية»(*)، وأننا الآن نعمل على أن نثبت بدله مصطلح «العربية» لعلاقته الوثقى بواقع الأشياء وحقائق التاريخ، ولأن مصطلح السامية غير علمي(**) من كل الوجوه، وذو أغراض مشبوهة، وقائم على أساس أسطوري خرافي توراتي. وإذا كانت الدعوة لإلغائه قديمة لدى باحثينا فإن ندوة «الصلات» المشتركة بين أبجديات الوطن العربي القديمة «المنعقدة ببغداد في ١٠ / ٢٠٠١ قامت بخطوة مهمة في الاتجاه الذي يضع حدًا نهائيًا لهذا المصطلح. وفي هذا إعادة للحمة الثقافية داخل الوطن الواحد، وتأكيد على ما بين أجزائه، منذ العصور الغابرة من روابط تاريخية واجتماعية ولغوية عريقة، مما يفند الكثير من أطروحات كتاب الغرب حول المنطقة وتاريخها، الأمر الذي يزيد في تعزيز مكانة العربية، ويكسبها القدرة على مواجهة التحديات التي تعترضها.

وإذا كانت علاقة العربية بشقيقاتها قد نالت قدراً مهمّا من البحث، أظهر متانة هذه العلاقة وعمقها، فهناك قضايا لغوية أخرى ما تزال في حاجة إلى المزيد من البحث والدراسة. منها على وجه الخصوص:

١- ما سمي باللغة الأم، أو باللغة العربية الأولى التى تفرعت عنها اللغات العربية القديمة المعروفة، فما هي هذه اللغة، وهل في الإمكان التوصل إلى المزيد من المعلومات عنها تضاف إلى تلك التي نعرفها مما هو مشترك بين فروعها وينسب إليها؟ وبالطبع فإنه لم يعد يؤبه في هذا الصدد، بتلك التحاليل التي ترى في انقراض هذه اللغة ما يثير الشك في وجودها أصلا، إذ هي تحاليل قاصرة في رؤيتها وفقيرة في حصيلتها المعرفية.

٢- هل الاختلافات اللغوية الموجودة بين اللغات العربية القديمة من أكدية وكنعانية ومصرية وبربرية وغير ذلك، ناشئة عن الانفصال وتبدل الموطن أم أن بعضها قديم وموجود قبل الهجرة؟

(*) وما يدعو إلى الغرابة أن هناك من الباحثين العرب من يصرح بخطأ هذا المصطلح مثل الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة الذي قال أثناء حديثه عن اللغة الأم «ومن المعلوم أن تسميتها بالسامية كانت تسمية خاطئة» ومع ذلك استمر في استعماله والترويج له في كتابته (انظر على سبيل المثال كتابه: المستشرقون والمناهج اللغوية ص ٥٢ وغيرها.

(**) وقع التطرق إلى هذا الموضوع في كتاب: البربر عرب قدامى. تحت عنوان: السامية - الحامية. مقولة المفكر الأوروبي اللاهوتي الاستعماري. حقيقة أم خرافة - المؤلف.

٣- هل علاقة الفصحى وشقيقاتها باللغة الأم (العربية الأولى) متماثلة أم الفصحى أقوى في هذه العلاقة وأكبر حجماً؟

٤- بماذا نفسر غزارة المفردات في الفصحى؟ وما هي دواعي وجود ما سمي في معاجمنا بالترادف والتضاد، والمشترك اللفظي؟

فما تزال هذه المسائل في حاجة إلى المزيد من التعمق والتوضيح.

ظهور اللغة

اللغة بصفتها ظاهرة اجتماعية ثقافية، لا بد وأن تكون مثل سائر الظاهرات الأخرى، لها نشأة، ومسيرة تاريخية، وتطورات مختلفة. ومن النقص الكبير في معارفنا، هو أننا لا نملك إلى الآن فكرة علمية واضحة عن بداية ظهور اللغة، ومما زاد الطين بلة تلك التصورات الخاطئة عن النوع الإنساني منذ أقدم أطواره، والرائجة في كثير من الدراسات والمؤلفات المعاصرة.

ولذا، ولتحقيق تقدم في هذا الاتجاه، فلا بد من المبادرة إلى استبعاد تلك الآراء اللاعلمية والتي تزعم أن اللغة وحي وتوقيف[١] من عند الله، وكذلك رفض ما ادعته بعض الطوائف عن لغاتها:

- فقد ادعى الصينيون أن لغتهم هي الأصيلة[٢].
- وادعى الأرمن أن لغتهم هي الأولى وأن فرعها أساس لغات العالم[٣].
- وادعى العبرانيون[٤] أن العبرانية هي اللغة الأولى مع العلم أن هذه اللغة لا وجود لها تاريخيًا(*).
- وادعى العرب أن العربية هي لغة أهل الجنة[٥]، وأنها كانت لغة آدم قبل نزوله منها. فقد سُلبت منه عندما عصى ربه وتكلم بالسريانية ولما تاب عادت إليه العربية.

وهناك رأي آخر شائع لدى بعض المؤلفين، ينطلق من فكرة **«الإنسان الأول»** ويؤمن «بوحدة أصل النوع» فاللغة التي استعملها هذا الإنسان الأول هي في نظر هؤلاء المؤلفين، أم اللغات ومنها تفرعت اللغات بتفرق الناس، واختلاف أحوالهم، وبنسبة

(*) يقول الدكتور محمد محفل: «أما بالنسبة للعبرية بمعنى لغة أسفار التوراة فلا وجود لذكرها توراتيًا. بل نجد «شفة كنعان» كما جاء في (سفر أشعياء الأصحاح التاسع عشر١٨) ص٢٩٢، ٢٩٣.

ويقول أيضًا: «وفي الحقيقة، في الحقبة الأولى للمسيحية، من اعتنق الدين الجديد ظل يتكلم لهجة آرامية اشتهرت لاحقًا باسم السريانية، أما من ثابر على يهوديته، فأطلقوا على لسانه اسم «العبرية».. أما أن نطلق اسم «عبرية» على لغة التوراة - كما هو شائع في الأوساط الأكاديمية العربية. ففي الأمر مخالفة لمنطق الأمور، بل تزوير للحقيقة» ص٢٩٣ انظر: اللغات العربية القديمة - في «الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية» - انظر هامش ١٢.

التغير والتبدل الطارئ مع تشتت الحال والديار»[٦].

وبناء على هذا، فإن اللغة العربية تعد شقيقة اللغة الصينية، إذ هما من «بنات الأصل الواحد»[٧]. مهما بعدت الشقة بينهما.

وقد عوض بعضهم مقولة «الإنسان الأول» بمقولة «الجماعة الإنسانية الأولى»[٨].

هذا الرأي وغيره من الآراء الأخرى مبنية كلها على تصورات مثالية وهمية، لا علاقة لها بعلم السلالات وتطور النوع الإنساني عبر ملايين السنين.

وإذا عدنا إلى موضوع ظهور اللغة وتاريخ نشأتها، فسنجد أنفسنا مجبرين على البحث في تاريخ النوع الإنساني لتحديد المرحلة الملائمة لظهورها، وبقطع النظر عن مرحلة الحيوانات الفقرية المشيمية فإن أهم ما يذكره لنا علم السلالات، ما سمي «بالبشريات» أو «بالمقدمات البشرية hominidés» التي انفصلت عن «البنجديات» وتميزت عنها منذ ملايين السنين، وبالطبع، فإنه لا يمكن لنا في هذه الحالة أن نتحدث عن لغة هذه الكائنات، إلا أنه في المرحلة التالية لها فيما بين ١٥٠٠,٠٠٠ و١٠٠,٠٠٠ سنة ق. م ظهر نموذج بشري متقدم سمي **«الإنسان المنتصب»** أو **«الإنسان المستقيم** Hommo - erectus**»** ينتمي إلى العصر الحجري القديم الأول، صاحب أول صناعة حجرية قائمة على الطرق والتشذيب الدالة على توظيف النشاط الذهني وعلى وجود تنوع في الحاجيات بالإضافة إلى نوع الحياة الاجتماعية، وعملية التشارك في الصيد وجمع القوت والصراع من أجل البقاء، فهذه الحالات وغيرها من الحالات الأخرى مع ما يوجد من استعدادات بيولوجية في الجهاز الصوتي كان مدعاة لبروز ظاهرة الكلام وولادة اللغة لأول مرة في التاريخ النوعي الإنساني، ومن هنا نستطيع أن نقول إن **«بداية الصناعة الحجرية هي البداية الفعلية لظهور اللغة»** ومن هنا وجد «ل. بلو L. Baloul» في دراسته لأفريقيا الشمالية فيما قبل التاريخ، أثناء حديثه عن بعض الأصناف المنتمية إلى «الإنسان المنتصب» يذكر عرضًا أن هذه الأصناف «كانت لهم لغة بدائية»[٩].

هناك أيضًا نموذج آخر أكثر تطورًا، عرف في العصر الحجري القديم الأوسط (١٠٠,٠٠٠ - ٤٠,٠٠٠ سنة ق. م) يسمى «نياندرتال Néanderthal» اكتشف مخلفاته بكثرة في أوروبا وبشكل محدود في منطقتنا، له أيضًا لغته.

هذان النموذجان: المنتصب ونياندرتال انقرضا تمامًا وانقرضت معهما ثقافتهما

ولغتهما، وخلفهما نموذج بشري ثالث متفوق عليهما بيلوجيا خاصة على مستوى سعة الدماغ وكبر المخ، يسمى **«الإنسان العاقل»** أو **«الإنسان العارف** Hommo - sapi-ens»، ينتمي إلى العصر الحجري القديم الأعلى (٤٠,٠٠٠ - ١٢,٠٠٠ سنة ق. م) وهو النموذج الذي تنتمي إليه البشرية الحالية. وبفضل تفوقه البيولوچي وما يتميز به من تطور ذهني وثقافي وقدرة متنامية على الاستفادة من تجاربه وظروفه، تمكن - في مرحلة العصر الحجري الحديث - من الانتقال من مرحلة البدائية إلى ما بعدها، أي إلى مرحلة المدنيات الأولى والحضارات القديمة.

لهذا النموذج البشري، نموذج الإنسان العاقل، لغته الخاصة به، ولكن هذا لا يعني أنها لغة واحدة، إذ هو ظهر في أنحاء مختلفة من المعمورة على شكل جماعات كثيرة، لها بالطبع لغاتها المختلفة عن بعضها. ومن هنا نعرف أن كل اللغات القديمة وما تولد عنها مما لا حصر له من اللغات، أنها تعود في أصولها الأولى إلى لغات هذا النموذج وإلى عصره الحجري الأعلى. **فليس هنا إذن إنسان أول ولا لغة أولى**.

اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى

في دراسات الباحثين للغات العربية القديمة، لم يتجاوزوا - على حد علمي بتاريخها - زمن اللغة الأكدية، الألف الثالث قبل الميلاد، وأبعد زمن أعطي لبداية ظهورها الألف الرابع قبل الميلاد(*). فالباحثون لم يواصلوا استقصاءهم في هذه المسألة فيما قبل بداية التاريخ.

ومن الباحثين المهتمين باللغات العربية القديمة، وتطرق إلى هذا الموضوع «ولفنسون» الذي قال إن الجماعات العربية القديمة: «كانت في عصر من العصور التي سبقت التاريخ أمة واحدة ذات لغة واحدة، تقطن منطقة واحدة»[١٠]. وهو يرى أن البحث فيما سماه باللغة الأصلية (أي الأولى) ليس مجدياً، ولذا قال «ومن العسير أن تتخيل ما كانت عليه اللغة السامية الأصلية ومقدار كلماتها، بل من العبث إطالة البحث في أمر غامض مجهول، نشأ ونما في عصور سبقت العصور التاريخية»[١١]. وفي الاتجاه نفسه يقول الدكتور محمد محفل: لا يمكننا الجزم بأمر «اللسان الأول» الذي تفرعت منه مختلف لغات / لهجات وطننا العربي في سائر بقاعه وأصقاعه في العصور الخالية الغابرة»[١٢].

وقد حاول «ولفنسون» تقديم تصور عن الحالة التي لربما كانت عليها اللغة الأصلية في عهدها الأول فقال: «ولا شك أن اللغة السامية الأصلية لم تكن كثيرة المفردات، إذ كانت في طور طفولتها ومبدأ نشأتها مجردة من الحياة الفكرية التي تدعو إلى استحداث ألفاظ كثيرة للتعبير عن أنواع المعاني التي يخلقها الفكر والخيال»[١٣].

وإذا كان هناك من يعتقد بوجود الأصل الواحد للغات العربية القديمة، فهناك من الباحثين من يرى عكس ذلك، فلا يقطع بوحدة الأصل لما سمي بالشعوب السامية، ومن هؤلاء الأستاذ علي عبدالواحد وافي الذي يقول: «ولذلك يمكن القطع بأنه لم

(*) يرى الدكتور محمد محفل أن مختلف «اللغات واللهجات التي تكونت من مختلف أصقاع وطننا العربي القديم اعتباراً من الألف الخامس (ق.م)» انظر: اللغات العربية القديمة - الوارد في: الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم دمشق ٢٠٠٠ ص٢٩٥.

توجد أبداً أو لم تكد توجد لغة سامية واحدة، بل وجد من بدء النشأة عدد كبير من اللغات السامية»[١٤]. وهو كلام تنقصه الدقة في مستوى التعبير، فاللغات التي وجدت منذ بدء النشأة، لا يمكن إلا أن تكون لغات مختلفة عن بعضها، ولذا لا يصح أن نعمم عليها مصطلح «السامية» وعند هذا الحد توقف البحث ولم نجد من أوغل به إلى ما وراء بدء التاريخ، لكون ذلك عملا لا طائل من ورائه، ولا مغنم للغة فيه من قريب أو من بعيد، والسبب في ذلك انعدام الوثائق اللغوية.

لكن ألا يوجد في مكونات واقع الحياة البشرية، ما هو ذو علاقة باللغة، بحيث يمكن لنا أن نستفيد منه سواء من الناحية التاريخية أو من ناحية بعض السمات اللغوية العليقة بذلك الواقع، أو من ناحية الكلمات المهمة ذات الشأن من حيث ما تدل عليه من الوقائع والتطورات القديمة.

ولذا، فنحن مطالبون بمواصلة البحث، سعيًا وراء تحديد المرحلة التاريخية لظهور اللغة الأم، أو اللغة العربية الأولى، ولو على سبيل التقريب، معتمدين على علم ما قبل التاريخ وعلى الدراسات المناخية لعصوره، **فنحن في هذه الحالة لا ننطلق من فراغ ولا نسير في اتجاه مجهول تمامًا**.

ثم إننا بالإضافة إلى هذا، نملك شيئًا آخر في غاية الأهمية، لا يربطنا مباشرة باللغة الأم فحسب، ولكنه أيضًا يعطينا فكرة عن نوع الجماعة المستعملة لها. ومعرفة نوع الجماعة يساعد بكل تأكيد على معرفة المرحلة التاريخية التي ظهرت فيها هذه الجماعة واللغة الأم معاً.

هذا الشيء الآخر هو **التأنيث**. فاللغات العربية القديمة لغات جنسية تفرق بين المذكر والمؤنث. وهذا التفريق موروث عن اللغة الأم مثل بعض الظواهر اللغوية الأخرى، أي أن اللغة الأم لغة جنسية.

وهناك لغات عديدة تم التعرف عليها في العالم ليست جنسية، لا تفرق بين المذكر والمؤنث كما في أفريقيا (لغات البنتو)[١٥] ويقال إن اللغة الحثية[١٦] لا تميز بين الجنسين وكذلك اللغة الجعزية الأثيوبية القديمة فهي أيضًا لا تميز في الأسماء بين المذكر والمؤنث[١٧]، ومن غير شك فإن عملية التفريق هذه لا يمكن إلا أن تكون نتيجة لتحولات كبيرة بمنطقة الجزيرة العربية. والمهم معرفة هذه التحولات وما أدت إليه من تبديل وتغيير في مكونات وضع الإنسان العام.

ويهمنا في هذا الصدد العصر الحجري الحديث الذي جدت فيه أخطار التحولات، فكان نظامه الاجتماعي قائماً على **الأمومة**، وكانت **الثقافة النسوية هي الغالبة**[١٨]، وكان علماء الإنسان عموماً يرون بالنسبة للعهود البدائية «أن النظام الأمومي هو الوضع الأصلي للإنسانية»[١٩].

والمعروف أن شعوب الشرق العربي القديمة، كانت شعوباً أبوية منذ بداية التاريخ، ومعنى هذا أن هناك تحولاً واسعاً حدث في الجزيرة العربية قبل الهجرات، أدى إلى إحلال نظام الأبوة محل نظام الأمومة، وهذا ما نريد التعرف عليه حتى تتضح لنا مسيرة التطور الاجتماعي وأثره في تنامي اللغة وترقيتها وتحويلها إلى لغة جنسية.

والمعروف أيضاً أن أهم حدث غير مجرى حياة الإنسان البدائي تغييراً جذريًا، هو ما سماه «جوردن شايلد Gordon childe» بثورة العصر الحجري الحديث(*)، التي كانت انقلاباً شاملاً في مناحي الحياة، وذلك من جراء وطأة التطورات المناخية في نهاية «البليستوسين» أفضت إلى تدجين الحيوانات وممارسة الفلاحة مما مكن الإنسان من الانتقال من مرحلة التقاط القوت وجمعه إلى مرحلة إنتاجه. وكانت هذه الظروف الجديدة مدعاة إلى الاستقرار ونشوء المستوطنات البسيطة من أكواخ وعُرُش وغيرها. ومع مرور الأيام وتطور العمل الفلاحي، صار الرجل عمدة الإنتاج في المجالين: الرعوي والفلاحي، وكان هذا الأمر من الخطورة بمكان فقد غير من مكانة المرأة الاجتماعية وأدى تدريجيًا إلى اختفاء أسرة الأم وإحلال أسرة الأب محلها، وانبنى على هذا التغيير، تغيير آخر في نظام الإرث والزواج. فلم يعد الإرث من حق الخال وأقارب الأم، فقد انتقل إلى أسرة الأب وصار من حقها، أما الزواج فقد كان جماعيًا ثم صار ثنائيًا ثم صار أحاديًا في الآخر، وبهذا نعرف أن **نظام الأبوة الحالي تعود جذوره الأولى إلى ما قبل التاريخ**. ومن الواضح أن هذا الانقلاب الاجتماعي حدث في العصر الحجري الحديث الأول (٩,٠٠٠ - ٦,٠٠٠ سنة ق.م) أي قبل انطلاق الهجرات الذي حدث في العصر الحجري الحديث الأخير (٥,٠٠٠ - ٣,٠٠٠ سة ق. م) فأصحاب الهجرات كما عرفناهم، فيما بعد، في مواطنهم الثانية، كانوا من ذوي الأسرة الأبوية، وهذا يعني أن التفريق بين المذكر والمؤنث على مستوى اللغة حدث في هذه المرحلة، مرحلة

(*) يقع زمنيًا في العصر الجيولوجي الأخير المسمى «الهوليسين الذي بدأ منذ ١٠,٠٠٠ سنة قبل الميلاد وما يزال متواصلا وهو عصر خفاف بالنسبة لمنطقتنا العربية.

النظام الأبوي وغلبته على الحياة العامة، ومن الشواهد على ذلك اختفاء «تماثيل الآلهة الأم المجردة عند بداية التاريخ»(٢٠).

وهذه التغيرات على مستوى البيئة والمجتمع أفضت بكل تأكيد إلى ازدهار اللغة والتوسع في استعمالها بحكم المجالات الجديدة التي تهيأت لها، من اقتصادية واجتماعية وتقنية وثقافية (دينية، فنية..) وهي - من وجهة نظر علماء اللغات - تعد لغة متطورة لكونها صارت جنسية، تفرق بين المذكر والمؤنث، وكان «لبسيوس .Lpsus C.R»، وهو من أشهر مصنفي اللغات الأفريقية في النصف الثاني من القرن التاسع عشر يقول: «إن اللغات ذات الجنس هي العليا»(٢١).

وبما أننا نعرف أن شعوب الشرق العربي في فجر التاريخ وقبل نشوء الحضارات القديمة، هي شعوب عمادها أسرة الأب وهذا يعني - بكل وضوح - أن الأقوام التي ظهرت في العصر الحجري الحديث والتي غلب عليها النظام الأبوي، هم **أسلاف العرب** الأوائل وأن لغتهم الجنسية هي اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى.

وهكذا نكون قد قطعنا خطوة مهمة في:

- معرفة الأسلاف الأوائل للعرب.
- وأن لغتهم هي اللغة العربية الأولى، اللغة الأم التي تفرعت عنها فيما بعد ما نسميه باللغات العربية القديمة.
- وعرفنا المرحلة التاريخية لهؤلاء الأسلاف وللغتهم، وهي مرحلة العصر الحجري الحديث الأول وما جد فيها من التحولات أفضت إلى نظم اجتماعية جديدة وإلى لغات جنسية متطورة.

بقي لنا بعد هذا، أن نخوض في أصل التسمية بكلمة «عرب» ما هو مضمونها الأصلي؟ وإلى أيّ زمن يعود ظهورها؟ وكيف أصبحت علماً على جيل من الناس؟ صار بمرور الأيام عنواناً لهويتهم وتعبيراً عن حضارتهم.

كلمة «عرب»

أ- معناها الأصلي القديم:

تشكل الأسماء مصدرًا أساسيًا للمعرفة، لكونها مكونًا رئيسيًا للمعجم اللغوي وذات صيغ ومضامين مختلفة، يمكن للباحث أن يجد فيها من الدلالات والإشارات ما يساعده على التوصل إلى معلومات جديدة، وكلمة «عرب» بما لها من المكانة الخاصة في التاريخ الثقافي للعرب، فلا يمكن، في هذه الحالة إلا أن تكون ذات ملابسات تاريخية ثقافية، وهذا ما يهمنا معرفته بشأنها، بالاعتماد على المعاجم العربية والوثائق الكتابية القديمة في المناطق المجاورة للجزيرة العربية (العراق، الشام، مصر..).

وعند الاطلاع على المعاجم العربية، يفاجأ المرء بسعة استعمال هذه الكلمة، وكثرة معانيها وصيغها الصرفية، وهي صيغ متطورة، مسايرة لقواعد الصرف المعروفة، وهذا ما يدل على حداثتها. أما المعاني فجلها من قبيل الإبانة والإظهار والإفصاح، كما في هذه الأمثلة:

أعـــــرب الرجـل : أبان وأفصح، أو تكلم بالفحش[٢٢] (مظهراً البذاءة ومبينًا عنها).

عـــرّب عن القـــوم : بيّن عنهم.

أعـــرب الحـــصـــان[٢٣]: صهل فعرف عتقه بصهيله (أي مفصح عن أصالته ومبين عنها).

امرأة عَرُوب أو عَرِبة[٢٤]: الضحاكة، المتحببة، العاشقة، العاصية لزوجها (أي المظهرة لهذه الحالات النفسية والمبينة عنها).

التـــــعـــــريـب[٢٥]: قطع سعف النخيل، وهو التشذيب المظهر لحالة لم تكن موجودة من قبل، وفي هذا معنى الإبانة.

عربت معدته عربًا[٢٦]: فسدت، فهي عربة أي مظهرة للحالة التي أصبحت عليها.

العـــروبة، عـــروبة : باللام وبدونها، اسم ليوم الجمعة(*).

(*) سمي يوم الجمعة بذلك - حسب ابن جني - لكونه «أظهر أمراً من بقية أيام الأسبوع، لما فيه من التأهب لها والتوجه إليها، وقوة الإشعار بها» الخصائص ج١، ص٣٧ تحقيق محمد النجار، الطبعة الثانية القاهرة ١٩٥٢.

هذه المعاني وغيرها من المعاني المشابهة التي لم تذكر، لا بد وأن تكون ناشئة عن معنى قديم، فيه انتقال إلى الظهور وذو علاقة بمعنى الإبانة والإفصاح.

وبتصفح المعاجم والتدقيق فيها استوقفتني هذه الأمثلة:

بئر عربة[٢٧]: كثيرة المياه

نهر عرب[٢٨] : غمر (ذو مياه كثيرة)

العربة[٢٩]: النهر الشديد الجري

العرب[٣٠] : الماء الكثير الصافي

التعريب[٣١]: الإكثار من شرب الماء العرب

هذه الصيغ من مادة «ع.ر.ب» متعلقة كلها بالماء الكثير، ولكن أي ماء كثير تعني؟ إنها تعني - بكل تأكيد - الماء الكثير المتجدد، والماء الكثير المتجدد هو الماء المتدفق على الدوام الذي يمكن وصفه «بالعرب» فبئر عربة أي ذات منابع قوية تجعل ماءها المتدفق كثيراً. ونهر عرب أي ذو مياه متدفقة بكثرة، وهذا يعني أن كلمة «عرب» لا توصف بها مياه السيول ولا مياه السباخ الراكدة، وإنما توصف بها المياه الحلوة الصالحة للشراب، مياه الآبار والينابيع والأنهار.

والمعنى القديم المبحوث عنه، هو وصف الماء بالعرب، والماء العرب هو الماء المتجدد، المتدفق المظهر لذاته بعد خفاء والمفصح عن نفسه والمبين عنها. ومن هنا أخذ معنى الإبانة والإفصاح المتداول في أدبنا العربي من قديمه إلى حديثه. وفي هذا انتقال من المادي المحسوس إلى ما هو مجرد من المعاني والأفكار.

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن كلمة «عرب» في استعمالها الأول، ليست بمعنى «الماء» وإنما هي وصف له مثل: عذب، حلو، زلال.

والمهم هنا ارتباط كلمة «عرب» بالماء، وفي هذا إشارة واضحة إلى بعض الحقائق، حقائق واقع الجزيرة العربية في أزمنتها القديمة، فقد أكدت الدراسات المناخية وأبحاث ما قبل التاريخ، أن الجزيرة العربية كانت خصبة، وفيرة المياه، وذات غطاء نباتي كثيف، خلال الدورة الجليدية الأخيرة (دورة ورم Wurm)(*) وحتى عندما انتقلت إلى مرحلة الجفاف، فإن الفترة ما بين ٩,٠٠٠ و ٦,٠٠٠ سنة ق.م من العصر الحجري

(*) تبدأ هذه الدورة من ١٢٠,٠٠٠ سنة ق.م. وتنتهي في ١٨,٠٠٠ سنة ق.م.

الحديث كانت بصفة عامة ذات مناخ رطب ومعتدل[٣٢]، ومن غير شك فإن أحوال البيئة هذه مدعاة لولادة بعض الألفاظ منها ما يتعلق بالماء، فكانت لفظة «عرب» التي هي فعلا بنت المرحلة السابقة لاشتداد الجفاف، عندما كانت المياه وفيرة ذات المناظر الخلابة في الشلالات والينابيع والأنهار، تحف بها غابات كثيفة من الأشجار والنباتات المختلفة.

ب- أصل التسمية بها:

بتزايد الجفاف وتناقص كميات الأمطار ونضوب الينابيع والأنهار شيئًا فشيئًا في الألف السادس قبل الميلاد[٣٣] وما بعدها. اضطرت جماعات كثيرة إلى الارتحال هنا وهناك لارتياد الكلأ وتتبع مظان المياه. وكان هذا السعي الدائب وراء الماء العرب مدعاة إلى أن تتسمى تلك الجماعات بكلمة «عرب» وليس هذا بالأمر الغريب، إذ نجد في نوع الظروف التي مرت بها بعض أقطارنا ما يشبه ذلك.. ففي القطر التونسي على سبيل المثال:

- نجد أصحاب الأغنام، تضطرهم الظروف إلى أن يتنقلوا بأغنامهم، في بعض المواسم، إلى حيث تتوفر المراعي والبقاء بها مدة هناك ثم يعودون، وكانوا يسمون أنفسهم ويسميهم الناس أيضًا «العزّابة»(*).
- كذلك، في السابق كانت بعض الجماعات من الجنوب والوسط تتجه شمالا إلى حيث توجد حقول الحبوب، فتشارك في الحصاد وتعود بالمئونة، وهؤلاء أيضا يسمون أنفسهم ويسميهم الناس «الهطاية»(**).

وهكذا يتضح لنا أصل التسمية بكلمة «عرب». فكانت في الأول صفة للماء الصالح للشراب، ثم صارت علمًا للباحثين عنه.

ولا بد في هذا الصدد من الوقوف عند كلمة «عربة» لأهميتها، وبما أنها اسم للنهر الشديد الجري، فهي إذن ذات دلالة مكانية إلى جانب دلالتها على الماء «العرب» وبعبارة أخرى فهي المكان الذي به الماء العرب، ومن هنا وجدنا القدامى تحدثوا عن «عربة» بناحية المدينة[٣٤]. ومن «عربة» (قرية) في أول وادي نخلة من جهة مكة[٣٥]،

(*) من «عزب، عزوبًا»: بعد وغاب - والعازب: الكلأ البعيد المطلب. والمعزاب: من يعزب أي يبعد بماشيته طلبًا للمرعى.

(**) من «هطا: إذا وثب». والهطاية: هم الذين انتقلوا إلى مواطن الحصاد، فكأنهم وثبوا إليها.

وأخرى بفلسطين[٣٦]، ويذكر الزبيدي أن كلمة «عرب» قد تكون «عربة» سقطت منها التاء[٣٧].

والمعروف أن التحولات التي طرأت على البيئة بحكم اشتداد الجفاف المتواصل، دفعت بالبعض من الجماعات إلى تعاطي العمل الفلاحي، وتجلت مصارعتها للجفاف فيما ابتكرته من نظام الأفلاج والسدود والإرواء. وبهذا الاستقرار، ظهرت القرى التي مهدت لظهور المدن في المراحل اللاحقة، كما دفع الجفاف ببعض الجماعات الأخرى إلى تعاطي الرعي والانتجاع لارتياد الكلأ وتتبع مساقط الأمطار ومظان المياه، وهذا النمط من العيش تطلب وسائل سكنية ملائمة للانتجاع، وهو ما أدى إلى ظهور الخيمة التي كانت البداية الحقيقية لظهور البداوة. كما تطلب الأمر أيضًا وسائل نقل أفضل. فالحمار لم يعد مناسبًا لعدم قدرته على تحمل ضناء العطش وطول السفر. وكانت النتيجة لهذه الحاجة الملحة تدجين الجمل. والغالب على الظن أن هذا التدجين تم في الألف الرابع قبل الميلاد(*).

وهكذا فقد أفضت التحولات البيئية والاجتماعية إلى نمطين اجتماعيين: نمط سكان القرى الذين سموا فيما بعد بالحضر، ونمط البداوة القائم على الانتجاع الدائم. وانعكست هذه التطورات على الحقل اللغوي فكان من ذلك أن تسمى سكان القرى بلفظة «عرب» لعيشهم حول الينابيع، وبهذا انتقل المفهوم المكاني لكلمة «عَرَبَة» إلى الدلالة على المستقرين حول الماء، العرب، ولذا فإن ما قاله الأزهري من أن العرب «سموا عربًا باسم بلدهم العربات»[٣٨]، لم يكن مجانبًا للصواب. أما الجماعات المنتجعة فتسمت بلفظة «أعراب» والتحوير الطارئ على صيغتها هو من قبيل التفريع والتنويع في المعاني كما في «كرُم» على سبيل المثال، فيمكن أن نفرع عنها بعض المعاني بإضافة بعض الحروف إليها فنقول: تكرم، إكرام، مكرمة.

وباستقرار النمطين السابقين: الحضري والبدوي في الجزيرة العربية، كان ينظر

(*) هناك اضطراب في تحديد فترة تدجين الجمل، فهناك من يرى أنه دجن في مطلع الألف الأولى قبل الميلاد- عُمان في التاريخ - وزارة الإعلام ١٩٩٥ ص٧٢. وهناك من يرى أنه دجن في مطلع الألف الثانية قبل الميلاد (رضا جواد علي: تاريخ الإبل في ضوء المخلفات الآثارية والكتابات القديمة - مجلة كلية الآداب - جامعة بغداد ١٩٧٨ ملحق - عدد ٢٣) وهناك من يوغل به إلى ما هو أبعد من ذلك مثلما ينسب إلى الباحث «ريمنس» الذي يرى أن التدجين تم حوالي ٤٥٠٠ - ٥٠٠٠ ق.م: أورده «مجيد خان»، في كتابه الرسومات الصخرية.. ص١٢٣ - مصدر سابق هامش ٣٢.

للثاني على أنه أقل شأناً من الأول، فالأعرابي «إذا قيل له: يا عربي، فرح بذلك وهش له والعربي إذا قيل له: يا أعرابي غضب له»[٣٩]. كما وصف القرآن الأعراب بأنهم أشد كفراً ونفاقاً، فهذا التفوق لكلمة «عرب» جعلها تسود وتكون علماً للجميع من حضر وبدو وتصبح عنواناً لهويتهم وتعبيراً عن سماتهم الثقافية والحضارية.

والخلاصة أن كلمة «عرب» بصفتها علماً على جنس ظهرت مع اشتداد الجفاف فيما بين الألف السادس والألف الخامس قبل الميلاد، فاختص سكان القرى بلفظ «عرب» واختص سكان البوادي بلفظ «أعراب» ثم سادت في النهاية كلمة «عرب» وصارت علماً على الجميع.

الهجرات والتوزع اللغوي

أ- التطورات المناخية والهجرات:

عرفنا مما تقدم أن الأقوام التي ظهرت في طور من أطوار العصر الحجري الحديث الأول، وغلب عليها النظام الأبوي، هم في الحقيقة أسلاف العرب الأوائل، وأن لغتهم هي اللغة الأم أو اللغة العربية الأولى.

والمعروف من الدراسات المناخية أن الجزيرة العربية، عرفت مناخًا رطبًا معتدلاً فيما بين ٩,٠٠٠ و ٦,٠٠٠ سنة ق.م تخللته بعض الانقطاعات.

هذا المناخ الرطب بصفة عامة أخذ يتغير في الألف السادس قبل الميلاد وخلال مرحلة العصر الحجري الحديث الأخيرة (٥,٠٠٠ - ٣,٠٠٠ سنة ق.م) انتقلت الجزيرة بسبب هذا التغير إلى مناخ جاف وحار، وتظهر الدراسات لمناسيب البحيرات أنها وصلت إلى أدنى مستوياتها[٤٠] وفي هذه المرحلة «نشطت الحقول الرملية الرئيسية»[٤١] وزحفت على مناطق شاسعة وعم القحط جميع أرجاء الجزيرة العربية، وأظهرت الرسوم الصخرية أثر هذا التحول في المناخ فرسوم البقر الكثيرة في الفترة الرطبة -اختفت[٤٢] وقلت تماماً مما يدل على تأثر النبات وتناقص كميات المياه.

إلى جانب ظروف الجفاف وتداعياتها، هناك أيضًا مشكل آخر له خطورته، وهو التزايد الديمغرافي وما سببه من صراع وتزاحم حول مناطق المياه، ومن الطبيعي والحالة هذه أن تصبح الحياة عسيرة وصعبة جدًا، فكان لا بد أن يحصل ما لا بد من حصوله وهو الهجرة، فانطلقت الجماعات في اتجاهات مختلفة، فكانت شمالا إلى الشام وبلاد الرافدين اعتباراً من الألف الخامس قبل الميلاد كما اتجهت جماعات أخرى إلى الشرق (الخليج) وإلى الجنوب وشرق أفريقيا، وتحدث الآثاري الدكتور أحمد فخري عن وصول هجرات إلى مصر فقال: «هناك حقيقة مهمة، وهي أنه في الألف الرابع قبل الميلاد وصلت هجرات من جنوب بلاد العرب إلى مصر، وكان هؤلاء المهاجرون على قدر غير قليل من الثقافة[٤٣]، كما كانت سيناء أيضًا منفذًا للهجرات إلى مصر، أما شمال أفريقيا فإن طلائع المهاجرين الأُوَل وهم من الرعاة وصلوا في الألف الخامس قبل

الميلاد[٤٤]، وهذا ما تؤكده الأثريات الليبية في كهف «هوافطيح» والرسوم الصخرية في «تادرارت وأكاكوس»، وهؤلاء الرعاة هم الجماعات الأولى من البربر أي من المهاجرين.

وبهذه الهجرات توزعت اللغة الأم إلى فروع عديدة، وكانت توجد بينها بكل تأكيد بعض الفروق اللغوية، قبل هذا التوزع، بحكم انقسام الجماعات، وانعزالها عن بعضها وباستبدال الموطن وتغير الظروف تنامت تلك الفروق وانضافت إليها فروق لغوية أخرى. وهذا هو سبب ما نجده من اختلافات لغوية بين مجموعة اللغات العربية القديمة من أكّدية وكنعانية وعربية جنوبية وغيرها.

ومهما كانت هذه الاختلافات اللغوية، فإن الفروع ظلت محتفظة، في موطنها الثاني بعدد من السمات الرئيسية للغة الأم، وبقدر كبير من معجمها، وهي وإن دعت الظروف إلى توزعها، فإنها ظلت على صلة ببعضها تعيش متجاورة ومتداخلة لا توجد بينها حواجز جغرافية تفصلها عن بعضها.

وإذا عدنا من جديد إلى مسألة الأصل اللغوي، فإن سؤالا مهمّا يتبادر إلى الذهن، وهو ألا توجد أصول لغوية أخرى مختلفة عن بعضها وعن الأصل الذي تنتمي إليه لغاتنا العربية؟ وهل في واقعنا اللغوي القديم ما يشير إلى ذلك؟

من الناحية المنطقية، وحتى الواقعية، فإن تعدد الأصول اللغوية غير مستبعد، لأن جماعات الإنسان العاقل في العصر الحجري الأعلى متنوعة وتعيش منعزلة عن بعضها بحكم طبيعة ظروفها، ولكل منها لغتها الخاصة بها التي اهتدت إليها من خلال حاجياتها وظروفها، وعندما انتقلت هذه الجماعات إلى العصر الحجري الحديث انتقل معها تنوعها اللغوي. وبما أننا لا نعرف عنه شيئًا فهذا يعني أنه انقرض، وأن الغلبة تمت للمجموعة الأقوى. أما من ناحية ما يمكن أن يكون هناك من الشواهد الباقية على ذلك التنوع اللغوي المنقرض، فلا نملك من الأدلة على ذلك سوى اللغة السومرية، فهي الأثر اللغوي الوحيد ذو الأصل اللغوي المختلف المتبقي، فأسلاف السومريين دعتهم ظروفهم سواء تحت ضغط الصراع أو الحاجة المادية، إلى التنقل حتى انتهى بهم المطاف إلى جنوب العراق أين تم التعرف عليهم وعلى مساهمتهم الحضارية الرائدة، فهم بكل تأكيد ينتمون إلى أصل منقرض.

وطالما أن الباحثين لم يهتدوا حتى الآن إلى أصل هذه المجموعة فإنه يتعين علينا تأصيلها واعتبارها بنت المنطقة، وأن يتمها لا يستوجب أبداً عزلها وتغريبها، فمما يؤكد لنا

انتماءهم إلى المنطقة هو أن الحضارة التي عرفوا بها، ما كانت لتوجد لو لم تكن ناجمة عن ارتقاء حضاري متدرج ناجم عن تحولات العصر الحجري الحديث التي انتقلت بالإنسان لأول مرة في التاريخ من البدائية إلى ما بعدها. وأقدم هذه التحولات عرفت في الجزيرة العربية، ومهدت لظهور ما سمي بالحضارات القديمة، ومنها الحضارة السومرية.

وبما أننا بصدد الحديث عن الهجرات، فلا بد من الوقوف عند كلمة «بربر» إذ هي من إفرازاتها والمعبرة عن الكثير من سماتها فمن معانيها العديدة الدلالة على الجلبة والضوضاء والتوغل في البراري، وهذه من سمات المجتمع القبلي - البدوي، ولذا نقول:

تبربر القوم: بمعنى ركبوا البر وتوغلوا فيه أي هاجروا من موطنهم إلى غيره.

ومن هنا يتضح أن كلمة «بربر» بنت الصحراء ومن صميمها ومن إنتاجها اللغوي والثقافي، وأن دلالتها على جيل من الناس تعني: المهاجرين.

ب- اللغات أو اللهجات العربية القديمة:

لقد رأينا أن الهجرات أدت إلى توزع لغوي واسع، فقد انفصلت على اللغة الأم فروع عديدة، واستقرت في مواطنها الثانية. ومن الواضح أن الهجرات كانت متنوعة، استغرقت زمناً طويلا وكانت تتم على مراحل، وحسب المعلومات المناخية والديمغرافية فإن بداية الهجرات المعروفة تعود إلى الألف السادس والخامس قبل الميلاد.

فالبربر: وصلوا إلى شمال أفريقيا في الألف الخامس قبل الميلاد كما هو مستخلص من الأثريات الليبية، فقد أكدت دراسة الرسوم الصخرية(٤٥) في «نادرارت وأكاكوس» وحفريات كهف «هوافطيح»(٤٦) ظهور الرعاة في هذه الألف، وهؤلاء الرعاة ما هم إلا طلائع البربر الأولى.

والأكديون: وصلوا إلى بلاد وادي الرافدين فيما بين الألفين الخامس والرابع قبل الميلاد(٤٧) وهناك من الدارسين من يرى أن هذا الوصول تم في الألف الرابع قبل الميلاد»(٤٨).

والمصريون: قد يكون وصولهم في الألف الرابع قبل الميلاد حسب بعض الدراسات(٤٩) وقد يكون قبل ذلك.

والكنعانيون: فإن وصولهم إلى بلاد الشام ليس واضحاً، إلا أنهم كانوا موجودين به خلال الألف الثالث قبل الميلاد، وتاريخهم الواضح بدأ مع نهاية هذه الألفية.

العرب الجنوبيون: لا شيء واضح في بداية تاريخهم، والاتجاه العام للدارسين يجعل ظهورهم بعد ظهور الكنعانيين في الألف الثاني قبل الميلاد[٥٠]، وتأثيراتهم اللغوية امتدت إلى شرق أفريقيا.

والآراميون: وصلوا إلى بلاد الشام بعد الكنعانيين وكان مركزهم الأول في الصحراء السورية إلى الغرب من بلاد الرافدين، ورد ذكرهم في رسائل تل العمارنة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ويذكر بعض الدارسين وجود إشارات إليهم في نصوص قديمة تعود إلى نهاية الألف الثالث قبل الميلاد[٥١].

وتوزعت ألسنة هذه الأقوام إلى لهجات مختلفة أخرى حصرها الدارسون وتحدثوا عنها.

هذا الترتيب الزمني للغات العربية القديمة، لم نذكر ضمنه العربية في طورها الأول (العربية القديمة) لكونها لم تنفصل ولم تهاجر، وهذا ما يجعلها أقدم من شقيقاتها، كما أن البربرية تعد أقدم من الأكدية بناء على معلومات ما قبل التاريخ المشار إليها سابقًا، والأكدية، بطبيعة الحال، أقدم من العربية الجنوبية لأن هذه الأخيرة أكثر تطوراً منها. وبهذا نخرج من الغموض الذي كان سائداً وإن قليلا، ومن تلك الحيرة التي نجدها لدى الدكتور إسماعيل أحمد عمايرة عندما يقول: «إننا لا نعلم يقيناً وبالوثائق: العربية أقدم اللغات السامية أم الأكدية أم العربية الجنوبية»[٥٢] وتعليقنا على هذا الكلام أن الترتيب الزمني في العهود القديمة، في فجر التاريخ وقبله يمكن أن يهتدى إليه بجملة من المعارف المتنوعة. وهو أمر معروف في المجال العلمي والبحث الأكاديمي.

وبالرغم من هذا التوزع اللغوي وعراقته التاريخية، فظلت القربى قوية على مر الأيام، إذ هي تعيش متجاورة ومتداخلة في مناطق بعضها، لا توجد حواجز جغرافية تفصل بينها، ولذا فهي متأثرة ببعضها لغويًا، وبحكم هذه القربى والانتماء إلى أصل لغوي قديم مشترك، تحدث الدارسون عما بين هذه الألسن العربية القديمة من الخصائص اللغوية المشتركة، أورد بعضها على سبيل الاطلاع:

١- أغلب الكلمات ذات جذر ثلاثي أي متكونة من ثلاثة حروف، هي أصل مادتها اللغوية، وقد عبر اللغويون العرب عن هذه الجذور أو الأصول بهذه الحروف: الفاء والعين واللام (فعل) وبالميزان الصرفي نستطيع أن نعرف الزائد في الكلمة والمحذوف منها.

٢- وجود الأصوات الحلقية «الهمزة، الحاء، الخاء، العين، الغين، الهاء» وأصوات

الإطباق (الصاد، الضاد، الطاء، الظاء، القاف) في اللغات العربية القديمة، ولكن بدرجة متفاوتة، فالعربية والعربية الجنوبية توجد فيهما المجموعتان من الأصوات، أما الأخريات فلا يوجد فيهن إلا البعض دون البعض، فالأكدية مثلا لا يوجد فيها من حروف الحلق إلا الهمزة والخاء، والفينيقية يوجد بها حرف العين والحاء، والكتابات البربرية القديمة (الخط اللوبي) خالية من معظم حروف الحلق. وحرف العين لا يوجد في جميع اللهجات البربرية، كذلك حروف الإطباق الخمسة لا توجد كاملة إلا في العربية والعربية الجنوبية، أما العربيات الأخرى فيوجد فيها البعض دون البعض، ومنها البربرية فلا يوجد فيها الظاء وكذلك الصاد في بعض اللهجات، أما الضاد فهو موجود فيها مثل العربية والعربية الجنوبية ويتحول أحيانًا إلى طاء في حالات الشد:

يوضَنْ: مَرِضَ **أطَّان**: المرض

٣- الاعتماد في الكتابة على الحروف الصحيحة (الصامتة) وحدها وإهمال حروف المد أو الإشباع (الصائتة)، والبربرية في كتابتها القديمة مثل شقيقاتها في هذه الناحية.

٤- تغيير معنى الكلمة بتغيير الحركات فيها، فيقال مثلا:

مَثَلٌ، مُثُلٌ، حَسَنٌ، حُسْنٌ

اكْشُدْ، اكَشَدْ: وصل، يصل - فتح يفتح (أكّدية).

يَسُوسَمْ، يَسُوسُمْ: سكت، يسكت (بربرية).

٥- وجود جنسين فقط في العربيات القديمة، هما المذكّر والمؤنّث ويفرّق بينهما غالبًا بإضافة تاء إلى المؤنّث.

٦- التشابه في الضمائر وفي علاقاتها بالأسماء والأفعال.

والبربرية لها أوجه شبه بين ضمائرها وضمائر شقيقاتها كما في هذه الأمثلة:

يَمَّـاتْنَغْ: أُمّنا - الثاء للتأنيث، والنون للجماعة، والغين من اللواحق الشائعة في البربرية.

مَمْتْنَغ: ابننا - النون للجماعة.

الخَلاَتْ مُونَنْتْ: النساء رافقن - النون الثانية الساكنة نون النسوة والتاء للتأنيث وأصل الفعل (مون - رافق، صحب).

تدلْمْ: غطيتم - الميم ضمير الجمع للمخاطبين وأصل الفعل (دلْ-غطّى).
نَكْشَمْ: دخلنا - النون في أول الفعل ضمير الجماعة (المتكلم ومن معه) وأصل الفعل (أَكْشُمْ - دخل).

وهناك ضمير قديم تستعمله البربرية وهو ضمير «س» للغائب على غرار اليمنية والمصرية فيقال:

بَابَاسْ: أبوه **ارقازيسْ**: بعلها، زوجها **تَفُونَاسَتْ نسن**: بقرتهم

٧- التشابه في المفردات التي لها علاقة بالإنسان والقرابة والمحيط.

ومن غير شك، فإن قسماً من هذه المفردات منحدر من المعجم اللغوي لأسلافنا فيما قبل التاريخ، وأن بعض معانيها عرضة للتغيير، وفي الجدول التالي نموذج من هذه المفردات:

عربي	بابلي/أشوري	كنعاني	آرامي/سرياني	يمني/حبشي	بربري
أب	أبو	أب	أبا	أب	بابا
أمّ	أمّو	أم	أما	أمّ	يمَّى
اسم	شُومُو	شم	شما	شم	اسْمْ
لسان	لشانو	لشون	لشَنا	لسان	ايلْسْ
فم	بو	به	بوما	أفْ	أفمُّوشْ
دم	دمو	دم	دما	دم	ايدَامَنْ
ماء	مو	مايم	مايا	ماي	امان
موت	مُوتو	موت	مَوْتا	موت	مُوتْ
سنبلة	شوبُلْتو	شبلت	سبلْنا	سبَلْ	تَسْبُلْتْ
برق	برقو	باراق	برقا	مبرق	برْقْ
خنزير	خُمْسر	حَزير	حزيرا	خَنْزير	اَخنْزيرْ
كل	كَلْلاَ تُو	كل	كُل	كل	اَكْ

العربيّة

عرفنا، فيما تقدم، الظروف التي أدت إلى ظهور اللغات العربية القديمة من بربرية وأكدية وكنعانية وغيرها. وبقي علينا الآن أن نعرف العربية(*)، أي أن نعرف بداية تاريخها وموقعها بين هذه اللغات الشقيقة وهنا لا بد من تسجيل الحقائق التالية:

١- العربية ليست فرعًا لغويًا منفصلا عن اللغة الأم، إذ ليس لها موطن ثان مثل شقيقاتها فموطنها الذي ظلت به هو موطن اللغة الأم نفسه: الجزيرة العربية.

٢- اللغة الأم، هي بالأساس - وكما رأينا سابقًا - لغة الجماعات السابقة لعهد الانفصال والمعتبرة أسلاف العرب الأوائل، وهي الجماعات ذات النظام الأبوي الذي أفرزته التحولات الضخمة للعصر الحجري الحديث.

٣- أن اللغة الأم تنتهي مع بداية الانفصال (الهجرات) والتوزع اللغوي، وما بقي في الموطن الأصلي يمكن اعتباره فرعًا مستقلا بنفسه، ولكنه الفرع الأكثر أصالة، إذ هو الامتداد المباشر للغة الأم والوريث الشرعي لها على عين المكان، هذا الفرع هو العربية، وأن تاريخها يبدأ ببداية الانفصال خاضعة مثل غيرها إلى مقتضيات التبدل والتغيير حتى انتهت بعد زمن طويل إلى ذلك الشكل اللغوي المكتمل البنيان المسمى بالفصحى، ونظراً لقلة المعلومات وانعدامها في معظم الأطوار الأولى للعربية، فإنه يمكن لنا إجمالا أن نميز بين مرحلتين كبيرتين في تاريخها الطويل الذي يمتد عدة آلاف من السنين وتسمى العربية في المرحلة الأولى «بالعربية القديمة» وفي المرحلة الثانية «بالفصحى».

المرحلة الأولى: يمكن تسميتها بمرحلة الانفصال، تبدأ مع أولى الهجرات وتنتهي بهجرة الآراميين، حققت فيها العربية تطوراً لغويًا مهمًا، يمكن معرفته من اللغتين الكنعانية والآرامية، فهما لغتان متطورتان نسبيًا، بالقياس إلى ما قبلها، وهما أيضًا في نظر الدارسين، قريبتان من العربية الفصحى، وهذه القربى معروفة لدى القدامى من المهتمين باللغات، فابن منظور عندما تعرض إلى الكنعانيين قال عنهم: «وكانوا أمة

(*) العربية هنا تسمية شاملة للعربية في عهدها القديم (العربية القديمة) وفي عهدها الأحدث (العربية الفصحى، أو الفصحى).

يتكلمون بلغة تضارع العربية»(٥٣)، وابن حزم قال أيضًا في الموضوع نفسه: «وقفنا عليه وعلمناه يقينًا أن السريانية والعبرانية والعربية التي هي لغة مضر وربيعة لا لغة حمير، لغة واحدة تبدلت بتبدل مساكن أهلها، فحدث فيها جرش»(٥٤).

هذا التطور في العربية يمكن أن نستدل عليه أيضًا بما يلي:

أ- بدأت بعض الظاهرات اللغوية في الاختفاء مثل الألفاظ المبدوءة بالياء والتاء والتي كانت منتشرة على نطاق واسع مشرقًا ومغربًا، وهي ظاهرة مرتبطة بالتذكير والتأنيث، وقد تكون الياء والتاء من الأدوات الأولى في التفريق بين الجنسين، هذه الظاهرة التي تواصلت مع اليمنية والبربرية، تقلصت في العربية وصار وجودها محدودًا، وما وجد فيها من الكلمات المبدوءة بالياء والتاء، معظمه من قبيل الموروث، وهذا يعد من السمات الدالة على نهاية هذه المرحلة، وفيما يلي بعض الأمثلة على هذه الظاهرة: فمن المغرب (البربرية): يفرن، يزناس، يملول، تليلات، تطوان، ترعاس.

ومن المشرق(*): يعرف، ينبع، يشجب، تريم، تدمر، تنعم.

ومما هو جدير بالملاحظة في هذا الصدد، هو أن الكلمات المبدوءة بالتاء في البربرية تكون في حالات كثيرة مختومة بالتاء أيضًا مثل:

تاهرت، تافيلات، تيارت، تفاشيشت، تكرت.

وهذا قد يدل على أن التأنيث في الأولى كان بالتاء في أول الكلمة ثم صار في مرحلة لاحقة بالتاء في آخر الكلمة، وما الجمع بين التاءين إلا دليل على هذا التحول وأنه من بقايا هذه المرحلة ومن تأثيراتها.

ب- بروز ظاهرة التعريف بالأدوات، مما يدل على التقدم اللغوي من حيث التوسع في المفاهيم واستيعاب المعاني الجديدة، فاللغة الأم بحكم طبيعة مرحلتها السابقة للتاريخ، لم تصل بعد إلى المستوى الثقافي الذي يمكنها من التمييز بين المعنيين: معنى التعريف ومعنى التنكير بواسطة أدوات خاصة بذلك، كما هو الحال في البربرية والأكدية اللتين لا تمتلكان أدوات للتفريق بين التعريف والتنكير. فهما من أقوام الفروع اللغوية المنفصلة عن اللغة الأم.

(*) في وثائق «إبلا» المسمارية، بلغ العدد الإجمالي لأسماء الأشخاص ١٩٨٥ اسمًا، لها بدايات مختلفة منها ٣٧٧ اسمًا مبدوءة بالياء و٣٩ اسمًا مبدوءة بالتاء - إيبلا - عبلا، الصحراء البيضاء تأليف مجموعة من العلماء ترجمة قاسم طوير - دمشق ١٩٨٤ ص١٦٥.

ظاهرة التفريق هذه نجدها في الكنعانية والآرامية والعربية الجنوبية، فالكنعانية - كما في الفينيقية - تعرف الاسم بهاء مفتوحة في أوله: هجمل، هشمس - الجمل - الشمس.

والآرامية تعرفه بألف مد في آخره: ملكا، بردا - الملك، البرد.

والعربية الجنوبية - كما في السبئية - تعرفه بإضافة نون إلى آخره: ملكن، رجلن، الملك، الرجل. كما استعملت «أم» أيضًا للتعريف في بعض اللهجات اليمنية مثل طيئ، وتعرف عند القدامى بالطمطمانية: أم سفر، أم قمر - السفر، القمر.

وكل هذا يدل على أن ظاهرة التعريف بالأدوات حديثة نسبيًا، ولذا فهي من سمات تطور العربية في طور من أطوار هذه المرحلة، والعربية في هذه المرحلة أطلقنا عليها «العربية القديمة».

المرحلة الثانية: وهي التي تلت وجود الآراميين، وتميزت ببروز الفصحى واكتمالها اللغوي. استغرقت أساسًا الألف الأول قبل الميلاد وما بعدها، أما قبل هذا التاريخ فلا نملك أدلة واضحة عليه. وقد سعى الباحثون على اختلاف مشاربهم إلى معرفة ظهور الفصحى وأطوار تكونها من خلال المقارنات اللغوية وما تم جمعه من كتابات مختلفة في بقاع مختلفة متمثلة في الكتابات النبطية والثمودية واللحيانية والصوفية(*) وكذلك

(*) **النبط:** قبائل أسست في النصف الثاني من القرن الرابع قبل الميلاد مملكة متسعة شملت بادية الشام والأقسام الشرقية والجنوبية لفلسطين وشمال الحجاز وجزيرة سيناء، وما تزال الجهة التي قدموا منها غير معروفة، وصلوا إلى الشام في حدود القرن السادس قبل الميلاد وتغلبوا على الحوريين والأدوميين، وعاصمة مملكتهم البتراء (سلع - الأردن)، قضى الرومان على هذه المملكة سنة ١٠٦م.

الثموديون: قبائل بدوية، استوطنت مضارب عديدة في تهامة والحجاز والشمال، ورد ذكرهم في القرن الثامن قبل الميلاد في نص الملك الأشوري سرجون الثاني (٧٢١-٧٠٥ ق.م) وأقدم كتاباتهم تعود إلى القرن الخامس قبل الميلاد، وجدت في مناطق كثيرة داخل السعودية وخارجها، انقرضوا قبل ظهور الإسلام.

اللحيانيون: أقوام عربية، ظهرت أساسًا بالشمال على ساحل البحر الأحمر وكانت لهم مملكة صغيرة جنوب مملكة النبط، ويذكر البعض أنهم كونوا أكثر من دولة، وتضايقوا من سيطرة المعينيين على شمال الحجاز في القرن الخامس قبل الميلاد. ونهايتهم غير معروفة ويقال إن النبط هم الذين قضوا عليهم.

الصفويون: نسبة إلى «الصفا» وهي مرتفعات بركانية بمنطقة «حوران» بسوريا، عثر على كتابات منقوشة على صخورها، سميت باسمها والذي سماها «الصفوية» المستشرق «هاليفي Josephe Holevy» سنة ١٨٨٢، وهذه الكتابات لجماعات عربية متنقلة غير معروفة، عثر عليها في سوريا والعراق وفلسطين وأعالي الحجاز وأقدمها حسب بعض التقديرات تعود إلى القرن الأول قبل الميلاد.

هذه الجماعات الأربع: النبط، الثموديون، اللحيان، الصفويون، هناك من ينسبهم إلى العرب الجنوبيين، واستخدم النبط الخط الآرامي، أما الجماعات الثلاثة الأخرى فكتبت بالخط المسند الجنوبي.

في عدة نقوش جاهلية اعتبرت كتاباتها الأقرب إلى الفصحى.

والمعروف أن النبطية دونت بالخط الآرامي وأن الثمودية واللحيانية والصفوية دونت بالخط المسند، وهذه الكتابات الأربع للهجات شمالية مختلفة فيما بينها ومختلفة أيضاً عن الفصحى ولكنها قريبة جداً من الفصحى تشترك معها في الثروة اللفظية وفي كثير من السمات اللغوية (ضمائر، حروف جر، حالات الفعل، بعض المشتقات...).

وأصحاب هذه الكتابات يعودون جميعاً إلى ما قبل الميلاد، والجماعات الثلاث الأولى، تعود - حسب المعلومات المتوفرة عنها - إلى منتصف الألف الأول قبل الميلاد[٥٥]، وهي بكل تأكيد تعود إلى ما هو أقدم من ذلك. وهذا يعني أن ظهور النبط والثموديين واللحيانيين مرتبط بالمرحلة الثانية وبأطوارها الأولى، فهم أحدث من الآراميين، ولذا كانت لهجاتهم أقرب إلى الفصحى من الآرامية، وهذا يعني أن تطوراً جديداً حصل في الواقع اللغوي شمل العربية وكشفت عنه هذه اللهجات.

إلى جانب هذا، هناك نقوش أخرى جاهلية شمالية اعتبرت أكثر قرباً إلى العربية من النبطية والثمودية واللحيانية والصفوية. ولذا اهتم بها الباحثون لعلهم يجدون فيها من الحقائق اللغوية ما يفيد في معرفة الفصحى وأطوار ظهورها، وهذه النقوش هي:

- نقش «أم الجمال الأولى» المكتشف شرق الأردن، يعود تاريخه إلى ٢٥٠م.
- نقش «النمارة» المكتشف قرب دمشق يعود تاريخه إلى ٣٢٨م.
- نقش «زبد» المكتشف جنوب شرقي حلب يعود تاريخه إلى ٥١٢م.
- نقش «حران» المكتشف جنوب دمشق يعود تاريخه إلى ٥٦٨م.

كتب النقشان الأولان بالخط النبطي: وكتب الثالث (زبد) بثلاث لغات يونانية وسريانية وعربية، وكتب الرابع (حران) بالعربية واليونانية، وهذه النقوش قصيرة جداً أكبرها نقش النمارة به خمسة أسطر، أما من حيث المعلومات فإننا نجد:

- أنها تضمنت أعلاماً عربية (جذيمة، تنوخ، امرؤ القيس...) وبها كلمات مشتركة مع العربية (الإله، مربي..).
- بها تراكيب قريبة من التراكيب العربية: ملك العرب كله، مدينة شمر، لم يبلغ ملك مبلغه.
- استعمال الاسم الموصول «ذو» كما في هذا التركيب «ذو أسر التج» (الذي حاز التاج)، وهذا الاسم الموصول عرفت به قبيلة «طيئ» اليمنية، كذلك استعمال

اسم الإشارة «ذا» في «ذا المرطول» (هذا المرطول).
- وجود آثار الإعراب كما في نقش «النمارة» مثل: وملك الأسدين ونزوا وملوكهم (وملك الأسدين ونزارًا وملوكهم)، فلم يبلغ ملك مبلغه (فلم يبلغ ملك مبلغه).
وكما في نقش حران مثل: بنيت ذا المرطول (بنيت هذا المرطول).
- وجود أداة التعريف «أل» في بعض الكلمات مثل: التج (التاج) العرب، الإله، المرطول.

ومثل هذه المعلومات ليست بذات أهمية في معرفة الفصحى، نحواً وصرفًا وبلاغة وتاريخًا، ثم إن بعض هذه النقوش لسنا في حاجة إليه في هذه الناحية فنقش «حران» مؤرخ بحوالي سنتين قبل ميلاد الرسول ونقش «زبد» في بداية القرن السادس، والفصحى في هذين التاريخين في عنفوان ازدهارها. ونقش النمارة نفسه يأتي أيضًا في فترة نضج العربية واكتمال قواعدها، أما نقش «أم الجمال الأولى» فهو متكون من تسع كلمات ليس بينها سوى علمين عربيين (جذيمة، تنوخ، وكذلك كلمة «مربي» المشتركة مع العربية).

وبناء على ما تقدم فإنه يتعين أن ننظر إلى هذه النقوش من منطلق مختلف، وهو معرفة انتشار العربية المتطورة خارج موطنها الأول، ومدى تأثيرها في الواقع اللغوي لتلك الفترة، وهو ما يعني أن حركة التعريب سبقت الإسلام بزمن طويل، ويكشف لنا نص «حران» على تواضعه أن العربية أخذت تتفوق على الآرامية، بل إن هذا التفوق ظهر في فترة متقدمة كما هو واضح من بعض النقوش، منها نقش مؤرخ في ٣٦٨ أورده «ولفنسون»[٥٦] يتحدث عن قبر «صنعه كعب بن حارثة للقيش بنت عبد مناة أمه..» وكان تأثير العربية فيه قويًا مما جعل البعض يقول: «في القرنين الثالث والرابع بعد الميلاد كانت اللغة النبطية الآرامية قد أخذت تتلاشى وتندمج في العربية إلى أن تلاشت نهائيًا»[٥٧].

وهناك أيضًا نقش «معيرو بن عقرب» وهو من الكتابات النبطية المتأخرة الشاهدة على غلبة العربية، وقد علق عليه ولفنسون بقوله: «ونجد في هذا النقش تأثيرًا عربيًا واضحًا لا في الكلمات فحسب، بل في الأسلوب أيضًا، ونرى أن النبط يتركون شيئًا فشيئًا اللغة والحضارة الآرامية ويندمجون تدريجيًا في اللغة والحضارة العربية»[٥٨].

وإلى هنا نصل إلى أن تأثير العربية الفصحى في هذه النقوش وما يشهد به بعضها

من التفوق على الآرامية يؤكدان مدى القوة التي بلغتها هذه اللغة وهي قوة ما كانت لتتأتى لها لو لم تكن ناشئة في موطن تميز بالثراء اللغوي المنقطع النظير بسبب تعاقب الجماعات خلال أحقاب طويلة مما ساعد على صقلها والاتساق في قواعدها، ولذا فإن النضج الذي عليه الفصحى هو وليد مرحلة طويلة، الغالب على الظن أنها بدأت بعد ظهور الآراميين، وسأحاول في الفقرات التالية التعرف على بعض السمات اللغوية لهذه المرحلة:

أ- اكتمال النظام الصوتي في العربية الفصحى، فقد آل تطوره إلى امتلاكها للأصوات الحلقية الستة (أ، ح، خ، ع، غ، هـ) في حين أن شقيقاتها لم تعرف إلا بعض هذه الأصوات، فالأكدية، مثلا، لا يوجد فيها سوى صوتي الهمزة والخاء (أ، خ) والكنعانية لا يوجد فيها صوتا الغين والخاء (غ.خ) وكذلك الآرامية فهي تفتقر أيضًا إلى هذين الصوتين كما تفتقر الأمهرية إلى صوت العين (ع) أما البربرية القديمة فهي لا تعرف معظم الأصوات الحلقية، والطوارق بربر الصحراء لا تعرف لهجتهم صوت الحاء والعين (ح، ع).

هذا الاكتمال في الأصوات الحلقية يوجد أيضًا في العربية الجنوبية (لغة النقوش اليمنية) ولا يفسر هذا بما ذكره البعض من أن الأكدية فقدت جل هذه الأصوات بسبب التأثير السومري، فهذا ليس صحيحًا، إذ لو كان الأمر كذلك، فبماذا نفسر عدم وجود بعض هذه الأصوات في اللغات الأخرى؟

السبب الحقيقي هو أن هذه الأصوات الحلقية غير موجودة منذ البداية في اللغة نفسها من أكدية وغيرها، أي أن الطاقة الصوتية لدى الكثير من الجماعات لم تتهيأ لها بعد الدواعي المؤدية إلى التوسع في المخارج وولادة هذه الأصوات وهذا شأن الجماعات القريبة العهد من البداية والتي ما تزال إمكانياتها الصوتية غير مستخدمة بالكامل ولذا فمن المستبعد أن تكون اللغة الأم تعرف كل الحروف الحلقية، ثم إن عزلة القبائل عن بعضها تجعل لكل منها مسارها الخاص في تطور الأصوات وكان هذا مدعاة لظهور الأصوات الحلقية بدرجة متفاوتة في اللغات العربية القديمة.

يضاف إلى هذا الاكتمال في نظام الأصوات، وجود أصوات الإطباق الخمسة (ق، ص، ض، ط، ظ) بكاملها في العربية الفصحى وكذلك في العربية الجنوبية، أما العربيات الأخرى فلا يوجد فيها من هذه الأصوات إلا البعض دون البعض.

ب- بروز جمع المذكر السالم(*) بصيغة قياسية محددة، يبقى فيها شكل المفرد سالمًا من التغيير، تضاف إليه الواو والنون في حالة الرفع والياء والنون في حالتي النصب والجر.

المناضل - نجح المناضل(ون) - حيى الجمهور المناضل(ين) - صفق الجمهور للمناضل(ين) ثم هو بالإضافة إلى هذا جمع خاص بالعاقل، وما وجد منه لغير العاقل فهو محدود وبعضه من قبيل الموروث: أهلون، أرضون، جمع أهل، أرض.

هذا الانتظام في جمع المذكر السالم يؤكد أنه أحدث من جمع التكسير الذي يعد بحق أقدم الجموع المرتبطة بنشأة اللغة وبتطورها، والدليل على ذلك عدم وجود جمع المذكر السالم بالصيغة المعروف بها في العربية في غيرها من العربيات السابقة لها، بل توجد في جموعها بعض سماته ومظاهره كما في الأمثلة التالية:

- في البربرية نجد بعض الجموع تزاد في آخر مفردها نون أحيانًا وأحيانًا أخرى واو ونون أو ياء ونون:

أرْقــازْ	ارقـــازنْ	الرجل - الرجال
الْـغَـمْ	الْغَـمَـانْ	الجمل - الجمال
ايـخَـفْ	ايخْفاونْ	الرأس - الرءوس
ايــزَمْ	ايزْمَاونْ	الأسد - الأسود
ثكَلْتْ	ثكَلْتينْ	مــرّة - مــرات
ثـنْزَرْثْ	ثـنْزَرِيـنْ	منخر - مناخر

وفي الأكّدية(٥٩) يحصل الجمع بعد حذف التمييم (حرف الميم) من المفرد بإضافة واو مد في حالة الرفع وياء مد في حالتي النصب والجر:

شَــرُّمْ	شَــرُّو	شــرِّي	ملك - ملوك
اِقــلُــمْ	اِقــلُــو	اِقــلِــي	حقل - حقول

(*) سمي هذا الجمع «سالمًا» لأن بنية مفرده عند الجمع لا تتغير: محمد، محمدون، فالجمع هنا لا يختلف عن المفرد إلا بالواو والنون علامتي الجمع، أما جمع التكسير فسمي كذلك لكون بنية المفرد تتغير وتتكسر عند الجمع: رجل، علم: رجال، علوم.

وفي المصرية[٦٠] تضاف الواو إلى المفرد كما في هذه الأمثلة :

سـن	**سـنـ.و**	أخ – إخـوة
نتّـر	**نتّـر.و**	إلـه – آلـهـة
حـكـا	**حـكـا.و**	حـاكـم – حكام

وفي الآرامية[٦١] تضاف إلى المفرد ياء ونون :

مـلـك	**مـلـكـين**	مـلـك – مـلـوك
شـمـس	**شـمـسين**	شمس – شموس

وكل هذا يوضح أن السمات اللغوية لجمع المذكر السالم في العربية الفصحى كانت موجودة من قبل ولكن دونما انتظام لها في صيغة محددة وشاملة، وهذا يؤكد ما جد من تطور في مسيرة اللغة العربية في المرحلة الثانية.

ت- تفرد العربية الفصحى بأداة التعريف «أل» وهذا أيضًا من مظاهر تطورها اللغوي الخاص بها، وعندما نستعرض أدوات التعريف بصفة عامة، نجد أن «الهاء» مستعملة أساسًا في الشمال، في الكنعانية والثمودية واللحيانية والصفوية، ونجد الهمزة في الحجاز ونجد وما إليهما من الشرق وفي اليمن، ونجد في غرب الوطن العربي، في البربرية همزة مشابهة لهذه الهمزة في الكلمات المنزلة منزلة المعرفة، مثل: أرقاز، أغروم، أزلوم، أجضيض: الرجل، الخبز، الحزام، الطائر. وهنا نتساءل فأي الحرفين أقدم من الآخر؟ وأيهما أصل له؟ هذه المسألة لا يمكن البت فيها في حدود المعلومات المتوفرة، ثم إن نظام مخارج الأصوات وطبيعة الحياة العامة يجعلان بعض الجماعات تغلب صوتًا على صوت آخر يقاربه، ثم إن اللحيانية تستعمل أيضًا للتعريف الأداة «هل» وهذا يدل على ما حصل فيها من تداخل لغوي ظلت محتفظة فيه «بالهاء» التي أضافت إليها اللام ويتأكد هذا التداخل من استعمال اللحيانيين «هن» للتعريف أيضًا، وهي نفسها «هل» فقد غلبت فيها النون على اللام، كما هو الحال في بعض اللهجات العربية، فتميم تقول في الحالك «الحانك» وتقول باهلة في «بَلْ» بَنْ[٦٢]، فالتعريف في اللحيانية كشف عما حصل في هذه اللهجة من تداخل

بحكم مواطنها والفترة التي كانت موجودة فيها، وهذا يوضح تأثير الفصحى فيها الذي هو في نفس الوقت مظهر من مظاهر تفوقها المتصاعد.

ث- اكتمال نظامي الإعراب والتصريف اللذين تميزت بهما العربية الفصحى عن كل شقيقاتها واعتبرهما علماء لغتنا دليل الفصاحة والقدرة اللغوية المتفوقة، وظاهرة الإعراب - كما هو معروف - ليست حديثة بل هي عريقة، موغلة في القدم، بدليل وجودها في الأكدية والأوغاريتية(*) وهو ما يعني أنها ظاهرة موروثة عن اللغة الأم، لغة أسلاف العرب الأوائل المارة بمراحل عديدة في سياق تطورها العام، الأمر الذي أدى إلى بروز سمات لغوية لدى بعض القبائل، منها سمة الإعراب.

وبما أن اكتمال نظامي الإعراب والتصريف ظهر مع الفصحى في المرحلة الثانية من التطور العام للعربية، فقد يكون ذلك بسبب التراكم اللغوي المنقطع النظير الذي عرفت به الجزيرة العربية خلال أحقاب طويلة، وورثته الأجيال المتعاقبة عن بعضها مما أدى إلى بروز موضوعات لغوية ضخمة كالترادف والتضاد والمشترك اللفظي والغريب والمهمل وغير ذلك، وهذا من شأنه أن يفضي على مستوى التجربة والممارسة اليومية إلى الصقل والتهذيب والاتساق في الصيغ وإلى تسهيل عمليات الانضباط والانتظام في القواعد، وهذا في تقديري ما سهل عملية اكتمال نظامي الإعراب والتصريف في الفصحى.

والخلاصة أن السمات اللغوية الأربع وغيرها ليست دليلا على ما حدث في المرحلة الثانية من رقي لغوي كبير فحسب، ولكنها أيضًا دليل على وجود كيان لغوي متميز ومتطور منذ ما قبل الميلاد واستمر تناميه وتفوقه حتى عرفناه قويّا مكتملا في العهد الجاهلي وظهور الإسلام.

(*) يذكر الدكتور محمد بهجت قبيسي أن الإعراب موجود في الكنعانية فيقول عن اللهجة العمورية الكنعانية: «هذه اللهجة لهجة معربة تقبل الحركات» - انظر كتابه: ملامح في فقه اللهجات العربيات، ص٣٤٣.

الفصحى: اللغة القديمة - الحديثة

بعد أن تخلص الباحثون من بعض الأطروحات وتهويشها، وصاروا يسلمون بأن الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي للغات القديمة (المسماة بالسامية) سهل عليهم التسليم بفكرة ثانية، مرتبطة بالأولى ومترتبة عنها، وهي أن الفصحى، باعتبارها لغة عريقة في هذا الموطن، ومتجذرة فيه، وتمثل الحصيلة اللغوية المتطورة لمجمل الواقع اللغوي العربي القديم، لا بد وأن تكون محتفظة بعناصر لغوية قديمة موروثة الشيء الذي يجعلها أكثر قرباً إلى اللغة الأم من شقيقاتها، وهذا ما شهد به «ولسهوزن Olshausen» في قوله: «إن العربية هي أقرب لغات الساميين إلى اللغة السامية القديمة»(٦٣)، وكذلك «أ. ولفنسون» في قوله: «إن اللغة العربية تشتمل على عناصر لغوية قديمة جدًا بسبب وجودها في مناطق منعزلة عن العالم بعيدة عما يتوارد عليه من تقلبات وتغييرات»(٦٤)، وقال «تيودور نولدكه» أيضًا: «حقًا لقد احتفظت العربية أكثر من أخواتها بكثير من الصور الصادقة لعناصر اللغة الأولى مثل الكمية الأصلية تقريباً من الأصوات الساكنة، وكذلك الحركات القصيرة في المقاطع المفتوحة، ولا سيما في وسط الكلمات، وأيضًا الفروق النحوية الكثيرة التي أفسدت - إن قليلا وإن كثيراً - في اللغات السامية الأخرى»(٦٥) وبالنظر إلى أهمية العربية الفصحى في الواقع اللغوي العربي القديم، يضيف «نولدكه»: «ومقارنة قواعد اللغات السامية يجب أن تبدأ حقًا من العربية»(٦٦).

وقام الباحثون بالتعرف على الخصائص اللغوية المشتركة بين لغاتنا العربية القديمة وبحصرها، فتحدثوا عن انتماء أكثر الكلمات إلى الجذر الثلاثي، وعن التشابه في الضمائر وتكوين الأسماء، وعن صياغة العدد والمعدود، وعن الإعراب واعتماد الحروف الصامتة (الصحيحة) وغير ذلك.. وما يهمني في هذا الصدد ذكر عناصر لغوية معينة، لأهميتها في التأكيد على قدم الفصحى وما تمثله من استمرار لغوي متصل الحلقات قد لا نجد له نظيراً في غيرها من اللغات ومن هذه العناصر:

التمييم: وهو زيادة الميم في آخر الكلمة، وقبل الخوض فيه لا بد من إبداء الملاحظات التالية:

أ- هناك كلمات في آخرها ميم، مثل زنيم، وفم، لا تُعد من قبيل «التمييم» فقد اعتبر عبدالقادر المغربي ميم زنيم زائدة لكونها من «الزنا» وهو أمر لا يستقيم، لأنها في هذه الحالة تكون بدلا من الواو، والتمييم الذي نقصده لا علاقة له بالإبدال، كذلك نجد السيوطي حشر كلمة «فم» ضمن الكلمات التي زيدت في آخرها ميم أي أنه يعتبر ميم فم زائدة[٦٧]، وهذا غير صحيح لأنه لا يستقيم مع أصل الكلمة (فاه، فوه، فيه والجمع أفواه) حذفت الهاء كما حذفت في كلمتي «است» و«شاه» فأصلهما «سته» و«شاهة» (الجمع: سُتْهٌ، أسْتَاهٌ وشاءٌ، شياهٌ)، ثم حذفت الواو وعوضت بالميم وقد يكون هذا التعويض لدواعٍ صوتية لأن الواو والميم شفهيتان.

ب- لا تدخل تحت هذا الباب تلك الكلمات التي ختمت مرة بالميم ومرة بالنون مثل:

قاتم، قاتن: أسود قاتم أسود قاتن: شديد السواد

طام، طان: طامه الله على الخير وطانه: إذا جُبل عليه.

فالميم هنا أصلية، وكذلك النون، والنطق بإحداهما دون الأخرى من باب التغليب، أي أن بعض القبائل يغلب النطق بالميم، والبعض الآخر يغلب النطق بالنون كما هو الحال في بعض الأصوات، فهناك مثلا من يغلب الصاد فيقول: الصقر، وهناك من يغلب السين فيقول: السقر، وهناك من يقول عَلْسم. عنبر وغيره يقول: أَسْلَمَ، عمبر..

ج- الكلمات المدرجة تحت «التمييم» مفردة مثل «شجعم» ولا يمكن تأويل معناها على معنى الجمع كما فعل الأستاذ عبدالقادر المغربي الذي قال: «أما رأيي في هذه الميمات وتعليلها أو تحليلها، فهو أن يقال إن «شجعم» هو في الأصل جمع «شجاع» وهذا الجمع يفيد المبالغة في وصف الشجاعة وأن معنى تسمية الأسد «شجعم» أنه من شجاعته أصبح كأنه عدة شجعان لا شجاع واحد، فهو مفرد حقيقة جمع اعتباراً»[٦٨]، والملاحظ على هذا التفسير أن صاحبه متأثر برأي علماء العربية في هذا الصنف من الكلمات، وانطلاقًا من كل ما تقدم تتضح لنا حقيقة «التمييم» فهو عبارة عن «ميم» زائدة في آخر الكلمة المفردة، تقابل ما سمي في العربية «تنوين التمكين» الذي يكون في آخر الكلمات المعربة المنصرفة، مثل، صالح، نهر، جميل.

هذه الظاهرة اللغوية عرفت في الأكدية كما في هذه الكلمات:

بيتُمْ	بيتٌ (بيتُنْ)
كلبُمْ	كلبٌ (كلبُنْ)
شرِمْ	ملكٌ (ملكُنْ)
مارِمْ	ابنٍ (ابنِنْ)
مارتُمْ	ابنةٌ (ابنتُنْ)

وفي العربية لا نكتب نون التنوين إلا في الوزن الشعري، وبدل ذلك نعوضها بحركتين في الحالات الثلاث: الرفع والنصب والجر.

ظاهرة «التمييم» هذه موجودة في العربية الجنوبية بكثرة، وبالخصوص في أسماء الأعلام للأشخاص والسلالات والمواضع:

الأشخاص: أسدم، كعبم، كليبم، ذأبم، بكرم.

السلالات: كهلم، ثورم، حشدم، مذحجم، حميرم.

المواضع: سيفهم (وادٍ بسلطنة عمان)، برم (موضع)، مسندم (شبه جزيرة في سلطنة عمان)، خرصم (موضع)، لجأم (موضع).

كما توجد الميم في غير هذه الموضوعات الثلاث: إبلم (إبل) شعبم (شعب)، قريتم (قرية)، تلفم (تلف).

ومما يدل على شيوع ظاهرة «التمييم» هو أننا نجدها في بعض اللهجات العربية القديمة الأخرى مثل الإبلائية:

أكلم: أكلٌ، نفستُم: حياة (نفس)، قردم: القوي، البطل ايلوم: الإله إبل، شاؤولوم: شاؤول (اسم)(*)، وهذا أيضاً ما ذكره الدكتور بهجت قبيسي في قوله من أن الإيبلائية «تماشت مع الأكدية بلاحقة التمويم»[٦٩].

و«ربين Charm Rabin» يذكر هذا كما في قوله: «والتمييم هو نظير التنوين في العربية الفصحى ويوجد في العبرية وسواها من الساميات»[٧٠].

وبالنسبة للعربية فقد تفطن بعض الدارسين إلى وجود بقايا «التمييم» في العديد من كلماتها، وهذا أمر طبيعي إذ هي لغة عريقة في القدم، وتعد بلا منازع، الوريث الأساسي والمباشر للغة الأم، وهو ما جعل تراثها غزيراً متضمناً لكثير من الظاهرات

(*) الكلمات الثلاث الأولى من كتاب: وثائق إيبلا، للدكتور عفيف بهنسي، دمشق ١٩٨٤، ص١٤٦، ١٤٧، والكلمتان الرابعة والخامسة من إيبلا - عبلاء، الصخرة البيضاء ترجمة قاسم طوير، دمشق ١٩٨٤ ص١٧٢، ١٧٣.

اللغوية القديمة، من بينها ظاهرة «التمييم». وكانت هذه الكلمات المميمة متناثرة في كتب اللغة والتاريخ، واستعمل بعضها في الشعر الفصيح(*) جمع منها السيوطي ما يقارب من ثلاثين كلمة، وجمعت منها ما يزيد عن خمسين كلمة، بعضها ينتمي إلى البيئة اليمنية كما في الأمثلة السابقة، وفيما يلي نموذج مما تم جمعه من الكلمات المميمة:

زُرْقُم: شديد الزُّرقة
خضْرَم: شديد الخضرة (للبحر)
حُلْكُم: شديد السواد
فُسْحُم: الواسع الصدر، المكان الواسع
شُبْرُم: قصير القامة
ابْنُم: ابن
شَجْعم: من الشجاعة
دَخْشُم: اسم رجل ممتلئ لحمًا
عُلْجُم: شديد السواد
سُتْهم: الاست، العجز
صِلْدَم: الصلب، شديد الحافر
قَشْعَم: المسن من الإنسان والحيوان (النسر)
جَحْظَم: جاحظ، عظيم العينين
جَذْعَمة: صغير، جذع (صغير السن)
دَعْقَمة: لين الطعام وطيبه ورقته
جَحْرَمَة: ضيق وسوء خلق
قلْحَم: المسن من كل شيء
دَلْهم: اسم رجل
شَدْقَم: الواسع الشدقين، اسم فحل من الإبل
دِقْعِم: من الدقعاء (التراب)

هذه الأمثلة وغيرها توكد أهمية ظاهرة «التمييم» وأنها كانت واسعة الانتشار ووجودها في العربية الجنوبية يدل على أنها كانت سمة لغوية من سمات اللغة الأم في طور من أطوارها، وعلماء العربية تفطنوا إليها، إلا أن عدم معرفتهم باللهجات العربية القديمة جعلهم لا يهتدون إلى حقيقتها، ولذا فسروها بما يتماشى ونظام القواعد في العربية، فالميم - كما تقدم - زائدة، وليست من الحروف الأصلية في بنية الكلمة، وعلى هذا الأساس وقع التعامل معها، ثم هي معتبرة من ضمن حروف الزيادة العشرة (سألتمونيها) وحروف الزيادة في الأساليب البلاغية العربية تعد من عناصر التوكيد وتقوية الكلام. ومن هنا وجدنا «ابن يعيش» النحوي يقول: «زادوا الميم في هذه

(*) وعلى سبيل المثال، استعمل حسان «ابنم» كما في قوله:
ولدنا بني العنقاء وابنيْ محرق   فأكرِمْ بنا خالاً وأكرم بنا ابْنما
واستعمل الراجز «زرقم» و«ستهم» كما في قوله:
لست بكحلاء ولكن زُرقُمُ   ولا برسْحاءَ ولكن ستْهُمُ
انظر لسان العرب.

الأسماء للإلحاق ببرثن(*) مبالغة، لأن قوة اللفظ مؤذنة بقوة المعنى»[٧١] وقال اللغوي أبو منصور الثعالبي: «الميم تزاد.. في آخر الأسماء للمبالغة كما زيدت في زرقم وشدقم»[٧٢].

كما وقع الاهتمام بهذه المسألة من قبل بعض الدارسين المعاصرين، ولا بد - في هذا الصدد - من إبعاد تلك الآراء التي تعد أقرب إلى التهويش منها إلى العلم مثل رأي الأستاذ رمسيس جرجس الذي يعتبر «التمييم» ظاهرة شمرية (أي سومرية) فيقول: «إن التمييم اقتبسه البابليون، وبعدهم الأكديون والأشوريون من الشمريين»[٧٣]، وقبل هذا ذكر أن قريشاً اقتبست حروف الكتابة عن اليونانية وأن العرب نقلوا عنهم «فيما نقلوا التنوين للأسماء كلها في جميع حالات الإعراب»[٧٤].

هذا الكلام ليس بعيداً عن الموضوعية فحسب، بل يؤكد عدم نزاهة صاحبه: فآراؤه في مثل هذه الموضوعات تأتي ضمن ذلك التيار الثقافي الذي لا يتورع أصحابه عن الطعن في العرب وفي لغتهم وثقافتهم، وقد وصل الأمر بلويس عوض إلى حد جعل العربية فرعاً من شجرة اللغات الهندية - الأوروبية، وأن العرب ما هم إلا موجة متأخرة وصلت إلى الجزيرة العربية من القوقاز[٧٥].

ومن الآراء السباقة في هذا الموضوع، رأي الأستاذ عبدالقادر المغربي الذي تناول هذا الموضوع سنة ١٩٢٣ اقترب فيه من جوهر المسألة، لكن محدودية المعلومات في ذلك الوقت في مجال علم اللغة المقارن، وارتباط الأستاذ المغربي بوجهة نظر علماء العربية في موضوع زيادة الميم في آخر الكلمات جعلاه محبوساً في إطار هذه الوجهة، معتبراً تلك الكلمات من قبيل الجمع، فيقول: «إن معنى المبالغة والتعظيم فيها، إنما جاءها من صيغة الجمع العبرانية التي تسربت إلى لغتنا العربية من تلك اللغة» ويبدو أنه غير مقتنع بهذه الفكرة، إذ الميم في «شدقم» وأخواتها، قد لا تكون للجمع، وإنما «يمكن أن تكون هي التنوين الذي يلحق الكلمات في اللغة البابلية، فكما نزيد نحن التنوين في أواخر كلماتنا كان البابليون يزيدون الميم، فنقول نحن «رجل» وهم يقولون «رجلم»، فلعل ميم «شدقم» وأخواتها هو تنوين علق في آخر الكلمات العربية من تلك اللغة البابلية ثم تنوسي أصله، وظن من بنية الكلمة[٧٧]، وهذه الفكرة على صوابها ليست راجحة عنده.

(*) لكلمة «برثن» أصل ثلاثي «برث» ولذا فالنون في «براثن» قد يكون أصلها تنويناً» بدليل أنها وردت أيضاً «مميمة» في بعض اللغات / اللهجات - لسان العرب.

ومن خلال المعلومات المتوفرة عن «التمييم» يبدو أن أغلب الآراء تعتبره أقدم من «التنوين» وأن الميم هي التي كانت رائجة في الاستعمال، ولذا فإن الدكتور محمد بهجت قبيسي يرى أن التمييم في الأكدية بفرعيها البابلي والأشوري تطور «إلى التنوين في العدنانية»[٧٨] وبصفة عامة، وحسب هذا الاتجاه فإن العربية في مرحلتها الأولى القديمة (مرحلة الانفصال عموماً) كانت تستعمل «التمييم» لكنها تخلت عنه عبر مراحل تطورها في المرحلة اللاحقة وحل محله التنوين، وما تزال الكلمات المتقدمة شاهداً على تلك المرحلة، والواضح أن الذي حمل على القول بأن التمييم هو الأقدم وأنه الأصل، الوثائق الأكدية التي وردت بها هذه الظاهرة وكذلك وثائق العربية الجنوبية.

والسؤال المتبادر إلى الذهن في هذه الناحية، ألا يكون «التنوين» قديماً هو الآخر مثل «التمييم»؟ وعدم امتلاكنا لوثائق قديمة تثبت قدم هذا التنوين، لا يعني أنه لم يكن موجوداً، وفي تقديري لا بد من الحذر في هذه الناحية، وتجنب الأحكام الباتة، فقد تكون هناك بعض الحقائق التي ما تزال خفية عن الأنظار وبعيدة عن الاهتمام، والتي قد تعاكس الرأي الذي يغلب أقدمية «التمييم» على «التنوين».

وفي طرح هذا الموضوع، نلاحظ:

أ. أن «التنوين» ظاهرة مكينة في العربية، ومتجذرة فيها، فلو كانت متطورة عن «التمييم» أو ظهرت مستقلة، لما اختفى «التمييم» من العربية الفصحى بالصورة التي نعرفها، خاصة وأنه تواصل في العربية الجنوبية، وهو موجود فيها بكثرة، أما الكلمات المميمة التي عثر عليها في كتب اللغة، فهي قليلة لا تكفي للتدليل على مرور العربية بمرحلتين: مرحلة «التمييم» ومرحلة «التنوين» فقد تكون لعشائر جنوبية أو لغيرها، وقد تكون مقترضة بحكم تجاور القبائل واحتكاكها ببعضها.

ب- إذا كانت هناك كلمات بآخرها ميم زائدة، فهناك أيضاً كلمات أخرى بآخرها نون زائدة مثل:

رعشن: للذي يرتعش	**فِرْسِن**(*): طرف خف البعير
ضَيْفن: للضيف	**صيدن**: الأصيد من الملوك
خَلْبَن: خرقاء	**رَعْشَن**: مشربة من قشر الطلعة يشرب منها
بِلَغْن: الذي يبلغ أحاديث الناس	**خِلْفَن**: في أخلاقه خلاف

(*) وهي في العامية التونسية بالميم «فرسم» وتعني الظلف وهي للشاة والماعز كمنزلة الحافر من الدواب.

بلعن: لبعضهم بعضاً　　　**عرضن**: الاعتراض في السير

وهناك كلمات وردت بالميم والنون معاً:

شعبم	شعبن
علجم: الغدير الكثير الماء	**علجن**: الناقة الصلبة
دخشم: قصير القامة	**دخشن**: غليظ
مُحلقم: الرطب إذا بلغ ثلثي اليبس	**مُحلقن**: الرطب إذا بلغ ثلثي اليبس

وكما أنثت بعض الكلمات الميمة مثل: جَذْعَمَة، جَحْرَمَة كذلك أنثت بعض الكلمات المنونة، مثل: خَلَفْنة، عرْضَنة.

ولا بد في هذا الصدد، من ذكر ما أورده البعض من الكلمات التي تشير إلى وجود التنوين في الصفوية[٧٩]:

ثبرن: ثبرٌ　　　**ثربن**: ثربٌ　　　**حددن**: حددٌ

وهذا يعني أن ظاهرة «التنوين» قديمة هي الأخرى، ومن الصعب، وعلى ضوء الأمثلة المتقدمة، أن نجزم أنها أحدث من ظاهرة «التمييم».

جَ- استناداً إلى ما نعرفه عن لهجات الفصحى كالحجازية والتميمية وما بينهما من اختلافات لغوية، بعضها ناشئ بكل تأكيد عن دواعٍ صوتية كما في الحالات التالية:

فأهل الحجاز يسهلون الهمزة فيقولون: راس، بير، لوم. ويقولون: لعل وأن، (بفتح الهمزة).

وتميم على العكس منهم تحقق الهمزة فتقول: رأس، بئر، لؤم، وتقول: عن، بدل أن - وعسلم بدل أسلم (العنعنة).

وتقول قيس: يَعْثُمُ ويَعْثِنُ (يجتهد في الأمر ويعمل نفسه فيه).

استناداً إلى هذا يمكن القول أن هناك من الجماعات القديمة من غلبت «التمييم» كما في الأكدية، وهناك من الجماعات الأخرى من غلبت «التنوين» كما في العربية، والاختلاف في كلتا الحالتين، أساسه الدواعي الصوتية.

د- يضاف إلى كل ما تقدم أن هناك من الباحثين من تحدث عن قدم التنوين، فهذا الدكتور سامي سعدي الأحمد يقول: «واستعملت اللغة الأكَدية القديمة التمويم والتنوين ثم صارت بعد ذلك مقتصرة على التمويم فقط»[٨٠] ولكنه لم يقدم أي مثال لتأكيد فكرته، كما يذكر الدكتور محمد بهجت قبيسي أن «التنوين موجود في الكنعانية كما في العدنانية»[٨١] دون أن يقدم هو الآخر مثالا على ذلك.

والمهم هنا هو أن كلام الأستاذين يأتي مرجحًا للفكرة التي تقول بأقدمية التنوين. وعلى كل، فالتمييم والتنوين كلاهما شاهد على قدم العربية الفصحى وعراقتها.

جمع التكسير:

وهو من أوفر الجموع في العربية، وتدل طبيعة تكوينه على أنه من أقدم الجموع وأكثرها عراقة، إذ هو ينتمي - تاريخيًا - إلى المرحلة الأولى من نمو اللغة وتكونها، وهي مرحلة غير متطورة لا تخلو من التداخل والاضطراب اللغوي، فالجماعات فيها تنشئ جموعها بصورة تلقائية وعلى غير مثال يحتذى أو عادة لغوية مستقرة، ومما يدل على قدم هذا الجمع هو أنه يذكر ويؤنث[٨٢] على حد سواء، والكثرة الهائلة منه تؤكد أنه حصيلة لغوية لعشائر وقبائل متعددة ورثتها العربية الفصحى، وهذا هو السبب في عدم خضوع هذه الجموع الوفيرة إلى قياس عام، فجموع الكثرة وحدها في العربية الفصحى «قد تزيد عن الثلاثين»[٨٣] يضاف إليها جموع القلة الأربعة وحسب بعض الدراسات فلجمع التكسير «أكثر من أربعين صيغة يتحول فيها شكل المفرد تحولا جذريًا إلى صيغة جديدة»[٨٤].

وتغيير المفرد في العربية يكون:

- إما بتغيير الحركات فقط: أَسَدٌ، مَثَلٌ في الجمع أُسْدٌ، مُثُلٌ
- وإما بتغيير الحركات مع الزيادة: رَجُلٌ، كَبْشٌ في الجمع رِجَالٌ، أَكْبَاشٌ
- وإما بتغيير الحركات مع الحذف: طَرِيقٌ، أَحْمَرُ في الجمع طُرُقٌ، حُمْرٌ
- وإما بتغيير الحركات مع الحذف والزيادة: كَبِيرٌ، أديبٌ في الجمع كِبَارٌ، أُدَبَاءُ

ولمعرفة كثرة جموع التكسير، يكفي أن نذكر أن المفرد قد يكون له جمعان أو ثلاثة أو أربعة أو خمسة أو ستة أو سبعة أو ثمانية أو تسعة أو عشرة أو أحد عشر جمعًا ولا أدري إن كان له أكثر من ذلك أم لا، كما في هذه الأمثلة:

المفرد	الجمع
فارس	فوارس، فرسان
قطّ	قِطَطَة، قِطَطٌ
أَنْفٌ	أُنُوفٌ، آناف، آنُفٌ
جَفْنٌ	جفونٌ، أجفنٌ، أجفانٌ

ثَـــوْبٌ   أثواب، أثوبٌ، ثياب، أثْوُبٌ
أســـــدٌ   أُسُودٌ، أُسْدٌ، آسَادٌ، آسَدٌ

بعيـــرٌ   أبْعِرَة، أبَاعِرُ، أبَاعِيرُ، بُعْرَان، بعْرَان
رَجُـــلٌ   رِجَالٌ، رَجَلَة رجْلَةٌ، أرَاجِلُ، رِجَالات

جَـمَـلٌ   جِمَالٌ، أجْمَالٌ، جُمْلٌ، جُمَالَة، جِمالات، جَمَائل
رَأْيٌ   آرَاء، أرآء، أرْيٌ، رُيٌّ، رِيٌّ، رِئِيٌّ

اللهـــاة   لَهَوَات، لَهَيات، لُهِيٌّ، لِهِيٌّ، لهًا، لَهَاء، لِهَاء
النُّفَسَاء   نِفَاس، نُفُس، نُفَس، نُفَّس، نُفَاس، نَوافِس، نُفَسَاوَات

صَاحِب   صَحْب، أصْحَاب، صُحْبَة، صِحَاب، صُحْبَان، صِحَابَة، صَحَابَة، أصَاحِيب
نَمْـــر   أنْمُر، أنْمَار، نُمْر، نُمُر، نِمَار، نِمَارة، نُمُور، نُمُورَة

عَبْـــد   عَبِيد، عِبَاد، عَبَدَة، عَبْدُون، أعْبُد، عُبْدَان، عِبْدَان، عِبِدَّان، أعْبَاد
وجمع الجمع: أعَابِد، مَعَابِد، أعْبِدَة
نَاقَـــة   نَاق، نُوق، أنْوُق، أنْؤُق، أنوق، أَنْيق، نِيَاق، نَاقَات، أنْوَاق
وجمع الجمع: أيَانِق، نِيَاقات
الصَّـبِيُّ   صُبْيَان، صِبيان، صُبْوَان، صِبْوان، أصْبِيَة، صِبْيَة، صَبْيَة، صُبْيَة، صِبْوَة، أصْب
الـــدَار   دُور، دِيَار، أدْؤُر، أدْوُر، أدوِرَة، دِيَارة، أدْوَار، دُورَات، دِيَارَات، دُورَان، دِيرَان

وهذا العدد الكبير من الجموع للكلمة الواحدة دليل على انعزال القبائل عن بعضها وعلى ما خلّفه تعاقب أجيالها من تراكم لغوي لا نجد له مثيلا خارج الجزيرة العربية.

وظاهرة جمع التكسير موجودة في عدد من اللهجات العربية القديمة، فهي شائعة في العربية الجنوبية وفي الحبشية، تحدث عنها «موسكاتي» وذكر أن هاتين اللغتين «تمتازان بنمط خاص من الجمع هو ما سمي بجمع التكسير»(٨٥) وتتم صياغته «بتغيير الاسم تغييراً داخليًا»(٨٦) ومن اللهجات العربية القديمة المعروفة بهذا الجمع، اللهجات

البربرية، وهي في صياغتها له لا تختلف عن العربية الفصحى، فجمع التكسير يتغير فيه بناء المفرد.

- إما بتغيير الحركات فقط: أَمْدَكَلْ في الجمع امدُكَلْ - صديق، أصدقاء
- وإما بتغيير الحركات مع زيادة حرف: أَجدَرْ في الجمع اجُدَارْ - عُقَاب، عقبان
- وإما بتغيير الحركات مع الحذف: ثَمَارِثْ في الجمع ثَميري - لحية - لحًى
- وإما بتغيير الحركات مع الحذف والزيادة: تَشَاشيتْ في الجمع تَشُوشَايْ-شاشيه، شواشٍ

واللهجات البربرية تأتي بعد العربية الفصحى من حيث الكثرة في جموع التكسير حتى إننا نجد للمفرد جمعين أو ثلاثة لا جمعًا واحدًا كما في هذه الأمثلة:

المفرد	الجمع(*)
الْــــف:	الْفَانْ، اَلْفيونْ - خنزير، خنازير
أخـــام:	اَخامن، اخّامن - خيمة، خيام
أمــوشّ:	اَموشّن، اَماشّو، اميشّو - قطّ - قطط
تــيـــطّ:	تيطّاون، تيطّاوين، تاطّاوين - عين، عيون (الباصرة)

كما عرف جمع التكسير في اللغات العربية الشمالية القديمة (الإبلائية الكنعانية، الآرامية) وتحدث عنه بعض الدارسين(٨٧) إلا أن ما عرف منه ما يزال محدودًا.

وهكذا نصل إلى أن جمع التكسير ما هو إلا حصيلة لغوية ضخمة لجماعات متعددة، تعكس جانبًا من التاريخ الاجتماعي للجزيرة العربية، وتؤكد عراقة الفصحى وقدم الكثير من مكوناتها.

التأنيث:

يعد من الموضوعات اللغوية الأساسية في التاريخ الاجتماعي والثقافي لمجموعتنا العربية، فهو بالإضافة إلى كونه رابطة رئيسية باللغة الأم (العربية الأولى) فإنه أيضًا من أبرز سمات التحول الاجتماعي - التاريخي الذي جد في فترة العصر الحجري الحديث، وأدى مع مختلف التغيرات الاقتصادية والثقافية إلى بروز نظام الأبوة وسيادته.

وبحكم هذا البعد التاريخي للتأنيث، فهو من المسائل النحوية الرئيسة في لغتنا العربية، وعندما نستعرض ما دوّنه النحاة واللغويون في شأنه، نلاحظ أن هناك قلقة في السيطرة على تفريعاته، فقد قسم إلى حقيقي ومجازي، وصنفت الأشياء، ودرست المشتقات،

(*) هناك جموع تكسير في اللهجات البربرية بها سمات جمع المذكر السالم التي هي من أولويات وجوده، إذ هو ظهر متأخرًا بعد جمع التكسير.

وقدمت التعليلات والمبررات(*)، ومع ذلك فلا نكاد نظفر بقياس مطرد أو قاعدة منتظمة، إذ هناك دائما الشيء وضده وهذا ما أكده «ابن التُسْتَري» في قوله: «ليس يجري أمر المذكر والمؤنث على قياس مطرد، ولا لهما باب يحصرهما كما يدعي بعض الناس»(٨٨).

وإذا كان وجود الشيء وضده أمراً طبيعيًا لتنوع الحياة واختلاف مشاربها وكثرة تناقضاتها، فإن الأمر بالنسبة للتأنيث قد تكون له أسباب أخرى، وهو ما سنحاول التعرف عليه بقدر الإمكان.

وهذا، بالطبع، لا يكون إلا بتتبع الموضوعات التي بدت غير متمشية مع القاعدة العامة للتذكير والتأنيث، من ذلك:

١- بعض الصيغ التي يستوي فيها المذكر والمؤنث والتي لا تلحقها تاء التأنيث الفارقة مثل:

- **فَعُول** (بمعنى فاعل): صبور، نفور، غضوب، حقود، فيقال: رجل أو امرأة صبور، نفور.
- **مِفْعَال**: مفْراح، معلام، مذكار، فيقال رجل أو امرأة مفراح، معلام.
- **مِفْعِيل**: منْطيق، معطير، مسكين، فيقال رجل أو امرأة منطيق، معطير.
- **مِفْعَل**: مغْشم، محْرب، فيقال رجل أو امرأة مغشم، محرب.

ومن هذا القبيل أيضًا:

- **فَعِيل** (بمعنى مفعول): جَريح، قَتيل، ذَبيح، نطيح، فيقال رجل أو امرأة جريح، قتيل.
- **فُعُل**: رجل فُرُج، امرأة فُرُج (لا يكتمان السر)، شيء سُدُم (مندفن)، امرأة فُضُل (في ثوب واحد)، ليلة خُرُس.

٢- هناك صيغ أخرى متنوعة استعملت مع المؤنث بدون أن تلحقها تاء التأنيث الفارقة، مثل:

- **مُفَعِّل**: قطاة مُطرِّق (إذا دنا خروج بيضها)، ناقة مُعَضِّل (إذا اشتدّ النتاج معها) ناقة مُمَلِّح (فيها شيء من الشحم).
- **مُفَاعِل**: ناقة مُعَالِق (علوق لا ترأم)، شاة مُمَانح (لا ينقطع لبنها) ناقة مُقَامِح (أبت أن تشرب الماء).
- **فَيْعَل**: امرأة غَيْلَم (حسناء) وحَيْحَل (ضخمة) بئر عَيْلَم (كثير الماء).

(*) انظر على سبيل المثال وجهتي نظر البصريين والمكفوفين فيما استوى فيه المذكر والمؤنث من صيغة «فاعل» وكيف عللا ورودها بغير تاء التأنيث - الإنصاف في مسائل الخلاف. لأبي البركات الأنباري. تحقيق محمد محيي الدين. الطبعة الرابعة - القاهرة ١٩٦١، ج٢ المسألة ١١١.

- **فَعَال**: امرأة حَصان (عفيفة) ورزَان (رزينة) ونَوار (نفور من الريبة).
- **فُعْلُول**: امرأة عُطْبُول (طويلة العنق) وشُغْمُوم (تامة الحسن)، ناقة عُسْبُور (صلبة) ورهشُوش (خوارة).
- **فعْلل**: امرأة هرْمل (بها هوج)، ناقة دلْقم (تكسَر فوها)، بئر خضْرم (كثيرة الماء).
- **فَعْلَل**: امرأة قَرْثَع (حمقاء) وخَلَبَنٌ (خَرْقاء)، بئر زَغْرَب (كثير الماء).
- **فُعْلٌ**: ناقة بُسْط (المتروك معها ولدها)، امرأة رُؤْد (ناعمة)، بئر سُكّ (ضيّقة).
- **فَعْل**: امرأة خَوْذ (حسنة الخلق)، أرض قَفْر (خلاء)، ناقة حَرْف (شديدة).

٣- مشتقات لا تلحقها تاء التأنيث الفارقة، دالة على سمة خاصة بالمرأة وبطبيعتها مثل:
- حائض، طالق، طامث، حامل.. فيقال: امرأة حائض، طالق...
- امرأة مُذكر، مُؤْنث: مُحْمق، (تلد الذكور، الإناث، الحمقى).
- شاة مُقْرَب، مُرْءٍ، مُوْحَد (قربت ولادتها، ظهر حملها، ولدت واحدة) ناقة مُحْمِل، مُطْفِل، مُشْرِق (نزل لبنها، ولدها صغير، أشرق ضرعها).

٤- كلمات عديدة تذكر وتؤنث مثل:

السماء، السلطان، السبيل، السكين، السُّرَى، الحال، الحانوت، الضحى، القدر، الصاع، المسك، السلم.

هذه الكلمات بعضها التأنيث فيه أكثر كالسماء، وقد وردت مذكرةً في القرآن «السماء منفرط به» وكذلك الضحى، وبعضها الآخر التذكير فيه أكثر كالسلطان والسكين والحانوت.

٥- الوصف بالمصدر الذي يستوي فيه المذكر والمؤنث مثل رجل عدل، صدق، رضى - امرأة عدل، صدق، رضًى.

٦- هناك أسماء لم تلحقها علامة التأنيث ومع ذلك تعتبر مؤنثة مثل: عَقْرَب، ضَبُع، عَنْكَبُوت، أما مذكرها فهو: عَقْرُبان، ضِبْعَان (أو ذِيخٌ)، عَنْكَب.

٧- هناك الجمع الذي يميّز واحده عنه بتاء التأنيث مثل: بقر، تمر، ورق، شعير - واحده: بقرة، تمرة، ورقة، شعيرة، هذا النوع من الجموع (المسمى: اسم الجنس الجمعي) لك أن تعامله معاملة المؤنث فتقول: هي البقر، هي التمر، هي الورق، هي الشعير.

وهذا هو الغالب عند أهل الحجاز، أما أهل نجد فيعاملون في الغالب هذا الجمع معاملة المذكر فيقولون: هو البقر، هو التمر، هو الورق، هو الشعير.

٨- نضيف هنا صنفًا آخر من الكلمات، وهي وإن كانت مختومة بهاء التأنيث إلا أنها تقع على المذكر والمؤنث معًا، مثل: شاة، أُرويّة (ضأن الجبل)، عَظاءة (دويبة)، جداية (الصغير من الظباء).

وبهذا نكون قد عرفنا موضوعات مختلفة عومل فيها المؤنث معاملة المذكر، وقد واجه النحاة واللغويون هذه الظاهرة واجتهدوا في تعليلها، ولكن اجتهاداتهم ظلت قاصرة، وهذا راجع إلى عدم معرفة القدماء جميعًا بطبيعة المرحلة التاريخية التي تكونت فيها اللغة، وتميزت بأصولها وسماتها الخاصة بها، فاللغة باعتبارها أمرًا ثقافيًا تعكس في بعض سماتها طبيعة المرحلة الاجتماعية التي تكونت فيها، وكانت تعبيرًا عنها، ولذا فإن التطور اللغوي وما يجد فيه من ظاهرات جديدة لا يمحو أبدًا كل السمات القديمة، بل تظل موجودة مجسدة في العديد من الحالات والصيغ.

وهذا ما ينطبق على ظاهرة التأنيث في اللغة العربية، فقد احتفظت فيه بسمات الماضي السحيق فما يستوي فيه المذكر والمؤنث وغيره من الحالات الأخرى، يعود، في الأساس، إلى مرحلة ما تزال اللغة فيها غير جنسية، أي لا تفرق بين المذكر والمؤنث، والغالب على الظن أن هذه المرحلة هي مرحلة الأمومة، وأن عملية التفريق بين الجنسين، وظهور علامات تأنيث خاصة بالمؤنث، هي ناجمة عن الانقلاب التاريخي - الاجتماعي الضخم في العصر الحجري الحديث، والذي أدى إلى ولادة نظام اجتماعي جديد، هو نظام الأبوة الذي صار الرجل فيه الركيزة الأساسية، وكان هذا الانقلاب شاملا لمختلف جوانب الحياة من اجتماعية واقتصادية وتقنية وثقافية بما فيها النواحي العقائدية والفنية، فمن الطبيعي أن يشمل أيضًا اللغة، وأن تصبح - نتيجة لذلك - جنسية، يفرق فيها بين المذكر والمؤنث، وبما أن مركز القوة صار للرجل فقد أعطيت للمؤنث علامات لغوية تميزه عن المذكر، واعتبر التذكير هو الأصل(*)، ولذا وقع تغليبه في حالات الجمع بينه وبين التأنيث فيقال مثلا:

لفلان سبعة بنين، يعني ذكورًا وإناثًا.

زارني فلان وفلانة ابنا فلان.

صالح وفاطمات متعلمون.

ولم يقع في نحونا العربي، على حد علمي، تغليب التأنيث على التذكير إلا في

(*) قال سيبويه: «إن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم تختص بعد، فكل مؤنث شيء والشيء يذكر فالتذكير أول، وهو أشد تمكنًا» كتاب سيبويه - تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الثالثة، بيروت ١٩٨٣ ج٣ ص٢٤١.

بعض الجزئيات منها ما هو خاص بالعدد مثل:

فرغت من رسالتي لثلاث بين يوم وليلة.

اشتريت خمساً بين كتاب وقصة.

ومن ذلك أيضاً:

ضَبُعان أي الضَّبُع الأنثى وفحلها، فإطلاق لفظ الأنثى على الذكر فيه تغليب للتأنيث.

هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى، فإن هذا الانقلاب لا يعني أن كل ما يتصل بمرحلة الأمومة قد انقرض تماماً، فهذا ليس صحيحاً، فبقايا الماضي لا تندثر بسهولة، فهناك أمثلة كثيرة تؤكد أن العرب عرفوا مجتمع الأمومة، ومن هنا وجدنا اللغة العربية محتفظة ببعض عناصر هذا المجتمع.

بهذا نكون قد عرفنا سبب اشتمال العربية على تلك الصيغ التي يستوي فيها التذكير والتأنيث وتلك التي للمؤنث مع أن لفظها مذكر وتلك الأسماء المذكرة في اللفظ والمعتبرة مؤنثة، وتعامل معاملة المؤنث وغير ذلك من الحالات الأخرى.

وبما أن هذه الظاهرة من مخلفات الماضي السحيق، بقيت صامدة عبر الزمن، وضمن التطور اللغوي العام، فإنه لم يقع الالتزام بها، وأخضعت في حالات كثيرة للقياس العام، وأجري عليها التأنيث شأنها شأن الكلمات المشابهة لها وعلى سبيل المثال:

يقال في: امرأة حائض وطالق، امرأة حائضة وطالقة.

ويقال في: ناقة حلوب وامرأة أيِّم، ناقة حلوبة وامرأة أيِّمة.

ويقال في: رجل مِجْذاب (للسريع في قطع المودة)، مِطْراب (لكثير الطرب) مِعزاب (للذي يعزب بإبله في المرعى)، بدل مِجْذابة ومِطْرابة ومِعْزابة.

ويقال أيضاً: رأيت صبورة وقتيلة بني فلان.

وعدم الالتزام المشار إليه وخضوع الصيغ السابقة وغيرها للقياس، يعد سمة من سمات الفصحى ومظهراً من مظاهر اكتمالها وتطورها اللغوي.

ومن هنا رأينا مجمع اللغة بالقاهرة يجيز إدخال هاء التأنيث على صيغة «فَعُول» بمعنى فاعل ويجري عليها ما يجري على غيرها من الصفات التي يفرّق فيها بين المذكّر والمؤنث بالهاء وتجمع جمعاً صحيحاً في كلتا الحالتين(*).

وعلى أي حال فإن التأنيث بين هو الآخر أن العربية الفصحى من أعرق اللغات في العالم وأنها بحق اللغة القديمة - الحديثة، وتتجلى حداثتها في اكتمالها وانتظام قواعدها، وفيما تحقق لها من اقتدار ذاتي، مستمرة بفضله إلى يومنا هذا.

الفصحى: لسان العرب ولغتهم المشتركة

قبل الفترة التي عرفنا فيها الشعر الجاهلي، يلف الغموض تاريخ الفصحى بما في ذلك ما قبل الميلاد، وذلك لعدم توفر نصوص مدونة بهذه اللغة، وهو ما جعل وجهات نظر الباحثين حول نشأتها وظهورها مختلفة ومتناقضة أحياناً.

فهذا «برجيه» يزعم: «أن العربية كانت لهجة قبيلة صغيرة وصلت في وقت من الأوقات بفضل ظروف محلية إلى درجة من الكمال خارقة للعادة، وهي مدينة بانتشارها إلى الإسلام»[٨٩].

وهذا «نلينو» يعلن: «أن العربية الفصحى تولدت من إحدى اللهجات النجدية وتهذبت في مملكة كندة وعصرها وأصبحت اللغة الأدبية السائدة»[٩٠]، وقريب من هذا رأي «ربين Rabin» الذي يقول فيه: «إن العربية الكلاسيكية قد قامت على أساس من واحدة أو أكثر من لهجات نجد في صورة من صورها القديمة، وقد كانت نجد منطقة يجتمع فيها العرب الشرقيون والغربيون ويمتزجون»[٩١]. وهو لا يقف عند هذا الحد بل يفاجئنا برأيه الخطير في العربية، إذ هي في نظره لغة مصنوعة، وأنها تعتبر إلى «حد ما لغة أجنبية بالنسبة لمعظم الذين استعملوها في كتابة الشعر أو بالنسبة لهم جميعاً» ويضيف «وكان الوضع اللغوي لدى البدو الأقدمين شبيهاً بالوضع بالنسبة للعرب المعاصرين الذين يكتبون أشعارهم بلغة قديمة قد تكون غير مألوفة لبعضهم»[٩٢] وأقل ما يقال في هذا الرأي أنه مسقط وموجه تعوزه النزاهة والموضوعية.

وهناك رأي آخر مقتضب وطريف يعد في تقديري أكثر صواباً وأقرب من غيره إلى الحقيقة والواقع - وهو رأي «فيشر» الذي يقول فيه: «إن العربية الفصحى كانت في الأصل لهجة قديمة معينة»[٩٣]، وأهمية هذا الكلام تكمن في أن الفصحى عند «فيشر» قديمة وأنها كانت لهجة معينة. وهو أمر لم يقل به أحد من الباحثين ممن اطلعت على دراستهم، وسنرى أهمية هذا الرأي فيما يأتي من الكلام.

ومواصلة لسرد الآراء في هذا الموضوع أذكُر رأي الدكتور إبراهيم أنيس الذي تحدث عما سماه «اللغة النموذجية» وهو يعني بها الفصحى أو اللغة الأدبية التي نزل بها

القرآن، ونظم بها الشعر، وخطب بها الخطباء، وهي في تقديره «نشأت في مكة»[٩٤]، وهي لغة وقع التواضع عليها «ولم تكن لغة تخاطب»[٩٥]، وهي لذلك «لم تكن إذن لغة سليقة يتكلمها الناس»[٩٦]، ومن الواضح أن إبراهيم أنيس، واقع تحت تأثير آراء بعض المستشرقين الذين يرون: «أن العربية الفصحى - على الصورة التي نعرفها - لم تكن لغة خطاب قط»[٩٧]، وأنها «تشبه التعبيرات المصنوعة»[٩٨]، ومن مثل هذه الرؤى تولدت نزعة فصلية، تفصل العربية عن لهجاتها وواقعها، وهذا ما نجده عند الأستاذ مسعود بوبو الذي يعتبر الفصحى «فوق مستوى العامة من العرب كانت محل تداول في الإنشاد الأدبي، فوق لهجات التخاطب فوق الحياة اليومية لدى القبائل الكثيرة»[٩٩]، وهو هنا يفصل الفصحى عن اللهجات، فكأن لكل منهما كيانها المستقل ومن مادة لغوية مختلفة، وهذا غير صحيح، مع العلم أن في القرآن خمسين لغة[١٠٠] (لهجة) من لغات هذه القبائل الكثيرة الأمر الذي يؤكد على العكس، الوحدة اللغوية، وينفي عملية الفصل المزعومة القائمة على فهم خاطئ لعلاقة الفصحى بلهجاتها، الأمر الذي يؤكد أن عملية الفصل عملية تعسفية ووهمية.

ومن هذا القبيل ما نجده عند الأستاذ تمام حسان الذي يقول: «فالفصحى لكونها لغة العرب جميعًا تم نموها في المجتمع العربي في عمومه لا في قبيلة بعينها وتقبلت في نموها عناصر من جميع اللهجات حتى بدت قريبة إلى كل لهجة»[١٠١]، والأستاذ تمام لا يقول لنا كيف نمت الفصحى في عموم المجتمع العربي؟ ولا كيف تأتّى للعرب إنشاؤها، والحال أن لهم لهجاتهم المحققة لحاجياتهم والمعبرة عن أغراضهم.

وإذا كانت نزعة الفصل هذه متأتية أساسًا مما يوجد من خلافات لغوية بين القبائل العربية، فإن هناك من الباحثين من ضخم من أمر هذه الخلافات إلى الحد الذي يمكن أن يفضي بها إلى الاستقلال اللغوي، وهذا الدكتور داود سلوم، تحت عنوان فرعي «ظواهر انفصال اللهجات» يقول: «وكان من الممكن أن تقود لانفصال اللهجة ووصولها إلى مرحلة اللغة، لو توفر لها الوقت الكافي الذي يؤدي إلى استقلال اللهجة»[١٠٢]، ويقول في موطن آخر «وفي هذا الجزء سنعطي قائمة من الأفعال المصنفة والتي تدل دلالة قاطعة على بداية تحول في اللهجات، وعلى أن عددًا من الأفعال بدأت تتحور للبحث عن شخصية في لهجة قبيلة ما، أو مجموعة قبائل»[١٠٣] وعندما تتبعت هذه القائمة وجدت أن ما بينها من خلافات ليس بذي بال، وعلى سبيل المثال تقول تميم:

هلكه، وهدى الهدية، ومهرت المرأة، وأحققت الأمر، وفاضت نفسه. بدل أهلكه، وأهدى الهدية، وأمهرت المرأة وحققت الأمر، وفاظت نفسه.

وكان على الأستاذ سلوم أن ينظر إلى هذه الخلافات في إطار آخر له علاقة بالبداوة والعزلة وقدم اللغة.

وعلى العكس منه نجد البعض الآخر يخفف من أمر تلك الخلافات ولا يجد فيها ما يؤدي بتلك اللهجات إلى الاستقلال.

فهذا جواد علي يقول عن تلك الخلافات بأنها «ليست كبيرة بحيث ترتفع إلى مستوى الاستقلال عن بقية اللهجات»(١٠٤).

وهناك وجهة نظر أخرى تبدو أقرب إلى الواقع ومتجاوزة للآراء السابقة، صاحبها «غويدي» الذي يرى «أن اللغة الفصحى هي مزيج من لهجات تكلم بها أهل نجد والمناطق المجاورة لها، ولكنها لم تكن لهجة معينة لقبيلة معينة»(١٠٥) وكرر محمد الأنطاكي وجهة النظر هذه في قوله: «وهذه الفصحى ليست لهجة قبيلة عربية معينة وإن سميت في بعض الأحيان بالقُرَشيّة بل هي مزيج لطيف من اختيار أنيق لخصائص لهجات عربية كثيرة أهمها القرشية والتميمية»(١٠٦)، ومما يعاب على هذه الوجهة استعمال كلمة «مزيج» التي توحي بوجود عناصر متباينة أو متشابهة تم المزج بينها لتكون شيئًا جديداً، وهذه الفكرة غير منطقية، ولا تنطبق على الفصحى التى لها مسيرتها اللغوية المتميزة، ونجد أيضًا صدى فكرة «غويدي» لدى الأستاذ عبدالعال سالم مكرم الذي يقول: «فلا شك أن اللهجات العربية قبل الإسلام تفاعلت، واختلطت بعضها ببعض وتكون من هذا الاختلاط لغة أدبية فصيحة، فيها الكثير من ألفاظ اللهجات العربية وتراكيبها مما جعلها فيما بعد اللهجة أو اللغة الأدبية النموذجية»(١٠٧)، وإذا كانت هذه اللغة في مرحلة اكتمالها لغة مشتركة بين العرب جميعاً، فلا يعني هذا أبداً أنها لم تكن ذات يوم، في بداية ظهورها، لغة مجموعة معينة.

وبناء على هذا فإنه يجب إبعاد فكرة الفصل بين الفصحى ولهجاتها والتأكيد على وجود وحدة لغوية لا تخلو من بعض الاختلافات اللغوية، بحكم ظروف الانعزال وملابسات الحياة وتنوع مشاربها ولمزيد التوضيح أورد النقاط التالية:

١- المادة اللغوية المستعملة في القرآن والشعر والخطابة من ألفاظ وأدوات لغوية وصيغ صرفية وغير ذلك، هي المادة اللغوية نفسها المستعملة في الحياة العادية

وفي الخطاب اليومي، وهذا يعني أن في اللغة مستويات مختلفة من التعبير والأداء، أدناها الخطاب اليومي، وأرقاها الخطاب الأدبي المتميز بجزالة اللفظ ورشاقة التعبير وجمال المعنى. ولذا فالاستعمال اللغوي في مثل هذا المستوى يختلف عنه في المجال العادي، وهذا راجع إلى عملية الخلق الفني التي تطوع اللغة وتبدع منها أنساقًا لا توجد في الواقع اللغوي العادي، ومن الخطأ أن نتصور أن هذا المستوى الأدبي الراقي تمت تأديته بلهجة أو بلغة غير لهجة ولغة أصحابه، فهناك إذن لغة واحدة تؤدي بها المجموعة مستويات مختلفة من التعبير.

٢- هذه الوحدة اللغوية ليست **مصنوعة** أو متكونة من مزيج من اللهجات، بل هي وحدة لغوية متأتية بالأساس من وحدة بشرية قديمة تفرعت منها ربيعة ومضر قد تكون «النزارية» أو «العدنانية» أو غيرهما.

فالفصحى هي لغة هذه المجموعة، ولا يمكن - في البداية - أن تكون مكتملة القواعد، لقدمها وارتباطها بالمرحلة الثانية لتطور العربية العام، ثم أخذت تتطور تدريجيًا وتتميز شيئًا فشيئًا بما عرفت به - فيما بعد - من الخصائص اللغوية، فقد استقلت بالتنوين وأداة التعريف «أل» واكتمل فيها نظام الأصوات والإعراب والصيغ الصرفية وغير ذلك.

هذه المجموعة البشرية (النزارية أو العدنانية) أخذت على مر الأيام تتكاثر ويتعاظم نسلها حتى عمت معظم أرجاء الجزيرة العربية، مما أدى إلى الغلبة اللغوية وإلى انعزال الفروع والقبائل عن بعضها في جهات مختلفة وأماكن متباعدة أحيانًا، وقد نجم عن هذه الوضعية بروز الخلافات اللغوية في مجال الأصوات والمسميات وغيرها، وهو أمر طبيعي معهود في مختلف البيئات.

وهذا يعني من الناحية التاريخية، أن الفصحى أقدم من لهجاتها، وأنها في الأول كانت لهجة واحدة، وهذا ما عناه «فيشر» على وجه التحديد في قوله السابق من أن العربية كانت في الأصل لهجة قديمة معينة، وبهذا نعرف أن معظم الخلافات اللغوية هي خلافات طارئة، موجودة في ذات الفصحى وليست شيئًا خارجًا عنها، وهذا يعنى أيضًا أن الفصحى لغة العرب جميعًا في حياتهم العادية وفي المجالات الثقافية الراقية أي أن هناك وحدة لغوية حقيقية قديمة ومتطورة.

٣- الفصحى إذن لغة العرب العادية، ولذا وجدنا البعض منهم يرسلون أبناءهم إلى البادية لتعلمها وهذا التعليم لا يتم - بالطبع - في المدارس والمعاهد وما شابه ذلك، وإنما يتم بالمعاشرة والعيش بين أهل البادية مع حفظ الأشعار والخطب والأمثال. وبذلك تستقيم ألسنتهم ويعتادون على النطق الصحيح الفصيح، وتصبح العادات اللغوية سليقة في النفس وطبعاً فيها، فأهل البادية هم «الذين عنهم نقلت اللغة العربية، وبهم اقتُدي، وعنهم أخذ اللسان العربي، من بين قبائل العرب هم: قيس، وتميم، وأسد. فإن هؤلاء هم الذين عنهم أكثر ما أخذ ومعظمه، وعليهم اتكل في الغريب وفي الإعراب والتصريف، ثم هذيل وبعض كنانة وبعض الطائيين»(١٠٨).

وتأكيداً على أن الفصحى لغة الخطاب اليومي والحياة العادية أورد ما ذكره «ربين» الذي قال: «وحتى في أيامنا هذه يصادف المسافر في الجزيرة العربية من يقول له بأن هناك في مكان ما بالجزيرة قوماً لا يزالون يتكلمون عربية فصحى لا شائبة فيها»(١٠٩). ولكن «ربين» يشكك في هذا ويعتبره من قبيل خداع النفس، إلا أن السيد فؤاد حمزة يثبت هذه الفكرة في القبائل القاطنة بين جنوب الحجاز وشمال اليمن، فيقول: «وكثيراً ما سمعنا أهل هذه البلاد يلفظون الكلمات من مخارجها الصحيحة، ويتكلمون بما هو أقرب إلى الفصحى من سواه، وبعض البداة من أهل هذ المنطقة يخرجون جملا يظن منها الإنسان أنهم تمرنوا في المدارس على إخراجها على ذلك النحو، بينما أن الحقيقة هي بخلاف ذلك، لأنهم يتكلمون بالسليقة وعلى البديهة فيجيء كلامهم فصيحاً معرباً لا غبار عليه»(١١٠)، ويتحدث في موطن آخر عن قبيل «فهم» فيقول: «منازلها بين ثقيف شمالا والجحادلة غرباً، وهي قبيلة قليلة العدد، تعمل في الماشية والجمال، وأنسابها من أصرح الأنساب وأقربها إلى قريش، وأماكنها في وادي الوغار، وهي مشهورة بالفصاحة ويقال إنهم محافظون على لغة قريش التي كانت في صدر الإسلام، وقد حادثت بعضهم فوجدت لهجتهم أقرب اللهجات الحاضرة إلى العربية الفصحى»(١١١).

وبهذا نصل إلى أن الفصحى ليست فوقية ولا لغة الخاصة، وإنما في لسان العرب جميعاً، تختلف في أدائها باختلاف مستويات التعبير بها، لها لهجاتها المنبثقة عنها بحكم ظروف أهلها.

اللهجات والاختلافات اللغوية

قبل التطرق إلى موضوع اللهجات وما بينها من اختلافات لغوية، لا بد من الإشارة إلى أن فكرة المحافظة على الفصحى تطلبت لدى القدماء منهجًا خاصًا فى عملية جمع اللغة وتدوينها، بني أساسًا على فكرة الصفاء والنقاوة، أى صفاء اللغة ونقاوتها من الشوائب، ولذا قام علماء اللغة بتصنيف القبائل، صنف منها رفضوا الأخذ عنه لاحتكاكه بالأمم المجاورة وما يؤدي إليه من تداخل لغوي، وهذه القبائل تقطن فى المناطق الحدودية على أطراف الجزيرة العربية، واعتبرت لهجاتها من المرغوب عنها وعدوا بعضها من اللغات المستبشعة والمستقبحة الألفاظ، وقد حصرها الفارابي فى كتابه «الألفاظ والحروف» ونقلها عنه السيوطي في مؤلفيه: «المزهر» و«كتاب الاقتراح»، ولا داعي لسردها هنا لضيق المجال وطول النص(*).

أما الصنف الثاني من القبائل التي أخذ عنها علم اللغة واستشهدوا بكلامها واحتجوا به، فهي القبائل البدوية التي تقطن أساسًا بداخل الجزيرة العربية، في الحجاز ونجد، وما جاورها من البادية وهي: قريش، وقيس، وتميم، وأسد، وهذيل، وبعض كنانة، وبعض الطائيين[١١٢].

كما نص الأقدمون أيضًا على العَجُز من هوازن وهم علياء هوازن (سعيد بن بكر، وجُشَم بن بكر، ونصر بن معاوية وثقيف)[١١٣].

وبقطع النظر عن منهج القدماء في جمع اللغة وتدوينها، فإن دراسة الاختلافات اللغوية بين اللهجات تتطلب، فى تقديرى، أن نصنفها وفق أصولها وانتماءاتها اللغوية أي وفق قواعد أخرى جديدة الأمر الذى سيساعدنا على أن نعرف منها ما هو من الفصحى وإليها وما هو منتم إلى غيرها، وهذا ما سيقع توضيحه فى الفقرات التالية:

أ- اختلافات موروثة أو من لغات أخرى:

وفيما يلي بعض الأفكار حول موضوع الاختلافات اللغوية، بناء على دراستها ومحاولة فهم أسبابها:

١ - بتصفح الاختلافات اللغوية الموجودة في المجالات الصوتية والصرفية والنحوية

(*) انظر المزهر: ج١ ص٢١٢، وكتاب الاقتراح: ص٤٤، ٤٥.

والحروف، نجد أن بعضها مما يمكن أن يعد من مخلفات الماضي اللغوي غير المتطور، فالفصحى لم تكن متطورة في بداية عهدها، كما أن هناك واقعًا لغويًا قبلها معايشًا لها ترعرعت فيه وورثت عنه أقدم الخصائص اللغوية، منها تلك التي تعرضنا لها سابقًا، وهذا نموذج مما يمكن أن يُنسب إلى ذلك الماضي وذلك الموروث:

استعمال «بَنْ» بدل «بَلْ»، و«حُوْثُ» بدل «حيث»، و«حتّاه»، «انّماه، ماه» بدل «حتّى هو، إنّما هو، ما هو» و«هني»، اسم إشارة بمعنى هنا» و«هنّا، وهَهَنّا، وهَنّاك وهَهَناك أسماء للبعيد».

واستعمال «هَنا» بدل «أنا» و«هَنْت» بدل «أنت»، وجاء في لسان العرب أن «من العرب من يقول: هَنا وهَنْت بمعنى أنا وأنت»، كذلك استعمال «هيَّاك» بمعنى «إياكَ» ومن العرب من يقول في حاله النهي «هيَّاك وزيداً» بمعنى «إيّاك وزيداً».

ومن هذا القبيل أيضًا ما سُمي بالكشكشة والكسكسة، فالكشكشة هي جعل الشين مكان كاف المخاطبة أو بعدها مثل:

أبوشِ، منشِ، عليكِش، بكِش بدل أبوك، منك عليك، بك.

والكسكسة جعل السين مكان كاف الخطاب أو بعدها، مثل: أبوسَ، أمس، عليكَس، منكَس بدل أبوكَ، أمكَ، عليكَ، منكَ.

ووردت الكسكسة أيضًا مع المؤنث: **أبوسِ، أمّسِ، أكرمتكِس بكس بدل أبوك، أمك، أكرمتك، بك.**

وإذا انتقلنا إلى بعض اللغات العربية القديمة، فسنجد أن الشين والسين من الضمائر المتصلة للغائب والغائبة ففي الأكّدية نجد:

بيلشُ Bélsu سيّده

بيلشَ Bélsu سيّدها

وفي البربرية نجد «س»:

باباس: أبوه

يمّاس: أمّه

وفي المصرية نجد أيضًا «س»:

هنتي-سي: فخذاها

سزم – س: تسمع (تسمع هي)

وفى اليمنية القديمة «سو» و«سا» وعند بعض اليمنيين الحاليين «س» «وسي» والاختلاف الموجود هو أن «ش» و«س» في الكشكشة والكسكسة للخطاب.

ومن الاستعمالات اللغوية المتداخلة الجزم بـ«أن» والنصب بـ«لَمْ» وهما من اللغات المجهولة وإن كان ابن هشام ينسب الجزم بأنْ إلى «بني الصباح من ضبة»[١١٤]. وينسب إلى ابن مالك أنه ذكر أن الفعل قد يجزم «بلعل»، وهو ما اعتبر ابن هشام من قبيل الغريب (١١٥) كذلك استعملت «لمّا» بمعنى «إلا» للاستثناء (لغة هذيل)، واستعمال هذه الأدوات لا ينفي قدمها وكونها موروثة عن الماضي العريق.

٢- هناك نوع آخر من الاختلافات اللغوية، لم يكن، في الأصل، موجودًا في عربية الشمال، وإنما هو متأت إليها من لهجات شقيقة أخرى، ومن اللهجات اليمنية على وجه الخصوص، سواء بحكم الجوار، أو بانتقال القبائل اليمنية إلى مناطق ربيعة ومضر بتهامة والحجاز ونجد والبوادي الأخرى، مما يؤدي إلى الاحتكاك المباشر والتداخل اللغوي، وفيما يلي نموذج من الاختلافات اللغوية اليمنية أذكره على سبيل الاطلاع:

- الأسماء الخمسة والمثنى يعربان بالألف في كل الأحوال رفعًا ونصبًا وجرًا: جاء أباك، ورأيت أباك، وتحدثت إلى أباك - جاء الزيدان، ورأيت الزيدان، وتحدثت إلى الزيدان - لغة بني الحارث وخثعم وزبيد، وهناك كنانة وبنو العنبر وبنو الجهم من مضر تعرب هي الأخرى المثنى بالألف، وهناك من العرب (لغة مجهولة) من يقول: هذا أبًا ومررت بأبًا، وهذا أبُك[١١٦].

- إسناد الضمير إلى الفعل المسند إلى الظاهر: قاما الزيدان، قاموا الزيدون، قمن الهندات - لغة بني الحارث وأزد شنوءة وطيئ، وتسمى لغة «أكلوه البراغيث».

ومن هذا القبيل: علاكَ وعلاكُم بدل عليكَ وعليكُم، في لغة بني الحارث.

- استعمال «الذ، الذْ» في اسم الموصول بدل «الذي» - لغة بني الحارث ومعها ربيعة (من نزار). وكذلك استعمال «ذو» للمذكر والمؤنث مفردًا ومثنّى وجمعًا، «وذات» بدل «التي» و«ذوات» بدل «اللاتي» - لغة طيئ.

وورد في الاستعمال «عليكِم، لكِم، بينهِم، منهِم» بكسر الكاف والهاء، بدل «عليكُم، لكُم، بينهُم، منهُم» بضم الكاف والهاء - لغة حمير ويسمى الاستعمالان «الوكْم» و«الوهْم».

واستعملت «أمْ» بدل «أل» للتعريف، مثل «أمْ بيتُ» و«أمْ حصانُ» أي البيتُ والحصانُ - لغة طيئ وأزد شنوءة وحمير، وما تزال مستعملة في عدة جهات مثل حاشد وخولان وهمدان وغيرها، وتسمى «الطُمْطُمَانيَة».

- استعمال **«كُ، أنكَ»** بدل **«تُ، أنْتَ»** لغة حمير، و**«هنا»** بدل **«أنا»** لغة يمنية، و«الجيم» بدل «ياء» المتكلم في مثل **دارج**، الراعج، خرج **معج**» أي داري، الراعي خرج معي - «لغة قضاعة وتسمى العجعجة».

وكذلك «الجيم» بدل «كاف» المخاطبة في **«عمج»** أى «عمك» - لغة يمنية.

كما استعمل «الكاف» بدل «القاف» في **الركيك والكصير** أي الرقيق والقصير.

واستعمل «الشين» بدل «الكاف» في «**لبّيش**»، بدل «لبيك» لغة اليمن والشحر وقضاعة وتسمى هذه الظاهرة «الشنشنة».

وتستعمل «الهمزة» بدل «العين»: **دأني** أي دعني - لغة بني نبهان من طيئ.

ويقال **«رعنّ»** بدل «لعلّ» فى لغة تيم الله.

- طيئ تستعمل «التاء» بدل «هاء» التأنيث في الوقف: فيقال: **أمَتْ، رحمتْ، طلحتْ** في أمَة ورحمة وطلحة. وكذلك يقال: توصاة، رحماة، جاراة(*) في توصية، رحمة جارية - هذان الاستعمالان في لغة طيئ، ويقال أيضًا: «**مشا الله كان**» بدل ما شاء الله كان» بتقصير الحركات المؤدي إلى حذف الألف -لغة الشحر وعُمان واليمن، وهذا التقصير في الحركات واختزال النبر يسمى «اللخلخانية».

هذه الاختلافات اللغوية في اللهجات اليمنية، نجد بعضها مستعملا لدى بعض القبائل النزارية - العدنانية، من ربيعة ومضر، ومن الواضح أن ذلك ناجم عن الاحتكاك والتداخل القبلي وما كان لليمن من نفوذ داخل المنطقة، وقد يكون البعض من هذه الاختلافات مما هو موروث عن الماضي والأجيال السابقة.

ب- اختلافات في الفصحى:

وهي اختلافات تهم المجموعة النزارية - العدنانية، وبالخصوص القبائل المضرية الموزعة على الحجاز وتهامة ونجد وما جاورها من البوادي، فهناك - إلى جانب البيئة اليمنية - البيئة النجدية البدوية، وتعد تميم من أبرز قبائلها، وهناك البيئة الحجازية الأقل بداوة، وتعد قريش من أبرز قبائلها. وفيما يلي نموذج من الاختلافات اللغوية لهاتين البيئتين:

(*) جاء في لسان العرب: «الناصيةُ والناصاةُ، لغة طيئية.. وليس لها نظير إلا حرفين: باديةٌ، وباداةٌ، وقاريةٌ وقاراةٌ، وهي الحاضرة» مادة «نصا».

١ - اختلافات نحوية:

لا، ما: النافيتان، تعملان عند أهل الحجاز عمل ليس، ولا تعملان عند تميم.

ليس: في الاستثناء المنقطع، مهملة عند تميم ولا تعمل، ولذا يقال: ليس المسكُ إلا الطيبُ برفع الطيب على البدلية، أما عند أهل الحجاز فهو منصوب لكونه خبر ليس.

عسى: أهل الحجاز لا يقدرون بها ضميراً، وتميم على العكس، تقدر بها ضميراً

أهل الحجاز	تميم
هند عسى أن تقوم	هند عست أن تقوم
صالح عسى أن يقوم	صالح عسى أن يقوم
الرجلان عسى أن يقوما	الرجلان عسيا أن يقوما
الرجال عسى أن يقوموا	الرجال عسوا أن يقوموا
النساء عسى أن يقمن	النساء عسين أن يقمن

عسى الحجازية تامة وفاعلها المصدر المؤول من أنْ والمضارع مع مرفوعه والجملة من عسى وفاعلها خبر المبتدأ (الاسم المقدم عليها).

وعسى التميمية ناقصة، اسمها الضمير المستتر أو البارز وخبرها المصدر المؤول من أن والمضارع مع مرفوعه، والجملة من عسى ومن اسمها وخبرها خبر المبتدأ المتقدم عليها.

أمس: مبنية على الكسر مطلقًا عند أهل الحجاز: أمسِ. أمّا عند تميم فالبعض يعربها إعراب ما لا ينصرف: أمسُ. والآخرون يعربونها إعراب ما لا ينصرف في حالة الرفع فقط: ذهب أمسُ بما فيه. ويبنونها على الكسر فى حالتي النصب والجر سافر عليّ أمسِ - عجبت من أمسِ.

فَعَالِ: علم لمؤنث، فأهل الحجاز يبنونه على الكسر مطلقًا مثل: قطامِ، رشاقِ، سفارِ، ظفارِ والغالبية من تميم تبنيه على الكسر إذا كان مختومًا براء: سفارِ ظفارِ، وبارِ أما إذا لم يكن مختومًا بالراء فالبعض منهم يعربه إعراب ما لا ينصرف ختم بالراء أم لم يختم.

لعلّ: تستعمل حرف جر عند بني عقيل، ولهم في اللام الأولى الإثبات والحذف.

إنْ: النافية مثل ليس في لهجة العالية، تنصب الخبر كما في هذا المثال:
إن أحد خيراً من أحد إلا بالصدق.

كم : الخبرية، تمييزها المفرد منصوب عند تميم: كم ديناراً أنفقت، ومجرور بالإضافة عند أهل الحجاز وغيرهم: كم دينارٍ أنفقت.

اسم الجنس الجمعي: تميم تذكره فتقول: هو التمر، هو البُر، هو الشعير. وأهل الحجاز يؤنثونه فيقولون: هي التمر، هي البرّ، هي الشعير.

سنة : وما يماثلها من الأسماء الثلاثية، وهي أسماء حذفت لامها وعوض عنها بتاء التأنيث المربوطة مثل ثُبَة، عضة، عزَة.

فهذا النوع من الكلمات يعربه الحجازيون وعلياء قيس إعراب جمع المذكر السالم أي بالحروف، الواو والنون رفعًا، والياء والنون نصبًا وجرًا، والنحاة يعدونه وغيره من الكلمات الأخرى من قبيل الملحق بجمع المذكر السالم، أما بعض بني تميم وبني عامر فيعربونه بالحركات الظاهرة على النون: هذه سنينٌ عادية، عشت سنينًا طيبة، ومررت بسنينٍ صعبة.

٢- اختلافات في البنية:

الإدغام والفك: تميم تؤثر الإدغام فتقول: لم يحلَّ، شُدَّ، ومعها قبائل أخرى (طيئ، أسد..) وأهل الحجاز يؤثرون فك الإدغام فيقولون: لم يحللْ، اشددْ.

الهمزة: تؤثر تميم تحقيقها في مثل: رأس، بئر، لؤم، وأهل الحجاز على العكس، يسهلونها فيقولون: راس، بير، لوم.

صيّام/صُوّام: يميل أهل الحجاز إلى الكسر في مثل هذه الكلمات: صِيّام، نِيّام، قِيّاد، وفي البادية يقولون: صُوّام، نُوّام، قُوّاد.

اسم المفعول: من الأجوف اليائي، توردہ تميم بالصيغة نفسها «مفعول»، نحو: مديون، مبيوع، مكيول، أمّا أهل الحجاز فيصوغونه مع الحذف على هذا النحو: مدين، مبيع، مكيل.

فَعْلان: صفة تؤنث على «فَعْلَى» نحو: سَكْران، شَبْعان، نَعْسان، مؤنثها سَكْرَى، شَبْعَى، نَعْسَى، وبنو أسد يؤنثون صفة «فعلان» بزيادة التاء فيقولون: سكرانة، شبعانة، نعسانة.

ونضيف إلى ما تقدم الاختلافات فى الأفعال، وهي اختلافات واسعة في بنية كل من الفعل الماضي والمضارع سواء بالحركة أو بالحرف:

الماضي		المضارع
- هلكه (تميم)	أهلكه (عموم العرب)	وجع مضارعه يوجع وفيه لغات ييْجَع، ياجع
- هدى (تميم)	أهدى (قيس)	نما مضارعه ينمو – وينمي (شاذ)
- مهرت المرأة (تميم)	أمهرت المرأة (عموم العرب)	قلوت البُرَ أقلوه (الحجاز)
- أحرن (تميم)	حرن (قريش)	قليت البرّ أقليه (تميم)
- أفتنته (نجد)	فتنته (الحجاز)	حسِب يحسِب (الحجاز)
- استحى (تميم)	استحِي (الحجاز)	حسِب يحسَب (تميم)
-أمللت عليه شيئًا (الحجاز، بنوأسد)	أمليت عليه شيئًا (تميم)	سأل، يسأل، سلْ (الحجاز)
- ما أفتأ (تميم)	ما فتئ (الحجاز)	سأل، يسأل، اسأل (تميم)

٣- اختلافات أخرى متنوعة:

أنّ : بالهمزة المفتوحة، تنطقها تميم وقيس وأسد «عنّ» بالعين بدل الهمزة، وكذلك في مواطن أخرى مثل: عَلْسَم، عُذُن، في أَسْلَم، أُذُن، ووردت عدة مرات في الحديث النبوي، من ذلك: تحسب عَنّي نائمة، وتسمّى هذه الظاهرة «العنعنة»، عرفت بها تميم.

حتى: تنطقها هذيل وثقيف «عَتّى» ومن الألفاظ المذكورة في هذه الناحية: الدعداع، العثالة، العياة، العسن، في الدحداح، والحثالة، والحسن، وتسمى هذه الظاهرة «الفحفحة» عرفت بها هذيل.

مـذْ : ترد مضمومة الميم عند «تميم» وقبائل أخرى: مُـذْ، وترد مكسورة الميم ومرفوعة الذال عند «عكل». ويكسر «بنو سليم» ميم «منذ».

ما زال: تقول هذيل: زال بدون ميم.

حروف أنيت: أهل الحجاز يفتحون حروف أنيت في المضارع وكذلك قوم من أعجاز هوازن، وأزد السراة، وبعض هذيل، والقرآن مثلهم.

وعموم العرب تكسر هذه الحروف، وبهراء تكسر التاء فتقول: تِعلمون، تِكتب، تِشهدان، وسمّيت هذه الظاهرة عندها «التلتلة».

فِعيل: تميل تميم وأسد إلى الكسر في مثل هذه الصيغ فتقولان: شِعير، بِعير، زِئير، شِهيد.

قدوة: تَميل تميم إلى الضمّ، كما في هذه الكلمات: قُدوة، أُسوة، عُشوة.

خمر: تؤثر تميم تسكين الوسط مثل: خَمْر، فَخْذ، رجْل.
– التميميون يقولون، رُضوان، هَيْهات، الحَجَ، عشَرة، رُعْملى، أكَد تأكيداً، برئت من المرض، مُتنا، قُرح، ثنْتان، جدف.
والحجازيون يقولون: رِضوان، أيْهات، الحِجّ، عشْرة، لَعُمْري، وكَدت توكيداً، برأت من المرض، متنا، قَرح، اثنتان، جدث.

وبهذا القدر نكون قد أخذنا فكرة واضحة عن طبيعة هذه الاختلافات و نوعيتها داخل الفصحى، وهي كما ذكر جواد علي تأتي «في إطار مجموعة واحدة من القبائل، هي مجموعة مضر فالقبائل الحجازية.. مضرية، وتميم من قبائل مضر كذلك»(١١٧).

ويحوصل هذا المؤرخ القدير وجهة نظره الصائبة في هذه المسألة المعقدة، فيقول: «إلا أن هذه الفروق والاختلافات لم تخرجها، مع ذلك عن وحدة اللغة، وهي كلها في نظر أصحابها عربية فصيحة»(١١٨).

وبهذا يتجلى لنا خطأ تلك الآراء التي ضخمت من شأن هذه اللهجات، في نظرتها إليها كما لو كانت كيانات لغوية منفصلة عن الفصحى، مع أنها هي الفصحى نفسها وأن تلك الاختلافات أمر طبيعي فيها وجزء من ذاتيتها، يضاف إلى هذا، خطأ منهجي في دراسة الاختلافات اللغوية بصفة عامة، وذلك لغياب النظرة التاريخية إلى الواقع اللغوي في الجزيرة العربية، وما نجم عنه عبر التاريخ من تراكم لغوي ضخم متباين المشارب، فيه الحديث والقديم، وفيه المتطور وغير المتطور، وهذا أمر كان يجب أن يؤخذ بعين الاعتبار عند دراسة الفصحى وما فيها من لهجات واختلافات لغوية، الشيء الذي سيساعد بقدر الإمكان على استخراج ما هو من قبيل المورووث في ذلك الواقع اللغوي، وعلى ما هو تابع للغات العربية القديمة (اللهجات اليمنية على سبيل المثال) وذلك لتمييزهما معاً عن لهجات الفصحى، وبهذا نتجنب التقديرات الخاطئة والأحكام غير الموضوعية.

وبالطبع، فإن عدم اتباع هذا المنهج من قبل نحاة العربية قديماً (وهم معذورون في ذلك) هو الذي أدى إلى إرباك القواعد النحوية والصرفية بالصورة التي نعرفها، وكان في الإمكان التحكم في هذا الارتباك والتقليل منه لو عولجت مسألة الاختلافات اللغوية على هذا الأساس بحيث يتم استبعاد الكثير منها ليدرس تحت عناوين أخرى مثل فقه اللغة، فتصبح القواعد أكثر اطراداً وتماسكاً.

وهكذا نصل في نهاية هذه الدراسة، إلى أن العربية هي بحق لغة تاريخية قديمة تعود جذورها الأولى إلى ما قبل التاريخ، وهي - كما رأينا - أكثر من شقيقاتها ارتباطًا باللغة الأم، اللغة العربية الأولى وتمثيلا لها، مما جعلها المرجع الأساسي في التعرف على شقيقاتها ودراسة مسائلها اللغوية، ثم إن العربية تميزت عما عداها بما عرفته بيئتها خلال العصور الطويلة من تراكم لغوي منقطع النظير، أكسبها القوة الذاتية، ومكنها من التنامي والاكتمال كما تجلى في الفصحى وفيما عُرفت به من جزالة وصقل ومرونة وروعة بيان، كانت السبب في استمرارية هذه اللغة وديمومتها، فموقع العربية إذن في الواقع اللغوي العربي القديم هو في الحقيقة **موقع الأصل بالنسبة للفروع**، كما هو واضح من كل المسائل التي وقع التطرق إليها في هذه الدراسة.

الهوامش

(١) من أصحاب هذا الرأي أحمد بن فارس في كتابه: الصاحب في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها - تحقيق مصطفى الشويمي، بيروت ١٩٦٣ - باب القول على لغة العرب، توقيف أم اصطلاح.

(٢)(٣) الشيخ أحمد رضا: مولد اللغة - دار الرائد العربي - بيروت ١٩٨٣ ص٥٨.

(٤)(٥) المصدر نفسه ص٥٩.

(٦)(٧) المصدر نفسه ص٢٧، ٢٨، ٦٠.

(٨) أحمد عبدالرحيم السائح، مجلة اللسان، العدد السادس ١٩٧٠ يصدرها المكتب الدائم لتنسيق التعريب - الرباط ص١٤.

(٩) أفريقيا الشمالية فيما قبل التاريخ: تاريخ أفريقيا العام - إشراف: جون أفريك واليونسكو - تورينو (إيطاليا) ١٩٨٠ المجلد الأول ص٥٨٠.

(١٠) تاريخ اللغات السامية - دار القلم بيروت بلا تاريخ ص١٨.

(١١) المصدر نفسه ص١١.

(١٢) اللغات العربية القديمة: الوحدة الحضارية للوطن العربي من خلال المكتشفات الأثرية - المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم - دمشق ص٣٠٣.

(١٣) تاريخ اللغات السامية - المصدر السابق ص١٨.

(١٤) فقه اللغة: لجنة البيان العربي، الطبعة الخامسة، القاهرة ١٩٦٢، ص١١، ١٢.

(١٥) ج. هـ. غرينبرغ: تصنيف لغات أفريقيا - الوارد في تاريخ أفريقيا العام - المصدر السابق ص٣٠٥.

(١٦) المصدر نفسه ص٣٠٨.

(١٧) د. علي عبدالواحد وافي: فقه اللغة - المصدر السابق ص٨٨.

(١٨) كافين رايلي: الغرب والعالم: تاريخ الحضارات من خلال موضوعات - ترجمة د. عبدالوهاب محمد المسيري والدكتورة هدى عبدالسميع حجازي - أعلام المعرفة (٩) الكويت ١٩٨٥ ص٥٤.

(١٩) المصدر نفسه ص٣٨.

(٢٠) د. أحمد سعيد: نشأة الديانة ما بين الترحال والاستقرار.. الوارد في: الوحدة الحضارية للوطن العربي.. المصدر السابق ص١٢٦.

(٢١) تاريخ أفريقيا العام - المصدر السابق ص٣٠٥.

(٢٢) الجوهري: الصحاح، تحقيق أحمد عبدالغفور عطار. دار الكتاب المصري بمصر، ١٩٥٦ج١، ص١٧٩ مادة «عرب».

(٢٣) ابن منظور: لسان العرب - تصنيف يوسف الخياط، دار لسان العرب ببيروت.

(٢٤) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٢٥) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٢٦) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٢٧)(٢٨)(٢٩)(٣٠)(٣١) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٣٢) مجيد خان: الرسومات الصحرية لما قبل التاريخ في شمال المملكة العربية السعودية، وزارة المعارف - الرياض ١٩٩٣ ص١١٧.
(٣٣) مجيد خان: المصدر نفسه ص١١٨.
(٣٤) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٣٥)(٣٦)(٣٧) الزبيدي: تاج العروس.
(٣٩) ابن منظور: المصدر نفسه.
(٤٠)(٤١) مجيد خان: المصدر السابق ص١١٨.
(٤٢) مجيد خان: المصدر نفسه ص١١٩.
(٤٣) دراسات في تاريخ الشرق القديم: مكتبة الأنجلو المصرية، طبعة ثانية، القاهرة ١٩٦٣ ص١٢٤.
(٤٤) انظر البربر عرب قدامى للمؤلف، فصل: العصر الحجري الحديث وظهور البربر.
(٤٥) انظر دراسة موري Fabrizo Mori
Prehistoric Saharan art and cultures in the light of discoveries in the Acacus massif (Libyan Sahara)
الفن وحضارات ما قبل التاريخ في الصحراء على ضوء اكتشافات هضبة أكاكوس - الصحراء الليبية، الوارد في «ليبيا في التاريخ» منشورات الجامعة الليبية - بنغازي - ١٩٦٨ ص٣١.
(٤٦) C.B. M.Macburney (ماكبرني): Libyan Role in Prehistory
(دور ليبيا فيما قبل التاريخ) الوارد في «ليبيا في التاريخ» - المصدر السابق ص٦.
(٤٧) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات القديمة - وزارة الثقافة والإعلام، الطبعة الثانية - بغداد، ١٩٨٦ ص٧٣.
(٤٨) جورج رو: العراق القديم، ترجمة حسين علوان حسين - وزارة الثقافة والإعلام، بغداد ١٩٨٤ ص٢٠٤.
(٤٩) د. أحمد فخري: دراسات في تاريخ الشرق القديم - المصدر السابق ص١٢٤.
(٥٠) طه باقر: مقدمة في تاريخ الحضارات - المصدر السابق، ص٧٣ - وجورج رو: العراق القديم - المصدر السابق، ص٢٠٤.
(٥١) الدكتور محمد محفل: المدخل إلى اللغة الآرامية، منشورات جامعة دمشق الطبعة الخامسة، دمشق ١٩٩٢ ص١٤.
(٥٢) المستشرقون والمناهج اللغوية: دار وائل للنشر - الطبعة الثالثة، عمان ٢٠٠٢ ص٥٣.
(٥٣) لسان العرب: المصدر السابق - مادة «كنع».

(٥٤) الإحكام في أصول الأحكام - تحقيق الشيخ أحمد محمد شاكر، دار الأوقاف الجديدة، طبعة ثانية.
(٥٥) انظر: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام لجواد علي، ج١ ص٢٤٥، ٢٤٦ - ج٣، ص١٥.
وانظر: القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، لمحمد محمود الروسان، جامعة الملك سعود، الرياض ١٩٩٢ ص٤.
(٥٦)(٥٧) تاريخ اللغات السامية: المصدر السابق ص١٥٦.
(٥٨) المصدر نفسه ص١٢٧.
(٥٩) د. عامر سليمان: اللغة الأكّدية - دار الكتب للطباعة والنشر، الموصل ١٩٩١ ص٢٠٠.
(٦٠) د. عبدالمحسن بكير: قواعد اللغة المصرية في عصرها الذهبي، طبعة ثالثة بلا تاريخ - كلية الآثار جامعة القاهرة ص١٦، المثالان الأولان - وانظر أيضاً: اللغة المصرية القديمة، الهيروغليفية: أصولها وقواعدها، مع مبادئ اللغتين القبطية والعبرية للأستاذ أنطوان زكي - دار الكتاب المصري - طبعة ثانية ١٩٩٤، المثال الثالث.
(٦١) د. محمد بهجت قبيسي: ملامح في فقه اللهجات العربية - دار شمأل، دمشق ١٩٩٩، ص١٦٤.
(٦٢) ابن منظور: لسان العرب - المصدر السابق - حلك، بلا.
(٦٣) انظر تاريخ اللغات السامية - لولفنسون المصدر السابق ص١٣.
(٦٤) تاريخ اللغات السامية - المصدر ص١٤.
(٦٥) اللغات السامية: ترجمة الدكتور رمضان عبدالتواب - مكتبة دار النهضة العربية - القاهرة ١٩٦٢، ص١٤.
(٦٦) المصدر نفسه ص١٥.
(٦٧) المزهر في علوم اللغة وأنواعها: تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ومن معه - المكتبة العصرية، بيروت ١٩٨٧، ج٢، ص٢٥٨.
(٦٨) تحقيق مسألة لغوية: مجلة المجمع العلمي العربي مج ٣، دمشق، ١٩٢٣، ج ٣ ص٧٠.
(٦٩) ملامح في فقه اللهجات العربيات: المصدر السابق ص٣٤٤.
(٧٠) اللهجات العربية الغربية القديمة - ترجمة عبدالرحمن أيوب - مطبوعات جامعة الكويت - الكويت ١٩٨٦ ص٧٥.
(٧١) شرح المفصل: عالم الكتب، بيروت ١٩٨٨، ج٩ ص١٥٤.
(٧٢) فقه اللغة وسر العربية - المكتبة التجارية الكبرى - القاهرة بلا تاريخ ص٥٢٦.
(٧٣) التمييم والتنوين: مجلة مجمع اللغة العربية - الجزء الثالث عشر، القاهرة ١٩٦١ ص٥٢، ٥٣.
(٧٤) التمييم والتنوين.. المصدر نفسه ص٥٢.
(٧٥) مقدمة في فقه اللغة العربية: سينا للنشر، الطبعة الثانية ١٩٩٣ - انظر الفصل الأول: العرب ولغاتهم ص٢٣.
(٧٦)(٧٧) تحقيق مسألة لغوية: المصدر السابق ص٧١.

(٧٨) ملامح في فقه اللهجات العربية - المصدر السابق ص٣٥٩.
(٧٩) محمود محمد الروسان، القبائل الثمودية والصفوية، دراسة مقارنة، المصدر السابق ص٢٤٢، ٢٤٣.
(٨٠) المدخل إلى التاريخ، اللغات الجزرية، منشورات اتحاد المؤرخين العرب، بغداد ١٩٨١، ص١٦.
(٨١) ملامح في فقه اللهجات العربيات، المصدر السابق ص١٦٣.
(٨٢) ابن التستري الكاتب: المذكر والمؤنث، تحقيق د. أحمد عبدالمجيد هريدي، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٨٣ ص٥٣.
(٨٣) عباس حسن: النحو الوافي، دار المعارف، الطبعة الثامنة، القاهرة ١٩٨٧، ج٤، ص٦٢٩.
(٨٤) د. محمود حجازي: اللغة العربية عبر القرون، وزارة الثقافة المكتبية الثقافية عدد ١٩٧، القاهرة مايو ١٩٦٨ ص٤٩.
(٨٥)(٨٦) سبتينو موسكاتي: الحضارات السامية القديمة، ترجمة د. السيد يعقوب بكر، دار الكتاب العربي، القاهرة ص٤٥.
(٨٧) الدكتور يعقوب بكر: دراسات في فقه اللغة العربية - مكتبة لبنان - بيروت ١٩٦٩، ص٣٥.
الدكتور أحمد حامدة: المدخل إلى اللغة الكنعانية الفينيقية، جامعة دمشق ٩٧ - ١٩٩٨ ص٣٧.
(٨٨) ابن التستري: المذكر والمؤنث - المصدر السابق ص٤٧.
(٨٩) انظر د. جواد علي: المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، دار العلم للملايين، الطبعة الثانية، بيروت ١٩٧٨، ج٨، ص٦٢٨.
(٩٠) كيف نشأت اللغة العربية - الهلال، العدد الأول، أكتوبر ١٩١٧ ص٤٧.
(٩١) اللهجات العربية الغربية القديمة، المصدر السابق، ص٢٤.
(٩٢) المصدر نفسه ص٤٨.
(٩٣) المصدر نفسه ص٤٧.
(٩٤) في اللهجات العربية، مكتبة الأنجلو المصرية، الطبعة التاسعة، القاهرة ١٩٩٥، ص٤٦.
(٩٥)(٩٦) المصدر نفسه ص٤٣.
(٩٧)(٩٨) اللهجات العربية الغربية القديمة - المصدر السابق ص٤٨.
(٩٩) من تاريخ اللغة العربية: دراسات تاريخية، العددان ٣٧، ٣٨، أيلول - كانون الأول ١٩٩٠، جامعة دمشق ص١٦.
(١٠٠) انظر الإتقان في علوم القرآن - دار الفكر، بلا تاريخ، ج١ ص١٣٦.
(١٠١) اللغة بين المعيارية والوصفية، دار الثقافة، الدار البيضاء ١٩٩٢ ص٦٤.
(١٠٢) دراسة اللهجات العربية القديمة: عالم الكتب، مكتبة النهضة، الطبعة الأولى بيروت ١٩٨٦، ص١٦.
(١٠٣) المصدر نفسه ص٢١.
(١٠٤) د. جواد علي، المصدر السابق ص٦٧٣.

(١٠٥) انظر د. جواد علي، المصدر نفسه ص٦٢٦.
(١٠٦) الوجيز في فقه اللغة، الطبعة الحديثة، حلب، ١٩٦٩ ص١٠٠.
(١٠٧) ظواهر لغوية، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٨٨، ص١١١.
(١٠٨) السيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، المصدر السابق، ج١، ص٢١١.
(١٠٩) اللهجات العربية الغربية القديمة، المصدر السابق ص٤٩.
(١١٠) قلب الجزيرة العربية، مكتبة العصر الحديثة، الطبعة الثانية، الرياض ١٩٦٨، ص١٠٧.
(١١١) المصدر نفسه ص١٩٥.
(١١٢) المزهر في علوم اللغة وأنواعها للسيوطي، المصدر السابق ج١، ص٢١١، والاقتراح في علم أصول النحو للسيوطي، تحقيق الدكتور أحمد سليم الحمصي والدكتور محمد أحمد قاسم، الطبعة الأولى، جروس برس ١٩٨٨، ص٤٤.
(١١٣) السيوطي: المزهر.. المصدر نفسه ص٢١٠.
(١١٤) مغني اللبيب عن كتب الأعاريب، تحقيق محمد محيي الدين، بلا تاريخ القاهرة، ج١، ص٣٠، ٢٧٧.
(١١٥) مغني اللبيب: المصدر نفسه ص١٥٥.
(١١٦) ابن جني: الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، دار الكتب المصرية الطبعة الثانية، القاهرة ١٩٥٢، ص٣٣٩، انظر أيضاً، «لسان العرب»، لابن منظور.
(١١٧) المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام، المصدر السابق، ص٥٨٦.
(١١٨) المصدر نفسه ص٦٨٧.

توصيات ندوة
الوحدة والتنوع في اللهجات العروبية

انطلاقًا من المتطلبات الفكرية والثقافية في المرحلة العربية الراهنة، وحرصًا على توثيق أواصر الوحدة بين أجزاء الوطن العربي الكبير وأبناء الشعب العربي الواحد وتعزيز الإحساس القومي والانتماء إلى الأرض الواحدة، ولضرورات الإفادة من الإرث الثقافي العربي البالغ الغنى والتنوّع والذي يضرب بعيداً في أعماق التاريخ وتنتشر مواده وآثاره وألوانه في مختلف أرجاء الوطن، ولكي تنتهي بعض الظواهر الثقافية الشاذة في النظر إلى هذا التراث الذي أدى فهمه المغلوط إلى عدد من مظاهر التشتت والغربة وظهور ما يشبه المدارس المتنافرة بدلا من أن يكون هذا التراث وسيلة لتعميق الإحساس بالانتماء إلى الأرومة الأصلية الواحدة.

وردًا على التوجهات الاستعمارية الحديثة التي لم تعد تكتفي بسلب الأرض وخيراتها وثرواتها، بل تحاول التسلل إلى مضامين شخصية الأمة وتجريدها من كبريائها القومي تمهيداً لإماتة روحها وطيّها النهائي وترويضها لقبول ما يُملى على أبنائها من فروض (وليس خافيًا ما جرى في العراق الشقيق من نهب للكنوز الثقافية التي لا يُعرف لها مثيل).

عقدت في مجمع اللغة العربية ندوة حول (الوحدة والتنوع في اللهجات العروبية) في الفترة ٢٥-٢٧ / ١ / ١٣٧٢ و.ر. (٢٠٠٤ ف) بحضور كوكبة من العلماء الآثاريين واللغويين في مختلف التخصصات لتدارس قضية لم يُنتبه إليها بشكل وافٍ بعد، وهي العودة إلى اللغة العروبية الأولى وما تفرع عنها وكتاباتها المختلفة وأنها تتفق، مهما بدا من تباعدها المكاني أو الزماني، وما تفرع عنها من لهجات للغة واحدة تمثل الطبقة الحضارية الأولى في وجودنا العربي.

ولما لهذا الأمر من أهمية في مجال التربية القومية وبناء مستقبل الأجيال العربية، والتصدي لمخططات الأعداد ودسائسهم توصل المشاركون في الندوة إلى ما يلي من توصيات:

١- العمل على تأصيل مدرسة آثارية جديدة تغتذي بالعلم اليقيني الراسخ، وتوظف الكنوز الأثرية والمواد العلمية واللغوية الموجودة في المتاحف العربية والعالمية التوظيف الصحيح مؤكدة الأصل الواحد والتوجه الواحد.

٢- تنظيم عقد الندوات المماثلة لهذه الندوة في مختلف أقطار الوطن العربي لدراسة فروع اللغة العروبية تساهم في توثيق التعارف بين العلماء وتبادل الرأي والتعاون فيما بينهم.

٣- العمل على إصدار دورية أو دوريات علمية تعنى بشئون التوجه الوحدوي بين العروبيات وتوضيح عودتها جميعًا إلى أرومة واحدة.

٤- حث المؤسسات التربوية العربية على إدخال هذا التوجه بالذات في برامجها الدراسية وبخاصة في المراحل الأولى من الدراسة.

٥- توجيه البحوث والدراسات الأكاديمية توجيهًا يتفق مع واقع وحدة التراث الثقافي والموروث اللغوي وإبراز هذه الوحدة وتوكيدها.

٦- الاستعانة بهذا التراث عند وضع المعجم التاريخي للغة العربية الفصحى باعتباره من أسسها الأولى مبينًا أصالتها وارتباطها به على مدى التاريخ.

٧- تشجيع الدراسات الميدانية المقارنة بين اللهجات الراهنة في أنحاء الوطن العربي وبيان صلتها بعضها ببعض وكونها ترجع إلى أصل واحد مهما تباينت في ظاهرها.

٨- العمل على أن تكون العربية الفصحى هي اللغة المشتركة في الحياة العامة والخاصة باعتبارها اللغة الموحدة المتفق عليها والدفاع عن سلامتها والتصدي لأية دعوة لاتخاذ اللغة الدارجة في أي قطر عربي أداة للتعبير الأدبي أو العلمي أو الثقافي وتأكيد عدم استعمال المصطلحات الاستعمارية من مثل مصطلح «السامية والحامية» واستبداله بمصطلح «اللغة العروبية ولهجاتها».

٩- العمل في سبيل طبع ونشر المنجزات العلمية في هذا الميدان من مثل «مدوّنة النقوش العربية» والمعاجم المقارنة بين العربية واللهجات العروبية الأخرى التي يعدّها باحثون متخصصون.

فهرس



في العقدين الأخيرين من القرن العشرين نشطت حركة المقارنة بين لغات الوطن القديمة في مشرق الوطن ومغربه، بعد أن أدرك الجيل الجديد من الباحثين العرب خطورة إهمال هذا المجال وتركه مرتعًا للأغراب أو لذوي النوايا السيئة، وظهر تيار عربي الهوية والاتجاه منبعث من إحساس قومي عميق وشعور بالخطر الذي يتهدد وحدة شعوب الوطن نتيجة ما غرس من مفاهيم مغلوطة وتصورات خاطئة وما روج له من أفكار انعزالية عازلة، وإذا كان من المفروض أن العلم يُطلب لذاته، بصرف النظر عن المصالح والمنافع، فإن من المؤسف أن تنعدم الروح الموضوعية في كثير جدًّا من بحوث الغربيين فيما يتعلق بماضي أمتنا وتاريخها، وبخاصة في مجال لغاتها على مدى العصور، وحين جرد بعض الدارسين العرب أنفسهم لخوض معركة تصحيح المفاهيم وتصويب الأخطاء كانت أعمالهم تقوم على الجهد الفردي والجهاد الشخصي في الغالب الأعم، وكان لا بد من أن تبادر هيئة ما، أو هيئات، لتبني هذه الجهود الطيبة لتوحيدها وتشجيعها على المضي في السبيل القويم ردًّا للافتراء ودفعًا للتشويه وإحقاقًا للحق والحقيقة، وليس ثمت أولى من مجامع اللغة العربية، إلى جانب الجامعات والمعاهد العلمية، من القيام بهذه المهمة.

من هنا دعا مجمع اللغة العربية في ليبيا إلى عقد ندوة عن (اللغات العروبية.. الوحدة والتنوع) حضرها وأسهم فيها ثلة من العلماء العرب من مختلف أقطار الوطن جاءوا من المغرب وتونس وليبيا ومصر وسوريا والعراق وعُمان واليمن، يجد القارئ بعض بحوثهم في هذه الندوة التي انعقدت بمقر المجمع في طرابلس في الفترة (٢٥-٢٧/١/٢٠٠٤م).

